الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

. قسنطينة

كلية الآداب والحضارة الإسلامية

قسم التاريخ

الرقم التسلسلي:.....

رقم التسجيل:.....

# الانتشار الصوفي في المجالات الريفية في المغرب الأوسط خلال العصرين الزياني–الحفصي

أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه ل م دفي العلوم الإنسانية– تاريخ

تخصص: تاريخ المغرب الأوسط وحضارته في العصر الوسيط

إعداد الطالبة:

كوثر بن قري

إشراف الدكتور:

إبراهيم بن مهية

أعضاء لجنة المناقشة

| الاسم واللقب | الرتبة | الجامعة الأصلية | الصفة |
|---|---|---|---|
| د.نصيرة عزرودي | أستاذ محاضرأ | جامعة الأمير عبد القادر –قسنطينة | رئيسا |
| أد.إبراهيم بن مهية | أستاذ التعليم العالي | جامعة الأمير عبد القادر –قسنطينة | مشرفًا ومقررًا |
| د.عبد المالك بكاي | أستاذ محاضرأ | جامعة محمد الامين دباغين–سطيف | عضوا مناقشا |
| أد.الطاهر بونابي | أستاذ التعليم العالي | جامعة محمد بوضياف–المسيلة | عضوا مناقشا |
| د.عبد الجليل قريان | أستاذ محاضرأ | جامعة الأمير عبد القادر –قسنطينة | عضوا مناقشا |
| د.سناء عطابي | أستاذ محاضرأ | جامعة 8ماي 1945–قالمة | عضوا مناقشا |

السنة الجامعية: 1441-1442هـ/2020-2021م

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

# شكر وتقدير

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه، عدد خلقه، وزنة عرشه، ورضا نفسه، ومداد كلماته،فهو من وفّقني وأعانني ويسّر لي السبل لإتمام هذا البحث.

أتقدم بجزيل الشكر إلى أستاذي المشرف الدكتور:"إبراهيم بن مهية" الذي لم يبخل عليّ بتوجيهاته ونصائحه منذ بداية البحث إلى نهايته،وقد اكتمل بفضل حرصه وعنايته،فله منّي جزيل الشكر والتقدير والعرفان.

وكلّ الشكر والامتنان إلى أعضاء لجنة المناقشة على قراءتهم لهذه الرسالة وتقييمها فلهم مني فائق الاحترام والتقدير.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

# مقدمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

يتمحور هذا البحث حول ظاهرة التصوف خلال العصرين الزياني-الحفصي، لكن هذه الدّراسة ليست بحثا عن نشأة التصوف ورجالاته وتياراته، بل هي دراسة لانتشار هذه الظاهرة في الوسط الريفي وكيفية وصولها إليه والتحامها بالمجتمع.

ويعتبر القرن السابع الهجري/13م نقطة التحول في مسار هذه الظاهرة وبداية تغلغلها إلى الأرياف ،بفضل عدة عوامل: أهمها مؤسسة الزاوية التي لعبت دورا في كسر طوق الحدود الجغرافية، وربط الصلة بين المجالات أو المجموعات المتنافرة من حيث الأنشطة أو الانتماء العرقي.

وقد حمل دعاة الولاية والصلاح على عواتقهم مهمّة تعريب سكان الأرياف ونشر الثقافة الدينية بينهم، بما فيها التصوف ،وسعوا إلى محاربة البدع وتنظيم سكان المجالات الريفية من خلال نبذ الحرابة، وحفظ الأمن وتأمين شبكة الطرق التجارية ، وهذا ما يبين الحضور الفعلي للمجالات الريفية وقدرتها على أن تكون فاعلة في الحراك السكاني الذي عرفه المغرب الأوسط.

ولم يكن لهذه الظاهرة أن تستمر لولا التصديق والاعتقاد الجازم في الأولياء ،حيث وجد فيهم المجتمع ضالتهم، فقد كان لهم الفضل في ملء الفراغ الروحي الذي كان يعانيه سكان الأرياف، كما لعبوا أدوارا عدة على المستوى السياسي والاجتماعي والاقتصادي والفكري، وكل هذا بفضل كاريزما الولي في المخيال الشعبي .

وفي دراستنا هذه سنحاول تتبع التغلغل الصوفي في الأوساط الريفية، وأدوار الأولياء وعلاقاتهم وتفاعلهم داخل المجتمع الريفي وتأثيرهم فيه.

وقد كان منطلق اختياري لموضوع **الانتشار الصوفي في المجالات الريفية في المغرب الأوسط خلال العصرين الزياني-الحفصي** نتاجَ اقتراحٍ من أحد الأساتذة الأفاضل[1]، وقد تلقيته بصدر رحب، ذلك أنّ قناعتي تقوم على أهمية الإقدام على مثل هذه المواضيع التي من شأنها أن تسدَّ بعض الثغرات المتعلقة بالمجالات الريفية، وإثراء المادة المعرفية لها في مرحلة هامة من التاريخ، كما أنّ قلة الدراسات التي تناولت التاريخ الديني والاجتماعي للمجالات الريفية -خاصّة في الفترة الوسيطة- ،كانت وراء قراري بخوض غمار هذا البحث،بالإضافة إلى رغبتي في مسح الصورة السوداء التي رسمت عن المجتمعات الريفية و نفي ما قيل عنها بأنّها مجرّد مجتمعات جاهلة وبأنّها مصدر للمعارضة والتمرد ، وإثبات الجانب المشرق في هذا المجتمع.

و يعتبر التصوف من المواضيع التي لاقت اهتماما من طرف الباحثين في الفترة الأخيرة، نظرا للمسار الذي اتخذته هذه الظاهرة ، وما كان لها من الامتداد والتأثير في كافة المجال المغاربي، ولم يكن المغرب الأوسط

[1] الأستاذ علاوة عمارة:أستاذ التاريخ بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية-قسنطينة-

بمنأى عن هذه الحركة ،لكنه لم يلق نفس الاهتمام مقارنة بنظيريه الأقصى والأدنى ،حيث نال هذين الأخيرين حظّهما من أقلام الباحثين[1] .

ورغم أنّ المغرب الأوسط كان تحت ظل السلطة الحفصية إلاّ أنه غُيِبَ في الدراسات الحفصية ، فلم يول هؤلاء أهمية للحركة الصوفية الخاصة بالمجالات المغرب أوسطية الواقعة تحت الحكم الحفصي ، وكل ما ورد بشأنها كان مجرد إشارات[1].

---

[1]من بين هذه الدراسات :

-عبد اللطيف الشاذلي، التصوف والمجتمع ،نماذج من القرن العاشر هجري،منشورات جامعة الحسن الثاني،سلا-المغرب،دط،1989.

-عبد الجليل لحمنات، التصوف المغربي في القرن السادس هجري/12م،مقدمة لدراسة تاريخ التصوف بالمغرب،رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية،جامعة محمد الخامس ،الرباط، مرقونة،1989-1990.

-محمد المغراوي ، العلماء والصلحاء والسلطة بالمغرب والأندلس في عصر الموحدين ، ،دكتوراه دولة في التاريخ ، إشراف عز الدين عمر موسى،أحمد التوفيق ،جامعة محمد الخامس ،الرباط ، 1423هـ / 2002م.

-محمد الشريف، التصوف والسلطة بالمغرب الموحدي، مساهمة في دراسة ثنائية الحكم والدين في النسق المغربي الوسيط، منشورات الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية ، الرباط، ط2004،1م.

- الحسن الشاهدي ، التصوف والأدب الصوفي، مطبعة الأمنية، الرباط، دط،2006م.

- خميس حميدي، نشأة التصوف في المغرب الإسلامي الوسيط، اتجاهاته،مدارسه،أعلامه، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 1423هـ/2011م.

-محمد كمال كامل، التصوف والمتصوفة في المغرب الأقصى في عصر بني مرين(668 هـ/1268م-869هـ/1469م)، دار الآفاق العربية، القاهرة،ط1، 1435هـ/2014م.

-علال الفاسي، التصوف الإسلامي في المغرب العربي،إعداد: عبد الرحمان بن العربي الحريشي، تص: المختار باقة ،منشورات مؤسسة علال الفاسي ،الرباط،، ط1435،2هـ/2014م.

-نللي سلامة العامري، الولاية والمجتمع،مساهمة في التاريخ الاجتماعي والديني لإفريقية في العهد الحفصي، دار الفارابي، بيروت-لبنان، ط1، 2001 م.

-التصوف بإفريقية في العصر الوسيط من القرن3هـ/9م إلى نهاية القرن 9هـ/15م ،دار كونتراست،سوسة-تونس،2009م.

-لطفي عيسى ، مغرب المتصوفة "الانعكاسات السياسية والحراك الاجتماعي من القرن 10إلى القرن 17م" ، مركز النشر الجامعي، تونس، دط، 2005 م.

-محمد سعيد، الولاية والصلاح بإفريقية في العصر الوسيط الأول،منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة سوسة،تونس،دط،2018م.

كما نالت ظاهرة التصوف اهتمامات المدرسة الكولونيالية لكن هذه الدراسات تتعلق بالفترة العثمانية وما بعدها[2]،أما بعض الدراسات التي اهتمت بالتصوف خلال الفترة الوسيطة فلم تكن متعلقة بالمغرب الأوسط بصورة خاصة بل جاءت في سياق دراسة الحياة الدينية في الغرب الإسلامي[3] .

ومن الدراسات التي تناولت الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال الفترة الممتدة من القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي إلى القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي دراسات الأستاذ الطاهر بونابي الموسومة ب:التصوف في الجزائر خلال القرنين 6و7الهجريين/12و13الميلاديين، و الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين /14-15 الميلاديين ،بالإضافة إلى العديد من المقالات في نفس الموضوع[4]، وقد عالج في دراسته"**التصوف في الجزائر خلال القرنين 6و7هجريين/12و13ميلاديين**" نشأة الحركة الصوفية بالمغرب الأوسط، حيث توصل في دراسته إلى أنّ هذه الحركة جاءت وليدة العمل التعبدي الذي كان الزهاد والمرابطون يقومون به في الربط والمساجد ، وقد تعزّز هذا العمل بعد دخول المؤلفات الصوفية

---

[1] فعلى سبيل المثال في الدراسة الموسومة بالولاية والمجتمع،مساهمة في التاريخ الاجتماعي والديني لإفريقية في العهد الحفصي، لم تعط الباحثة نللي العامري لمدن المغرب الأوسط الواقعة تحت الحكم الحفصي نفس الأهمية التي أعطتها للمدن الإفريقية ،فمثلا في دراستها للزوايا ووظائفها لم تتعامل مع زوايا قسنطينة وبجاية بنفس الطريقة التي تعاملت معها مع زوايا القيروان وتونس وسوسة، حتى في حديثها عن الأعراب ورغم صدى حركة المرابطين السنة في الزاب فإنها لم تتطرق لها بالتفصيل إلا بعض الإشارات .

[2] Louis reine, Marabout et Khouan ,Etude sur L'Islam en Algérie ,Adolphe Jourdan, Libraire-Éditeur ,imprimeur-libraire de l'académie ,Alger,1884 .

-Corneille Trumelet , L'Algérie légendaire en pèlerinage ça et là au tombeaux des principaux thaumaturges de l'islam (Tell et Sahara),libraire A.Jourdin,Alger،1892.

Kamel Filali: " Sainteté maraboutique et mysticisme: contribution à l'étude du mouvement maraboutique en Algérie sous la domination ottomane ",Revue insaniyat, 3(1997).

-Octave Depont et Xavier Coppolani : Les confréries religieuses musulmanes, J.Maisonneuve et P.Geuthner S.A, Paris,1987.

[3]Alfred Bel ,La religion musulmane en Berbérie :Equisse d ' histoire et de sociologies religieuses ,Tome.1 «Etablissement et development de l'Islam en Berbérie du VII[e] au XX[e]siecle » ,Paris, Librairie orientaliste Paule Geuthner,1938.

-L'islam mystique, Revue Africaine,334(1928).

[4] من بين هذه المقالات:

-نشأة وتطور الأدب الصوفي في المغرب الأوسط ، مجلة جوليات التراث، 2(2004).

-التصوف العرفاني السني عند محمد بن يوسف السنوسي (ت895هـ/1489)، مجلة عصور الجديدة ،2(2011).

-طريقة أحمد بن يوسف الملياني الراشدي بين ثنائية التصوف العرفاني السني والطريقة الصوفية الإصلاحية،مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ،9(2014).

من المشرق والمغرب والأندلس إلى مدن المغرب الأوسط على غرار بجاية وتلمسان وقلعة بني حماد...من بينها رسالة القشيري ورعاية المحاسبي وإحياء الغزالي..

كما تطرق إلى التيارات الصوفية التي صاحبت هذه الحركة خلال القرنين 6و7هـ/12و13م، من حيث أفكارها ونشاطها وحجم انتشارها ،حيث ظهرت اتجاهات صوفية سنية تميزت بالتزامها الصارم بالشريعة، وبساطة نظرياتها القريبة من مستوى فهم العامة ،كما ظهرت اتجاهات صوفية فلسفية والتي تميزت بتشعب نظرياتها الفلسفية وغموض بعضها، مما جعلها ترتكز على نخبة من الصوفية دون أن تشمل العامة ،ثم تناول إسهامات الصوفية في الحياة الاجتماعية والسياسية والدينية، وذلك من خلال الغوص في قضايا المجتمع وتقديم الحلول لها ،كما استغلوا مكانتهم الدينية في قضاء حوائج الرعية عند السلطة، بالإضافة إلى دورهم الفكري والثقافي حيث يعود لهم الفضل في تثقيف سكان الأرياف، فقد بدأ التصوف يتوغل إلى الأرياف خلال القرن السابع الهجري/13م بعدما كان مقتصرا على المدن ،وذلك بفضل المريدين الذين كانوا ينتقلون من الأرياف إلى الحواضر على غرار بجاية وتلمسان لأخذ التصوف عن شيوخها ثم يعودون إلى أريافهم وينشرون ما تعلموه عن مشايخهم .

أمّا في دراسته : **"الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين /14-15 الميلاديين"** فقد عالج جذور الحركة الصوفية ومجالها وبنيتها حتى نهاية القرن 9هـ/15م، بالإضافة إلى عوامل وأدوات انتشار الحركة الصوفية بالمغرب الأوسط خلال القرنين 8و9هـ/14و15م وتغلغلها في البنى الاجتماعية الحضرية والقبلية ، حيث شمل في مجتمع المدينة البيوتات الكبرى العريقة، والطبقة الدنيا كالعبيد والخدم صعودا إلى الأسر الحاكمة، واستقطب من الفعاليات الدينية الفقهاء والقضاة والشرفاء، أمّا بالنسبة للبادية فقد نفذ إلى القبائل البربرية والعربية، فظهرت أصناف التصوف المرابطي، و رافق ذلك تنظيمات صوفية عديدة وتنوُّع في العمران الصوفي، مما جعل ظاهرة التصوف في أواخر الفترة الوسيطة تبرز كأكبر ظاهرة دينية واجتماعية وسياسية مارسها الإنسان، فوجّهت سلوكه وحدّدت طبيعة تفكيره.

وقد خلصت دراسته إلى أنّ الحركة الصوفية بالمغرب الأوسط ظلّت حتى القرن التاسع الهجري/15م في تغيير دائم وتطوّر مستمر، مسَّ بنيتها ومنظومتها السنية والفلسفية ،وطقوسها وتنظيماتها ومؤسساتها ،وصِلَتها بالمجتمع والسلطة ، ولم يكن الفكر الصوفي آنذاك يندثر ويقوم بدله فكر صوفي آخر، بل كانت هناك استمراريةٌ وتكيفٌ لهذا الفكر عبر مراحل التاريخ تبعا لتجدد العوامل وتبدّل الأدوات[1] .

[1] الطاهر بونابي، الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع هجريين /14-15 الميلاديين،أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ الإسلامي الوسيط، إشراف:عبد العزيز فيلالي، جامعة الجزائر، 1430هـ/2009م،ج2،ص713.

وقدّمت الأستاذة أمال لدرع رسالتها في الماجيستير بعنوان:**"الحركة الصوفية في بلاد المغرب الأوسط خلال العصر الزياني (633هـ/1236م-962هـ/1555م)"**، وتطرقت فيها إلى الإرهاصات الأولى للحركة الصوفية في المغرب الأوسط، وتوصلت إلى أنّ الحركة الصوفية فيه لم تكن إلا امتدادا واستمرارا طبيعيا للظاهرة الصوفية التي عرفت أوجّها خلال القرن السادس هجري/12م ،كما عالجت البنية الفكرية للطريقة الصوفية في المغرب الأوسط الزياني وكيفية الانتساب إليها ،وتعرضت إلى دور الأزمة في بروز الحركة الصوفية، وكذلك دور التيار الزهدي والتأثير المشرقي والأندلسي في إرساء قواعد الحركة الصوفية، ثم تناولت مظاهر الأزمة على الصعيد السياسي والاجتماعي والاقتصادي والفكري، ودورها في انتشار الحركة الصوفية في المغرب الأوسط الزياني وتوغّلها داخل المجتمع،كما عالجت دور الصوفية وتفاعلهم داخل المجتمع ودور الكرامة في ذلك .

وقد خلصت دراستها إلى أنّ الأزمة هي السبب الرئيسي في بروز الحركة الصوفية في المغرب الأوسط، فتدهور الأوضاع في كافة المجالات شكّل مناخا مناسبا لاستفحال ظاهرة التصوف وبروز الصوفي كوسيط للتخفيف من معاناة الرعية التي كانت تلجأ إليه لرفع الظلم السياسي والاجتماعي والاقتصادي عنها ، فالظاهرة الصوفية حسب نفس الباحثة هي رد فعل ضد الضعف الذي اعترى السلطة السياسية وأزمة العلاقة بين الحاكم والرعية ،كما ترى أنّها احتجاج اجتماعي ولّدته ظروف الأزمة، مما جعلها تختار الصوفي كحل بديل لمواجهة أوضاع التأزم والتذمر[1].

وقدّم عبيد بوداود دراسة بعنوان **"ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين (ق13-15م) دراسة في التاريخ السوسيو ثقافي"**، أبرز فيها بدايات ظهور التصوف بالمغرب الأوسط، والأماكن التي ورد منها ،حيث ربطها بالاتصال الفكري بين المغرب الإسلامي والمشرق باعتبار أنّ أصل الظاهرة مشرقي ، وكذلك الاتصال مع الأندلس، واعتبره المؤثر الأقوى بحكم الموقع الجغرافي وكثافة الاحتكاك البشري بين المنطقتين ،كما تناول حجم انتشار الظاهرة ومسارها العام من خلال التعرف على الأوساط الاجتماعية التي انحدر منها الصوفية، والفئات التي انخرطت في هذا التيار، ثمّ تناول جغرافية التمركز والانتشار، حيث كانت بداياته في الحواضر الكبرى على غرار بجاية وتلمسان وقسنطينة، ثم توسّع ليشمل الأرياف، وتميز المسار العام للتصوف بسيادة التصوف السني على الفلسفي، نتيجة سيادة المذهب المالكي، وحِرص المتصوفة على الجمع بين الشريعة والحقيقة، وبالنسبة لعوامل انتشار التصوف فقد أرجعها إلى

[1] أمال لدرع،الحركة الصوفية في بلاد المغرب الأوسط خلال العصر الزياني (633هـ/1236م-962هـ/1555م)، رسالة ماجيستير في التاريخ الوسيط، إشراف:بوبة مجاني، جامعة منتوري، قسنطينة، 1427هـ/2006م، ورقة ب من المقدمة .

تدهور الأوضاع ،أو بالأحرى إلى الأزمة المجتمعية سواء على المستوى السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي أو الثقافي[1].

وفي ما يخص دراسة تاريخ المجالات الريفية فإنّها تكتسي أهمية كبيرة، ومن دون شك أنّ الصعوبات التي تصاحب الباحث المتطلع إلى دراسة هذا التاريخ هي التي حالت دون ذلك، وجعلته مهملا أو منسيا لفترات طويلة وذلك لأسباب عديدة، أبرزها الفقر الوثائقي والنّصي، وبالرغم من ذلك نجد المؤرخ المعاصر تحدى هذه الصعوبات وحاول الخوض في غمار عالم الريف لِسدّ الكثير من ثغراته ، ومن بين الدراسات التي تعرضت لجانب أو عدد من الجوانب المتصلة بريف المغرب الأوسط :

دراسة عميور سكينة الموسومة ب: **''ريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/11و16م –دراسة اقتصادية واجتماعية–''**، أبرزت فيها أهمية الأرياف خلال هذه الفترة ،واعتبرتها مركز ثقل بشري لا يستهان به، وخزّان اقتصادي استفادت منه الأرياف والمدن على حد سواء، واستطاعت أن تعطي القارئ نظرة عامة عن المجتمع الريفي من حيث التركيبة السكانية والعادات والتقاليد السائدة فيه، كما أعطت صورة واضحة عن النشاط الاقتصادي في الأرياف ومقوماته والعوامل المؤثرة فيه ودور المنتوج الريفي في تنشيط اقتصاد المدينة.[2]

وفي دراستها'' **الخطاب الفقهي والريف في المغرب الأوسط من خلال الدرر المكنونة في نوازل مازونة''**، استطاعت هناء شقطمي أن تبين حضور المجال الريفي في الخطاب الفقهي ،وتبرز دوره في تنظيم المجتمع الريفي اجتماعيا واقتصاديا في ظل البعد عن السلطة، مبيّنة أهمية كتب النوازل في رفع الستار عن الكثير من الجوانب المتعلقة بالوسط الريفي[3] .

أمّا وسيلة عليوش فقد تناولت **''الثروة المائية في ريف المغرب الأوسط خريطتها،منشآتها، استغلالها من القرن1هـ إلى نهاية القرن 6هـ''**، حيث رصدت تطورات طرق استغلال المياه ومنشآته من قبل سكان الريف وكيفية محافظتهم على هذه الثروة وفق ما توفّر لديهم من إمكانيات[4] .

في حين قدّم عبد المالك بكاي أطروحته للدكتوراه بعنوان:**''الحياة الريفية في المغرب الأوسط من القرن7– 10هـ/13– 16م''**، حيث عالج فيها الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية في أرياف المغرب الأوسط[1].

---

[1] عبيد بوداود ،ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين (ق13–15م) دراسة في التاريخ السوسيو ثقافي، دار الغرب، وهران–الجزائر، دط،2003م

[2] مذكرة ماجيستير في التاريخ، تخصص:تاريخ الريف والبادية ،إشراف:إبراهيم بكير بحاز،جامعة قسنطينة 2012،2–2013م.

[3] مذكرة ماجيستير في التاريخ، تخصص:تاريخ الريف والبادية، إشراف:علاوة عمارة ،جامعة قسنطينة 2، 2012–2013م

[4] مذكرة ماجيستير في التاريخ، إشراف:إبراهيم بكير بحاز،جامعة قسنطينة2012،2–2013م.

وكتب علاوة عمارة مقالين الأول بعنوان:

**"Communautés rurales et pouvoirs urbain au Maghreb central (VII^e– XIV^e siècles)"**

وقدّم في دراسته هذه صورة عن الحياة الاقتصادية و الدينية للمجتمع الريفي من خلال النصوص الفقهية المالكية، كما بيّن دور السلطة الفقهية الحضرية في تنظيم المجتمع الريفي، بالإضافة إلى دورها في نشر الثقافة الدينية في الوسط الريفي ،ومحاربة البدع وذلك بتطبيق سياسة صارمة تجاه المبتدعين[2].

أمّا المقال الثاني فكان بعنوان :

**"L'organisation du peuplement rural dans le Maghreb central médiéval"**

استنتج من خلاله أنّ تنظيم الاستيطان الريفي في المغرب الأوسط تميز دائما بالتوزيع الجغرافي للمجتمعات القبلية والظروف المناخية ،كما توصل فيه إلى أنّ امتلاك الأراضي سمح بظهور العديد من النماذج البربرية لتنظيم الاستيطان الريفي، منذ فترة ما قبل الفتح الإسلامي وهي الحصن ،القلعة والقرية ،لكن هذه النماذج ليست صالحة بالنسبة لكامل أجزاء المغرب الأوسط[3] .

**الإشكالية:**

هذا وقد جاءت دراستنا هذه لتكشف بعض الغموض عن التاريخ الديني والاجتماعي لريف المغرب الأوسط ،حيث يطرح التصوف في أرياف المغرب الأوسط العديد من التساؤلات وهي:

- كيف تمّ ضمان تداول المعرفة داخل المجتمعات الريفية؟
- كيف ساهمت الزاوية الريفية في كسر طوق الحدود الجغرافية، وإعادة تعمير المجالات الريفية؟

---

[1] أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الإسلامي، إشراف:مسعود مزهودي، جامعة الحاج لخضر،باتنة،2013-2014م.

[2]Allaoua Amara,"Communautés rurales et pouvoirs urbain au Maghreb central (VII^e– XIV^e siècles)",REMMM , V126 ,p185- 202.

[3]Allaoua Amara, "l'organisation du peuplement rural dans le Maghreb central médiéval" , revue des études littéraire et humaines ,5(2009) ,p346 .

•هل يمكن الحديث عن تصوف سني في الوسط الريفي ،ونخب علمية ريفية ؟

•هل يمكن الحديث عن تعريب سكان الأرياف أم أنّهم ظلّوا على اللسان البربري؟

•على ماذا اعتمدت الزاوية آنئذ لتسيير شؤونها؟ وما الذي ساهم في تثبيتها؟

•هل كان للخطاب المنقبي دور في كشف خفايا الحدث التاريخي،وما للولي من الفاعلية الاجتماعية فيه؟

•هل كان للأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي عاشتها المجالات الريفية علاقة باكتساح الولي لكامل المجال الاجتماعي وتأثيره فيه؟

•ما مدى ارتباط الأزمة العامة بالحضور الكرامي للأولياء في المجالات الريفية؟

•ما هي حدود العلاقة بين أولياء الريف والسلطة السياسية ؟هل كانت خدمة لمصالح الرعية فحسب، أم تعدّتها وأصبحت طموحا للوصول إلى السلطة كما هو الحال بالنسبة للمغرب الأقصى؟.

•ما هي آليات السيطرة الكاريزماتية الممارسة من طرف الأولياء؟ وما مدى نجاعتها؟

•كيف كانت العلاقة بين الأولياء والسلطة الدينية وما موقفها من بعض القضايا الصوفية؟ وما أبعاد ذلك؟

•ما هي الطقوس والممارسات التي أفرزتها تجربة الولاية في المجالات الريفية المغرب أوسطية ؟

•ما هي أبرز التجارب الإصلاحية التي عرفها الوسط الأعرابي؟

•ما هي النتائج التي أفرزتها تجربة الولاية في الوسط الأعرابي؟

**خطّة الدراسة**

هذا ولقد قسّمتُ الدراسة إلى أربعة فصول : الفصل الأول وكان عنوانه أوضاع المجالات الريفية للمغرب الأوسط خلال العصرين الزياني-الحفصي، وفي النقطة الأولى أزلت الغموض عن معنى المجال الريفي، وذلك اعتمادا على المدونة التراثية، ثم تطرقتُ لمختلف للأوضاع السياسية و الاقتصادية والاجتماعية في هذه المجالات.

أمّا الفصل الثاني فهو بعنوان:نزعات التصوف والإصلاح في البنى القبلية، وتحدثت فيه عن الهجرة الهلالية بين الدور التخريبي والدور الحضاري،ثمّ تطرقت لبدايات الاندماج في الثقافة الدينية، وبعدها تناولت دور الولاية في تشكل قبائل مرابطية، وضمن هذا العنصر تطرقت لحركة المرابطين السنة في الزاب ثمّ التجربة المرابطية في قبيلتي النمامشة والفراشيش، وبعدها تطرقت للحضور المرابطي ودوره في المجالات الريفية للمغرب

الأوسط، وفيه تحدثتُ عن مدلول كلمة مرابط وعن المرابطين ودورهم في المجالات الريفية، وختمت هذا الفصل بالحديث عن أشباه المرابطين بين ممارسة البدع واستغلال الناس في المجالات الريفية.

وفيما يخص الفصل الثالث فإنّني قد عنونته ب: عوامل ومظاهر التغلغل الصوفي في المجالات الريفية، ومن أهم النقاط التي عالجتها فيه تأثير أبي مدين شعيب،اعتزال الناس والبعد عن الدنيا وملهياتها ،ثمّ دور المؤلفات المنقبية ،وبعدها تأثير الكرامة، وتليها تأثير الزاوية الريفية والتي تعتبر من أهم العوامل، وتناولت في هذا العنصر عدة نقاط منها :مصطلح الزاوية الظهور والانتشار، تلامذة أبي مدين ودورهم في نشأة وانتشار الزوايا في الوسط الريفي،ثم تعرضت لزوايا المجالات الريفية للمغرب الأوسط من القرن السابع الهجري/13م إلى القرن العاشر الهجري/16م ، ثم قمت بتصنيف هذه الزوايا وفقا للوظائف الذي اضطلعت بها، وعنونتها بأصناف الزاوية الريفية، ثم تطرقت لتنظيم الحياة بالزاوية الريفية من حيث النزلاء، وكيفية الانضمام إليها والعمل بها، وبعدها تطرقت لآليات تمويل الزاوية الريفية ،وختمت الفصل بالحديث عن الحرم الصوفي بين الوظيفة والقداسة.

أمّا الفصل الرابع فعنونته ب:مجتمع الأولياء: العلاقات والأدوار، وتطرقت فيه إلى ما يلي: الإنتاج المنقبي في المغرب الأوسط ، الخطاب المناقبي وسلطة أولياء المجالات الريفية، الحضور الكرامي للأولياء في المجالات الريفية، آليات السيطرة الكاريزماتية، كما تناولت أيضا علاقة متصوفة الأرياف بالسلطة السياسية وعلاقتهم بالسلطة الدينية ،وبعدها تعرضت لطقوس وممارسات تعظيم الأولياء حيث قسمتها إلى نقطتين: الأولى: الطقوس والممارسات الشفائية ،أما الثانية فكانت حول طقوس وممارسات تعظيم الأولياء.

ثم تأتي الخاتمة في الأخير وفيها أهم الاستنتاجات التي خلص إليها البحث، لتليها الملاحق والفهارس وقائمة المصادر والمراجع.

وقد اعتمدت في هذه الدراسة على المنهج الاسترادي أو الوصفي، فمعظم النصوص التي استعملتها تأتي بالأحداث وتصفها كما هي، وأنا بدوري قمت باستقرائها ومعالجتها وتحليلها للوصول إلى نتائج وحقائق تاريخية، كما طبقت المنهج الإحصائي في الحديث عن مؤسسة الزاوية فالدراسة الإحصائية تسمح لنا بمتابعة هذه المؤسسة وعددها من المائة السابعة إلى غاية المائة العاشرة الهجرية /13-16م ،هذا ما سيسمح لنا بالوصول إلى نتائج وطرح تساؤلات حول شيوع هذه المؤسسة ومدى ارتباطها بحجم انتشار ظاهرة التصوف في الوسط الريفي .

**مصادر الدراسة:**

تعدّدت المصادر التي اعتمدت عليها في هذه الدراسة، ومن دون شك فإنّ المصادر المنقبية تأتي بالنسبة لهذا العمل في مقدمة المصادر الأكثر اعتمادا ،يضاف إليها عددا من المصادر الفقهية و الإخبارية والوصفية ،وفي ما يلي سأستعرض أهمها بالنسبة لهذه الدراسة.

**أ/النصوص المنقبية**

تحمل هذه المؤلفات في طياتها مادة تاريخية ثريّة ومتنوعة، حيث تمكّننا من اختراق واقع مختلف شرائح المجتمع، فهي صورة حية للمجتمع بمختلف فئاته الشعبية ومشايخه وفقهائه وسلطانه وأوليائه ،كما تعطي لنا صورة عن العلاقة بين هذه الفعاليات الدينية والاجتماعية والسلطة ،ومن خلالها يمكن الوقوف على ملامح المدن والأرياف وشوارعها وعمرانها، وقد وجدت ضالتي في هذا النوع من النصوص في ظل ندرة المعلومات في النصوص الأخرى ،فقد سمحت لي بالوقوف على النماذج الولائية وتاريخ المؤسسات(الزوايا الرباطات)، ومعاينة الأماكن الصوفية وقداستها (القبور ،الجبال)، كما وقفت من خلالها على دور الأولياء في المجتمع من خلال الفعل الكرامي وآليات السيطرة الكاريزماتية التي جعلت منهم المقدس الذي لا يجرؤ أحد على مخالفته، ومن بين هذه المؤلفات التي استفاد منها البحث :

•**مناقب صلحاء الشلف**: وهو مختصر كتاب ديباجة الافتخار في مناقب أولياء الله الأخيار لمؤلفه أبي عمران موسى بن عيسى المازوني (ت833هـ/1429م)، وقد ألّفه للتعريف بالولي أبي البيان واضح ومناقب غيره من صلحاء شلف المشهورين، لكنّه لم يقتصر عليهم ،بل ذكر مناقب أولياء آخرين من المغربين الأقصى والأدنى ومن المشرق الإسلامي كذلك، وقد تخلل هذا المصنف الكثير من المواعظ والعبر والحكم المنسوبة إلى كبار الصوفية، على غرار أبي مدين والبسطامي وغيرهما من كبار صوفية المشرق والمغرب الإسلاميين، واستفاد البحث من هذا المصدر في العديد من جوانبه، فمن خلاله قمت برصد أولياء المجالات الريفية لشلف ودورهم في نشر التصوف في الوسط الريفي، بالإضافة إلى دورهم الاجتماعي في التخفيف من معاناة السكان ووقوفهم في وجه السلطة ، كما سمح لنا بالوقوف على عدد من الزوايا التي عرفتها هذه المنطقة من المائة السادسة الهجرية وحتى المائة التاسعة الهجرية، ومن خلاله وقفنا على بعض الممارسات والطقوس الصوفية المنتشرة في الأرياف .

•**المناقب المرزوقية** :لأبي عبد الله محمد ابن مرزوق (ت781هـ) ،سمح لنا هذا المصدر بمعاينة إحدى زوايا المائة السابعة الهجرية/13م والوقوف على وظائفها وتنظيم الحياة بها ،ورغم أنّ أسرة المرازقة ومعظم المترجَمِ لهم في هذا المصدر كانوا من مدينة تلمسان، إلاّ أنّ بعض الشخصيات الصوفية كانت من المجالات الريفية على غرار جد المؤلف، هذا ما جعلني أوظّف بعضا من كراماتهم التي رواها حفيده في الجزء الخاص بالحضور الكرامي للأولياء في ريف المغرب الأوسط.

•**أنس الفقير وعز الحقير** لابن قنفذ أبي العباس أحمد بن الحسن القسنطيني، ولو أنّ هذا المصدر جمع بين صنف التراجم وأدب الرحلة، إلاّ أنّني ارتأيت وضعه ضمن النصوص المنقبية لما يتضمّنه من معلومات عن تجربة الولاية والطريقة المدينية ،وكيفية انتشار التصوف في الوسط الريفي عبر مؤسسة الزاوية،كما أنه المصدر الوحيد الذي وافانا بمعلومات عن الزاوية الملارية ومؤسسها وشيوخه وتلامذته ،كما سمح لنا هذا المصدر بالوقوف على علاقة النخبة المثقفة بالتصوف وموقفها منه، ونظرتها لبعض الممارسات والمعتقدات المتعلقة بالتبرك بقبور الأولياء والدعاء عندها، والاعتقاد في الأولياء الأموات، واستمرار الكرامة بعد موتهم ...

•**بستان الأزهار في مناقب زمزم الأخيار ومعدن الأنوار سيدي أحمد بن يوسف الراشدي النسب والدار** لمحمد بن محمد بن علي الصباغ القلعي، سمح لنا بمعاينة أحد أولياء إقليم بني راشد خلال النصف الثاني من المائة التاسعة الهجرية/15م ،وهو أحمد بن يوسف الراشدي المليانى والوقوف على دوره في نشر التصوف في هذا المجال الريفي عبر تأسيسه لنوالة بهذا الإقليم وبالتحديد برأس الماء،ثم تنقُّله بين القبائل لنشر الثقافة الصوفية في الأوساط الريفية على غرار وطن بني وغدمن ، ومن خلاله أيضا تمكنا من الوقوف على بعض الطقوس الصوفية وممارسات تعظيم الأولياء في هذه المجالات.

**ب/النصوص الفقهية**

يكتسي هذا النوع من المصادر أهمية كبيرة لكل باحث في تاريخ المجتمع السياسي والاجتماعي والاقتصادي والديني ،لأنها صورة ناطقة عن المجتمع بكل حيثياته، فهذا النوع يحوي« مادة مصدرية صادقة تتعلق بالجوانب السياسية التي تناولتها هذه المصادر من زاوية ومنظور مغاير للذي عالج به مؤرخو الأخبار السياسية والعسكرية وتاريخ الأسر الحاكمة[1]»، ويرى الأستاذ عمارة أنّ المعرفة بتنظيم المجتمعات الريفية وعلاقتها بالسلطة الحضرية ترسّخت بشكل أفضل بداية من القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي بفضل المؤلفات الفقهية[2] ، وفي هذه الدراسة استعملت صنفا من هذه النصوص وهو صنف النوازل من بينها:

•**الدرر المكنونة في نوازل مازونة** لمؤلفه يحي بن موسى بن عيسى المازوني ،إنّ كتاب الدرر لا يقتصر على القضايا المتعلقة بمدينة مازونة فحسب ،بل فيه الكثير من النوازل المتعل[3]قة بمدينة تلمسان وبجاية وأريافهما بالإضافة إلى المغرب الأقصى والأندلس، وقد استفاد منه البحث في الوقوف على الأوضاع الاجتماعية كتكوين الأسرة والطلاق، والأوضاع الاقتصادية كالمعاملات الشائعة في الأرياف وأنواع الأراضي والجباية ، ومن

[1] بوبة مجاني،"كتب النوازل والأحكام مصدر للتاريخ الاجتماعي-العصر الزياني -نموذجا"، التغيرات الاجتماعية في البلدان المغاربية عبر العصور، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية،منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية وقسم التاريخ،جامعة منتوري، قسنطينة، ص147.

[2]Allaoua Amara,Communautés rurales et pouvoirs urbain ,p188 .

[3]

خلاله تمكنت من الوقوف على العديد من النوازل المتعلقة بالمرابطين في الأرياف، والممارسات الدخيلة على التصوف ، والنشاط الحربي للقبائل العربية.

•**المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس و المغرب** لأبي العباس أحمد بن أحمد بن يحي (ت914هـ) ،سمح لنا بالوقوف على العديد من القضايا المتعلقة بالتصوف وآراء الفقهاء فيها كالتبرك بالقبور وكرامات الأولياء ،وكيفية استغلال الظاهرة المرابطية من قبل مدعيها في جمع الأموال وخدمة مصالحهم،كما أفادني في معرفة نظام الأرض بريف المغرب الأوسط.

**ج/النصوص الإخبارية**

ويدخل ضمن هذا النوع من النصوص كتب التراجم والطبقات والسير الذاتية ،كتب التاريخ الحولي والعام، وكذلك كتب الفهارس والثبت و المشيخات، وقد استعملت بعض هذه الأصناف منها:

**-كتب التراجم:**

•**عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية** لأبي العباس أحمد الغبريني، وهو من أهم المصادر التي تغطي تجربة الولاية والتصوف بمدينة بجاية ونواحيها إلى نهاية المائة السابعة هـ/13م ،وقد أفادني في المعلومات المتعلقة بمؤسسة الزاوية ،بالإضافة إلى معاينة بعض النماذج الصوفية ودورها في المجتمع الريفي.

•**البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان** لابن مريم أبي عبد الله محمد بن محمد ابن أحمد الشريف المليتي المديوني، وقد سمح لنا بالوقوف على العديد من أولياء المجالات الريفية التلمسانية ودورهم في نشر التصوف بها ،كما يحوي العديد من النصوص المتعلقة بعلاقة الأولياء بالسلطة وبالمجتمع ،وتمكنت من خلاله من الوقوف على العديد من زوايا المائة التاسعة والمائة العاشرة هـ/15و16م .

**_كتب التاريخ العام**

•**"تاريخ ابن خلدون" أو"كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أخبار العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر"** لعبد الرحمان ابن خلدون، استفدت منه كثيرا في الجزء الخاص بالأوضاع السياسية في المجالات الريفية للمغرب الأوسط ، كما يعتبر مصدرنا الوحيد في الوقوف على تجربة الولاية في الوسط الأعرابي خاصة "حركة المرابطين السنة في الزاب " التي انفرد بذكرها.

•**تاريخ بني زيان ملوك تلمسان ،مقتطف من نظمالدر والعقيان في بيان شرف بني زيان** لمحمد بن عبد الله التنسي، يعتبر من أهم الكتب المتعلقة بالتاريخ السياسي للمغرب الأوسط خلال حكم بني زيان، حيث أنّ المؤلف عايش الأحداث خلال فترة طويلة من الزمن من 798هـ-868هـ، وقد استفاد منه البحث في

الأوضاع السياسية للمجالات الريفية، بالإضافة إلى ما يحتويه من إشارات عن علاقات الحكام الزيانيين بالأولياء واعتقادهم فيهم.

•**الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية** لابن قنفذ أبي العباس أحمد بن الحسن القسنطيني، واستفاد منه البحث في الوقوف على الأوضاع السياسية، باعتبار أنّ الجهة الشرقية للمغرب الأوسط كانت تحت الحكم الحفصي، كما سمح لنا بالوقوف على العلاقة بين سلاطين بني حفص وآل الملاري (جد ابن قنفذ ووالد جدّه).

**د/النصوص الوصفية**

تحتوي هذه المصادر مادة متنوعة عن الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وهي كتابات صادقة باعتبار أنّ أصحابها عاينوا الأماكن، وتختلف بين كتب الرحلة وكتب الجغرافيا أو ما يعرف بكتب المسالك والممالك نذكر منها:

•**الاستبصار في عجائب الأمصار وصف مكة والمدينة ومصر لكاتب مراكشي من كتاب القرن السادس هجري /12م**، وقد أفادني في ضبط مصطلح الريف والتعريف بالمجال الريفي بالإضافة إلى معرفة الثروات بريف المغرب الأوسط.

•**فيضالعباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب** لابن الحاج النميري (ت بعد 774 هـ)، سمح لنا بالوقوف على علاقة السلطان المريني أبي عنان ببعض مرابطي أرياف المغرب الأوسط ، ومن خلاله تمكنّا من معاينة العمران الذي أسّسته بعض القبائل العربية، وهو ما سمح لنا أيضا بالوقوف على الدور الايجابي لها ونفي الآراء التي جعلت منها مجرد قبائل مخربة أتت على الأخضر واليابس.

•**وصف إفريقيا** للحسن الوزان المعروف بليون الإفريقي وقد أفادني في ضبط مفهوم المجال الريفي، ومعرفة الثروات النباتية والباطنية بريف المغرب الأوسط، بالإضافة إلى أهم الحرف الممارسة من طرف سكانه،ومن خلاله وقفت على أحد زوايا المائة العاشرة هـ/16م التي أسّسها الزاهد سيدي سينا، حيث يُعدّ المصدر الوحيد حول التجربة التي قام بها هذا النّاسك في سهل البطحاء .

وقد واجهتني بعض الصعوبات خلال مرحلة البحث أذكر منها:

**أولا**: قلة المادة المصدرية المتعلقة بالمجالات الريفية خاصة ما يتعلق بالتاريخ الديني، وأغلب ما كتب في هذا المجال إنّما يتعلّق بالمدن لا بالأرياف.

**ثانيا**: بالرغم من أنّ النّصوص المنقبية وفّرت لي مادّة لا بأس بها، إلاّ أنّ التفاصيل تغيب فيها ،خاصّة في ما يتعلق بمؤسسة الزاوية، فنجد غيابا واضحا في وصف المعلم العمراني لها وكيفية الانضمام إليها والعلوم التي

تدرّس بها و كيفية التمويل...ولم نستطع الوقوف على هذه المعلومات إلاّ من خلال بعض الإشارات أو الافتراضات ،ولو توفرت هذه النصوص على تلكم المعلومات الدقيقة لكان فيها إثراء للبحث بشكل أفضل .

**ثالثا:** قلّة الوثائق والمخطوطات المتعلقة بالموضوع والمجال على حد سواء ، وإن وجدت بعضها فإنّ القائمين عليها يرفضون إتاحتها للاستفادة منها، وهذا ما وقع لي مع أحد القيمين على زاوية قجال، حيث رفض فتح باب مكتبة الزاوية ورؤية ما فيها من وثائق و مخطوطات بحجة أنهم لا يملكون شيئا ،مع العلم أنّ إحدى زميلاتي سبق لها أن قامت بتصوير بعض الوثائق من نفس الزاوية، ولا أنسى أن أتقدم لها بالشكر على إمدادها لي بوثيقتين مهمتين استعملتهما في هذه الدراسة.

وفي الأخير أتمنى أن يكون هذا البحث خطوة في تجلية الحقائق التاريخية لمغربنا الأوسط ومجهودا علميا أبذله لخدمة بلدي الجزائر....والله من وراء القصد وهو سبحانه يهدي السبيل ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

# الـفـصل الأول :أوضاع المجالات الريفية للمغرب الأوسط خلال العصرين الزياني–الحفصي.

## 1/ضبط المجال الريفي

### 1–1 تعريف الريف لغة

### 1–2 مصطلح الريف والبادية في المدونات التراثية

## 2/ الأوضاع السياسية للدولة الزيانية

### 2–1 المغرب الأوسط بين سقوط الموحدين وقيام الزيانيين

### 2–2 المغرب الأوسط بين الاستقطاب المريني والحفصي

### 2–3 عودة بنو زيان

### 2–4 تأثير الفتن على البيت الزياني

### 2–5 الصّمود الزياني

### 2–6 ضعف وتقهقر الزيانيين

### 2–7 الصراع على الحكم

### 2–8 السيطرة الحفصية على المغرب الأوسط

### 2–9 العودة من جديد

### 2–10 السقوط النهائي للزيانيين

## 3/ الأوضاع الاجتماعية

### 3–1 الزواج وتكوين الأسرة بأرياف المغرب الأوسط

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

**2-3 بعض العادات بأرياف المغرب الأوسط**

**4/ الحياة الاقتصادية**

**4-1 نظام الأرض بريف المغرب الأوسط**

**4-2 الثروات النباتية والباطنية بريف المغرب الأوسط**

**4-3 أهم الحرف بريف المغرب الأوسط**

**4-4 مشاكل المعاملات بريف المغرب الأوسط**

**4-5 شبح المجاعات والأوبئة**

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

**الفصل الأول :أوضاع المجالات الريفية للمغرب الأوسط خلال العصرين الزياني–الحفصي.**

## 1/ضبط المجال الريفي

### 1–1 تعريف الريف لغة

الخصب والسعة في المآكل والجمع أرياف فقط ، والريف أرض فيها زرع وخصب وهو كلّ أرض فيها نخل وزرع ، أمّا إذا كان الجمع أرياف و ريوف فهو ما قارب الماء من أرض العرب وغيرها، ورافت الماشية أي رعت الريف ، وتريّف القوم وأريفوا أي صاروا إلى الريف وحضروا القرى ومعين الماء[1].

من خلال التعريف اللغوي للريف تبين لنا أنّ كلّ ما له علاقة بالخصب والزرع فهو ريف أو يدخل ضمن مجال الريف .

### 1–2 مصطلح الريف والبادية في المدونات التراثية

ولضبط المجال الريفي وجب التطرق إلى تحديد مفهوم البادية التي اعتبرها العديد من الباحثين أنّها نقيض الريف كونها تقوم على الترحال ولا ترتبط بالزراعة، في حين يقوم الريف على الاستقرار وممارسة الزراعة وتربية الحيوانات[2] ، أمّا ابن خلدون فيقسم البداوة إلى ثلاثة أصناف **فالصنف الأوّل** : سكان المدر والقرى والجبال المتعيشون بالزراعة والممارسون للفلاحة، وهم عامة البربر والأعاجم ، **والصنف الثاني** : من كان معاشه في السائمة وهم الشاوية القائمون على الشاه والبقر، وهم ضعّن ولا يبعدون القفر لفقدان المسارح الطيبة، وهؤلاء مثل البربر والترك[3]، أمّا **الصنف الثالث**: فهم المتعيشون على الإبل« وهم أكثر ظعنا وأبعد في القفر مجالا.....إذ الإبل أصعب الحيوان فصالا ومخاضا وأحوجهـــا في ذلك إلى الدفء فاضطرّوا

---

[1]ابن منظورأبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، دط ، دت ، ج9 ، ص 128 ، 129.

[2] أنظر:عبد المالك بكاي ، الحياة الريفية في المغرب الأوسط من القرن 7 – 10هـ/13 – 16م، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الإسلامي ، إشراف مسعود مزهودي ، جامعة الحاج لخضر ، 1435هـ/2014م ، ص 19. أنظر أيضا : سكينة عميور، ريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/11و12م –دراسة اقتصادية و اجتماعية– ، رسالة ماجيستير في التاريخ ، تخصص: تاريخ الريف والبادية ، إشراف :إبراهيم بكير بحاز ، جامعة قسنطينة 2 ، 1433–1434هـ/2012–2013م ،ص6 .

[3]ابن خلدون عبد الرحمان بن محمد ، مقدمة ابن خلدون ، تح: عبد الله محمّد الدرويش ، دار يعرب ، دمشق ، ط1 ، 1425هـ /2004م ، ج1 ، ص246.

إلى إبعاد النّجعة (أي الذهاب في طلب الكلأ والمرعى) وهؤلاء هم العرب وفي معناهم ظعون البربر وزناتة بالمغرب، وربّما ذَادَتهم الحامية عن التلول أيضا فأوغلوا في القفار نُفرة عن الضعة منهم فكانوا لذلك أشدّ الناس توحشا، وهؤلاء هم العرب، وفي معناهم ظعون البربر وزناتة بالمغرب والأكراد والتركمان والترك بالمشرق، إلاّ أنّ العرب أبعد نجعة وأشدّ بداوة لأنّهم مختصون بالقيام على الإبل فقط ، وهؤلاء يقومون عليها وعلى الشاه والبقر معها[1]».

واعتمادا على المفهوم الخلدوني للبداوة فإنّه من غير الممكن دمج البداوة في صنف واحد وجعلها تقوم على الترحال والظعن فحسب، فإذا أخذنا بالصنف الأوّل القائم على الزراعة والفلاحة، والاستقرار بالجبال والقرى، وسكن المدر، فإنّ هذا النوع من البوادي يدخل ضمن المجال الريفي .

ويبدو أنّ كلمة بادية كانت تستعمل للدلالة على الريف، أو في نطاق الريف، وما يؤيد هذا هو ورودها في العديد من الكتب بهذا المعنى، فقد استعمل الحسن الوزان–بحسب الترجمة– كلمة بادية بهذا المعنى في عدّة مواضع كقوله: «وبادية ندرومة منتجة إلى أقصى حد[2]»، وفي حديثه عن بريشك أنّ البادية من حولها تنتج الكثير من الكتان والشعير[3]،«وتحرث البادية خارج عنابة على مسافة 40 ميلا طولا و25 ميلا عرضا وكلها صالحة للزراعة[4]»، وممّا يؤيّد أيضا كلام ابن خلدون عن الصنف الأول من البداوة والمرتبط بالاستقرار والفلاحة هو قول ابن مرزوق في ذكره لسيرة جدّه:« وأمّا مرزوق رحمه الله تعالى فقد كان مشتغلا بالبادية بفلاحته وحراثته...[5]» أمّا المازوني في كتابه الدرر المكنونة فإنّه استعمل كلمة بادية بدل الريف في معظم النّوازل المتعلّقة بالريف، مثال ذلك:«سئل أبو الفضل العقباني عن رجل باع على ابنه الصغير في حجره أرضا ودورا من دور البادية وجنانا ...[6]»، وسئل الإمام ابن مرزوق «عن الرجل يأتي إلى

---

[1] ابن خلدون ، المقدمة ، ج1 ، ص246.

[2]الوزان الحسن بن محمد الفاسي ،( ليون الإفريقي )، وصف إفريقيا ، تر:محمّد حجي ، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ،لبنان ،ط2 ، 1983م، ج2 ،ص14.

[3]نفسه ، ج2 ، ص33.

[4]نفسه ، ج2 ، ص62.

[5]ابن مرزوق أبو عبد الله محمد التلمساني ، المناقب المرزوقية ، تح:سلوى الزاهري، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المملكة المغربية ، ط1 ، 1429هـ/ 2008م،ص149.

[6]المازوني أبوزكرياء يحي بن موسى المغيلي ، الدرر المكنونة في نوازل مازونة ،تح : مختار حساني ، مرا:مالك كرشوش الزواوي، دار الكتاب العربي ، دط ، دت ، ج3 ، ص85.

الجزار بالبادية يشتري منه لحما... [1]»، وسئل أيضا « عن مسألة كثيرة الوقوع بالبوادي وهي أنّه من أراد شراء طعام لا يكتاله من بائعه حتى يهز الصاع في كيله ويحركه بيده...[2]».. فمن خلال هذه النوازل يتضح لنا أنّ المازوني يقصد بالبادية الريف، لأنّ البادية بمفهومها الأصلي لا تحتوي على دور و منازل بل على خيام في العموم، كما أنّ البدو يقصدون القفار والصحاري فهم لا يملكون بساتين وجنان، لأنهم لا يشترون اللحم، فجميعهم يملكون الغنم والبقر والإبل، أمّا أهل الريف فمنهم من يمتلك الماشية، ومنهم من لا يملكها، لذا لا يمكن أن نجد جزارا وحوانيت بالبادية[3] .

إذن ممّا سبق فإنّنا نفند الرأي القائل بأنّ البادية نقيض الريف، وبأنّها مرتبطة بالترحال ولا ترتبط بالزراعة و الاستقرار ، كما يستحيل دمجها في نوع واحد كونها تتفرع إلى ثلاثة أنواع مختلفة وهي المذكورة آنفا.

وفيما يخص جبال المغرب الأوسط فقد تميزت بخصوبة تربتها ووفرة إنتاجها، وقد وصف الوزان جبال دولة قسنطينة بأنّها «كثيرة الإنتاج لأنّ الأراضي الواقعة بينها غاية في الخصب تعطي الكثير من الزيتون والتين وغيرهما[4]» ،كما ينتج جبل بني ورنيد–بتلمسان– كمية وافرة من الفواكه خاصة التين والكرز[5] ، أمّا صاحب الاستبصار فقد وصف قرى جبل العنصل –قرب ميلة– بأنّها غنية بجميع الفواكه من التفاح الجليل والأعناب الكثيرة والسفرجل الذي لا يوجد مثله في بلد، وأنّ قلعة هوارة تقع على جبل خصيب فيه بساتين وثمار وأشجار ومزارع وأعناب[6] ، والأمثلة عن ذلك كثيرة.

---

[1] المازوني يحي ، المصدر السابق ، ج3 ،ص 100.

[2] نفسه ،ج3 ،ص 119.

[3] وفي هذا الصدد يقول ابن خلدون عبد الرحمان « أنّ عمران البادية ناقص عن عمران الحواضر والأمصار، لأنّ الأمور الضرورية في العمران ليس كلها موجودة لأهل البدو،وإنما توجد لهم في مواطنهم أمور الفلح وموادها معدومة،ومعظمها الصنائع،فلا توجد لديهم بالكلية من نجار وخياط وحدّاد،وأمثال ذلك مما يقيم لهم ضروريات معاشهم في الفلح وغيره ، وكذا الدنانير والدراهم مفقودة لديهم، وإنّما بأيديهم أعواضها من مغلّ الزراعة،وأعيان الحيوان أو فضلاته ألبانا وأوبارا وأشعارا، وإهابا ممّا يحتاج إليه أهل الأمصار فيعوّضونه عنهم بالدّنانير والدّراهم». أنظر: المقدمة ،ج1، ص296.

[4] الوزان ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 103.

[5] نفسه ، ج2 ، ص 44.

[6] كاتب من كتاب القرن السادس هجري (12م) ، الاستبصار في عجائب الأمصار وصف مكة والمدينة ، ومصر ، وبلاد المغرب ، تح: سعد زغلول عبد الحميد ، دار النشر العربية ، الدار البيضاء ، دط ، 1985م ،ص 166 ، 178.

وعلى اعتبار أنّ الريف هو كل ماله علاقة بالخصب والزرع ،فإنّ الجبال والقرى تدخل ضمن المجال الريفي،وهو ما يؤيد قول محمّد حسن أنّ القرية هي النواة السكنية في المجال الريفي[1]،لذا فبالإضافة إلى الريف والقرية والبادية المتعلقة بالاستقرار والزراعة وكذا الجبال فإنّني سأعتبر كل ما هو خارج على نطاق المدينة ومرتبط بالخصب والزرع ضمن المجال الريفي[2].

إنّ هذا الإشكال يجعلنا نبحث عن تفسير لهذا الخلط المصطلحاتي بين الكلمتين، فقد كان المجتمع المغاربي بصفة عامة والمغرب أوسطي بصفة خاصة مجتمعا زراعيا، لكن نتيجة للحروب والتقلبات السياسية والاجتماعية التي عرفها وخاصة الهجرة الهلالية[3]،كل هذا أدى إلى تقليص المساحات المزروعة، فتراجع الإنتاج الزراعي وأصبحت السهول الخصبة مجالا للرعي والانتجاع[4] ، وتحوَّل الحقل إلى مرعى[5]، ممّا أدى إلى

---

[1]محمد حسن ، المدينة و البادية بإفريقية في العهد الحفصي ، جامعة تونس الأولى ، تونس ، دط ، 1999م ، ج1 ، ص58.

[2]وحسب الأستاذ عمارة فإنّ تنظيم الاستيطان الريفي في المغرب الأوسط يستند إلى ثلاثة نماذج وهي الحصن والقرية والقلعة، لكنه يرى في نفس الوقت أنّ هذه النماذج ليست صالحة بالنسبة لجميع مناطق المغرب الأوسط.أنظر:

Allaoua Amara, "l'organisation du peuplement rural dans le Maghreb central médiéval" , revue des études littéraire et humaines ,5(2009),p346 .

[3] يرى الأستاذ بعيزيق أنّ هزيمة الحماديين في معركة سبيبة هو تثبيت للبداوة والترحال محلّ الاستقرار والمدنية وقد أدى هذا إلى تغيير البنية الاجتماعية للمغرب الأوسط وكذا الجغرافية العمرانية...أنظر:الصالح بعيزيق ،بجاية في العهد الحفصي: دراسة اقتصادية واجتماعية ،منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ،تونس ،2006م،ص49.

[4] تنسب العديد من الآراء النشاط الرعوي للهجرة الهلالية والطلب المتزايد للصناعة الأوروبية ،بينما يرى الأستاذ عمارة أن الرعي من الأنشطة الريفية الأكثر قدما ،معتمدا في ذلك على شهادة الجغرافي ابن حوقل والذي ذكر تربية المواشي في العديد من مناطق المغرب الأوسط ولا سيما على الهضاب الداخلية :كتاهرت ومسيلة ،الغدير ،بلزمة...وهذا ما يؤكد أن النشاط الرعوي احتل مكانة مهمة قبل فترة طويلة من الهجرة الهلالية وتنمية التجارة مع المدن الإيطالية،ويسانده الرأي دومينيك فاليريان والذي توصل إلى أن تربية الحيوانات قديمة في شمال إفريقيا ثم تطورت أكثر بقليل مع وصول القبائل الهلالية.أنظر على التوالي:

Allaoua Amara , "Communautés rurales et pouvoirs urbain au Maghreb central (VII-XIVe) siècles" , REMMM , V126,p191 .

Valérian Dominique, Bougie, port Maghrébin, 1067-1510, Ecoles Françaises de Rome ,Rome , 2006,p213.

[5]نوال بلمداني ،السلطة والقبائل الرعوية بمجالات المغرب الأوسط دراسة في العلاقة (ق4هـ/10م)، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية ،1(2015)، ص179.

نفس النظرة تبناها بنميرة عمر حيث يرى أن النشاط الزراعي آل إلى الانحطاط بسبب الدور التخريبي للقبائل العربية سواء باحتلالها أو بتوطينها في السهول المغربية وبالتالي القضاء على المساحات المزروعة.أنظر :النوازل والمجتمع،مساهمة في دراسة تاريخ البادية بالمغرب (القرنان 8و9هـ/14و15م)،دبلوم الدراسات العليا،إشراف:محمد زنيبر،جامعة محمد الخامس،الرباط،1988م-1989م،ص130.

طرد الكثير من سكان البربر من أراضيهم، فتحول النشاط الاقتصادي من زراعي إلى رعوي[1]، فكانت نتيجة ذلك ضعف الغطاء النباتي، وقلة الأشجار، وهجران القرى، وتباعد الأحياء، وحلول الخيام محل الدور، وبالتالي طغيان الرعي المتنقل على الرعي المستقر[2].

إنّ استقرار العنصر الهلالي بالمغرب الأوسط وما رافقه من تهجير للجماعات البربرية "المحلية" أو إخضاعها بالقوة، كان له الأثر البارز في تحول أرياف المغرب الأوسط من تركيبتها الاجتماعية المحلية إلى تركيبة اجتماعية مشرقية،كانت للقبيلة الدّور المحوري في تنظيم النسيج الاجتماعي لها، وهذا ما نقل المجالات الريفية للمغرب الأوسط من خصوصيتها المتعدّدة الأجناس إلى وسط عربي ريفي غلب عليه مفهوم القبيلة بمعناها التقليدي[3]، فتحول نمط العيش من زراعي إلى رعوي ، هذا ما أثر على طوبونيميا المجال الريفي للمغرب الأوسط فتم استبدال كلمة الريف بالبادية.

[1] هي النظرة التي تبناها المستشرق روجي لوتورنو حول الهجرة الهلالية ،ويساند الصالح بعيزيق نظرة المؤرخين الاستعماريين حول تغلب الرعي على الزراعة في بلاد المغرب الوسيط، لكنه يختلف معهم في السبب والذي أرجعه إلى ازدياد طلب التجار الأوروبيين لتلبية حاجيات الصناعة الغربية من جلود وصوف وغيرها.أنظر:علاوة عمارة ، " الهجرة الهلالية وإشكالية انحطاط حضارة المغرب الإسلامي الوسيط ،قراءة في نقاش تاريخي،" ، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية ،4(2004)،ص43، 61.

[2] نوال بلمداني ، المرجع السابق ، ص182.

[3] علاوة عمارة ،"الهجرة الهلالية وأثرها في تغيير البنية الاجتماعية لبلاد الزاب" ،مجلّة الآداب والعلوم الإنسانية ،10(2009)،ص23، 25.

## 2/ الأوضاع السياسية للدولة الزيانية

### 2–1 المغرب الأوسط بين سقوط الموحدين وقيام الزيانيين

إنّ الحديث عن قيام الدولة الزيانية يتطلب الوقوف عل الفترات الأخيرة للدولة الموحدية وأسباب سقوطها، فمن أهم العوامل التي ساعدت على انهيار الدّولة الموحدية:

الخطآن اللذان ارتكبهما عبد المؤمن بن علي[1]وهما :**الأوّل** هو إدخال بعض القبائل البدوية العربية للمغرب الأقصى، والتي لم تتجاوز آنذاك في تقدمها المغرب الأوسط في منطقة بوسعادة، فبعدما أخضعها فكّر في استخدامها في الجهاد ضدّ النّصارى بالأندلس، فأقنعهم بجلب بعض قبائلهم إلى المغرب الأقصى كي يتمّ إعدادهم للجهاد في الأندلس[2].

أمّا **الثاني** فإنّ اثنين من إخوة المهدي[3]كانا معاديان لعبد المؤمن وانحاز إليهما آخرون، فلمّا خاف على نفسه ارتأى أن يكون له جنود يذودون عنه وقت الضرورة من هؤلاء العرب ،كان تقديره سليما لكنّه قصير المدى ،لأنّه يعتبر على المدى البعيد بمنزلة الكارثة، فحالما تضعف سلطة الخليفة تكون هذه القبائل العربية قد استقرت في قلب الدولة، وصارت في مركز يؤهّلها إلى التدخل في سياسة الدولة العامّة، وبما أنّها لا تملك خبرة سياسية فإنّها ستقدم ولاءها لأقوى مساوم، وبالتالي ستكون سببا في عدم الاستقرار أو السقوط وهو ما حدث بالفعل[4].

---

[1] عبد المؤمن بن علي ،كنيته أبو محمد ولقّبه الموحّدون بالخليفة أمير المؤمنين ،تولى الخلافة بعد المهدي ابن تومرت بموافقة جميع الموحدين سنة524هـ، توفي سنة 583هـ بعد فترة حكم دامت 33سنة. أُنظر: مؤلف أندلسي من أهل القرن الثامن عشر ، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، تح: سهيل زكار ، عبد القادر زمامة ، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء ، ط1، 1399هـ/1979م ، ص142-156.

[2] روجر لي تورنو ، حركة الموحّدين في المغرب في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، تعريب:أمين الطيبي ، المدارس، الدار البيضاء ، ط2، 1419هـ/1998م ، ص60 .

[3] محمد بن عبد الله بن عبد الرحمان بن هود من نسل الحسن بن علي بن أبي طالب، يكنّى بأبي عبد الله و كان يقال لولده تومرت و أمغار يعني الضياء ، لقب بالمهدي لما بايعه النّاس بالعهد، لذا كان يعرف بمحمد المهدي بن تومرت أوّل ما ألّفه لهم كتاب سماه التوحيد، توفّي سنة 524هـ بعد مرور ثمانية سنين عن بداية دعوته. أنظر :مؤلف أندلسي من أهل القرن الثامن عشر، المصدر السابق ، ص103- 109.

[4] روجر لي تورنو ، المرجع السابق ، ص61 .

وبهذا يعتبر عبد المؤمن أول من عمل على تفسّخ الدولة الموحّدية بهذين الخطأين اللذين كلّفاه ثمنا باهضا فيما بعد، وإلى جانب هذين الخطأين المبكرين هناك عوامل أخرى لضعف الدولة الموحدية وهي:

- غياب الرّوح الدّينية التي كان عليها الموحّدون في أيام ابن تومرت، فقد كانوا يناضلون من أجل قضية دينية، فلمّا كانوا متحمّسين للعقيدة التومرتية أسّسوا بهذا الحماس دولة، ولكن بعد وفاة ابن تومرت فتر هذا الحماس حتّى عند عبد المؤمن نفسه[1].
- شساعة الإمبراطورية الموحدّية ووقوعها في مكان غير استراتيجي، حيث أنّ مركزها مرّاكش لم يكن في موقع متوسّط حتىّ بالنّسبة للمغرب الأقصى، أمّا إذا نظرنا إليها بالنّسبة إلى شمال إفريقيا فقد كانت نائية جدّا، ناهيك عن الأندلس، هذا ما يعلّل قرار الخليفة النّاصر[2] عندما جعل إفريقيّة ولاية شبه مستقلّة تحت سلطة واحد من سلالة أبي حفص وهو عمر الهنتاني[3]، وهذا لصعوبة التحكم في جلّ المناطق[4] .
- تولّي حكم الدولة رجال غير أكفّاء لمدّة تزيد عن خمسين عاما ،كانوا مولعين بالملذّات متناسين أمور الدّولة وما يعتريها من أخطار[5].

[1] يرى محمد المغراوي أنّ هناك سببين وراء فشل الموحدين في تأسيس دولة على نموذج الخلافة الراشدة ،يكمن الأول في تبني النموذج السلطاني الوراثي بكل سلبياته ،والثاني وجود البدع التي ورطت التومرتية فيها الموحدين والتي أعاقت تطلعاتهم ولم تخلق الحماس الكافي لدى النخب العالمة والصوفية للانخراط في مشروع الدولة بكل جدية ،وكان دعمها كاملا فقط في ما يخص برنامجها الجهادي للرد على التحدي المصيري في الأندلس.أنظر:محمد المغراوي ، العلماء والصلحاء والسلطة بالمغرب والأندلس في عصر الموحدين ، ،دكتوراه دولة في التاريخ ، إشراف عز الدين عمر موسى،أحمد التوفيق ،جامعة محمد الخامس ،1423هـ / 2002م،ص472.

[2] أحد الخلفاء الموحّدين اسمه محمد، يكنّى بأبي عبد الله وتلقّب بالنّاصر لدين الله دامت خلافته 15سنة. أنظر مؤلف أندلسي من أهل القرن الثامن عشر، المصدر السابق،ص160، 161.

[3]أبو محمّد عبد الواحد ابن الشيخ أبي حفص عمر بن يحي الهنتاني نسبة إلى هنتانة أهم قبائل المصامدة، وهو أوّل من حكم من العائلة الحفصية حيث كان واليا على إفريقية في عهد الموحّدين ، توفّي سنة 618هـ بعد مرور 14 عاما على تولّيه إفريقيّة.أنظر:ابن الشماع أبو عبد الله محمّد بن أحمد، الأدلة البيّنة النّورانية في مفاخر الدولة الحفصية ، تح وتع : الطّاهر بن محمّد المعموري ، الدّار العربية للكتاب، دط ، 1984 م، ص48-52.

[4]روجر لي ترورنو،المرجع السابق، ص101.

[5]كالخليفة الناصر الذي كان مستبدّا برأيه رافضا لنصائح رجال الدولة من ذوي الخبرة، حتّى أنّ والده أوصاه بعدم التصرف دون مشورة أبي حفص عمر الهنتاني لكنّه لم يعمل بوصيّته.أنظر : علي محمّد الصلابي ، تاريخ دولتي المرابطين و الموحّدين في الشمال الإفريقي ،دار المعرفة ، بيروت – لبنان، ط3 ،1430هـ/2009م، ص 393. أيضا الخليفة يوسف المنتصر بالله الذي بويع وسنّه عشرة أعوام ، وكما يصفه صاحب الحلل الموشية «لم تكن له حركة تذكر، ولا غزوة تشتهر، ولا خرج من حاضرة مرّاكش» ،ولو كان كفء لتحرّك لتعزيز قواعد مملكته التي بدأت في التّداعي والسقوط،، ص 162.

- انشغال الموحدين بقمع الثورات المناهضة لهم كثورة بني غانية[1] وحروبهم مع القشتاليين في الأندلس بالإضافة إلى ثورات القبائل كثورة علوان الغماري سنة 595هـ فقد أنهكتهم هذه الحروب[2].
- الانهزام في معركة العقاب[3] سنة609هـ والتي كان لها الأثر البالغ في ضعف الدولة الموحدية.
- عدم إثارة أي ردة فعل في المغرب الإسلامي عقب وقعة العقاب،فكان لابد من أن تكون هذه الوقعة حافزا باعثا لتفجير كل الطاقات والنّهوض من جديد، لكنّ الموحّدين لم يستغلوها كما ينبغي، بل انعكست عليهم سلبا واستسلموا بكلّ سهولة.
- تقدّم بني مرين[4] نحو فاس موقعين هزائم بالموحّدين مستغلين الهدوء الذي كان سائدا في الدّولة وهو كما يقال:الهدوء الذي يسبق العاصفة[5].
- تأثير الرسالة التي كتبها الخليفة المأمون[6] على الموحّدين والتي أبطل فيها مبادئ العقيدة التومرتية[7]، وهي أنّه لا وجود للمهدي ولا للعصمة، وتبرّأ منها واعتبرها بدعة، وقد قتل عدد لا يحصى من مخالفيه بفتوى من أحد الفقهاء[1].

---

[1] يطلق على رجلين من قبيلة مسوفة نسبة إلى أمّهما غانية التي كانت من القصر المرابطي، وهما يحي ومحمّد وكانا من شجعان يوسف بن تاشفين، فأمّا يحي فقد ولاّه مدينة قرطبة ،وأما محمد فقد ولاّه على الجزائر الشرقية وميورقة و منورقة ،وقد رفضوا الدّخول في دعوة الموحّدين.أنظر : ابن خلدون عبد الرحمان، تاريخ ابن خلدون، مراجعة : سهيل زكّار،دار الفكر، بيروت– لبنان ، دط، 1421هـ/2000م ،ج6 ، ص 252، 253. أنظر أيضا : المرّاكشي أبو محمد عبد الواحد بن علي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، شرحه واعتنى به :صلاح الدّين الهواري، المكتبة العصرية ، بيروت،ط1، 1426هـ/2006م ، ص195، 196.

[2] عبد القادر بوحسّون، العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والأندلس خلال العهد الزياني (633-962هـ /1235-1554م) ، مذكّرة ماجيستير في تاريخ المغرب الإسلامي ،إشراف: لخضر عبدلّي، جامعة أبي بكر بلقايد، 2008م ، ص8.

[3] وقعت هذه المعركة بين جيوش الخليفة الموحدي الناصر وجيوش أذفونش ملك قشتالة، الذي انضم إليه سائر ملوك النّصرانية ، وكان اللقاء أمام حصن العقاب وانهزم فيه الموحدون شرّ هزيمة . أنظر : ابن عذاري أبي العباس أحمد بن محمد ، البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب ، تح وتع: بشار عواد معروف ، محمود بشار عواد ، دار الغرب الإسلامي ، تونس، ط1 ، 1434هـ/2013م ،ج3 ، ص377 .

[4] من قبائل بني واسين وهم بنو مرين بن وتاجن بن ماخوخ بن جديج بن فاتن بن يدر بن يخفت بن عبد الله بن ورتنيص بن المعز بن ابراهيم بن سجيك بن واسين كانت مواطنهم قبل الملك مابين صا وملوية . أنظر: عبد الرحمان ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج7 ، ص221 .

[5] ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 381.

[6] أبو العلاء إدريس بن يعقوب المنصور،دامت خلافته 5سنسن وثلاثة أشهر،كان عالما كاتبا أديبا فصيحا،وهو من أمر بإزالة اسم المهدي من السكة ومن الخطبة ومن جميع رسوم الموحدين توفي بمراكش سنة 629هـ،أنظر مؤلف أندلسي من أهل القرن الثامن عشر ،المصدر السابق، ص163-166.

[7] لقد وضعت عدة تفسيرات وتأويلات لما قام به المأمون، فهناك من اعتبرها مبادرة ضد الأرستقراطية الموحدية (الأشياخ)، وهناك من رأى فيها تمردا لأصحاب المذهب المالكي ،بينما يقر لوماكس حسب محمد الشريف أنّ المأمون المتأثر من جهة بأصوله (ابن أندلسية) وكونه تربى بالأندلس أنّ المذهب الموحدي ليس عنصر انقسام داخل الجماعة المسلمة فحسب ،وإنما يُدخل بدعة تستحق العقاب الإلهي الذي يكون في

- الاستيلاء على أراضي مهمّة كانت بيد الموحّدين، فهاهي قرطبة في يد ملك قشتالة[2] أذفونش سنة 633هـ وبلنسية بيد ملك آرغون سنة 636هـ[3].

نتيجة لضعف الدولة الموحدية وسقوطها ظهرت ثلاثة كيانات سياسية وهي: الدولة الحفصية بالمغرب الأدنى و الدولة الزيانية بالمغرب الأوسط و الدولة المرينية بالمغرب الأقصى، فقد أعلن الأمير الحفصي أبي زكرياء استقلاله التامبإفريقية سنة 634هـ/1236م ،حيث ثبت ذكره في الخطبة وتلقّب بالأمير بدل الإمام[4]، وأما تلمسان فقد أصبحت بيد بني عبد الواد[5] الذين أعلنوا استقلالهم التام سنة 633هـ/1235مجاعلين يغمراسن بن زيان[6]حاكما عليهم[7]، وأمّا مرّاكش عاصمة الموحدين فقد سقطت على يد المرينيين بقيادة السلطان يعقوب بن عبد الحق، وذلك في محرم سنة 668هـ/ 1270م[8] ، وقد كانت كل دولة تسعى لتحل محل الدولة الموحدية ما جعلها تدخل في صراعات فيما بينها، لكنّها لم تغيّر في الحدود الجغرافية لكلّ دولة.

شكل حروب أهلية وهجمات مسيحية.محمد الشريف،، التصوف والسلطة بالمغرب الموحدي، مساهمة في دراسة ثنائية الحكم والدين في النسق المغربي الوسيط، منشورات الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية ، الرباط، ط1، 2004م،ص77.وعن مضمون الرسالة أنظر الملحق رقم 1.

[1] مؤلف أندلسي من أهل القرن الثامن عشر ، المصدر السابق، ص165.

[2] عمل من الأعمال الأندلسية قاعدته قشتالة، سمي العمل بها،وقالوا : ما خلف الجبل المسمى الشارات في جهة الجنوب يسمى إشبانيا،وما خلف الجبل من جهة الشمال يسمى قشتالة.أنظر: الحميري محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار ،تح: إحسان عباس،مكتبة لبنان ،بيروت،ط2، 1984م، ص483.

[3] ابن عذاري، المصدر السابق ، ج3 ، ص459 ،480 .

[4]عبد الرحمان ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون ، ج6 ، ص381.

[5] يرجع أصلهم إلى قبيلة زناتة الكبرى ، وهم من ولد يادين بن محمد إخوة توجين ومصاب وزردال وبني راشد يرتفع نسبهم إلى رزجيك بن واسين بن ورسين بن جانا. أنظر: عبد الرحمان بن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج7، ص 97.

[6] أبو يحي يغمراسن بن زيان ، ولد سنة 603أو 605هـ ،وبايعه أهل تلمسان يوم وفاة أخيه سنة 633هـ، كان رجلا شجاعا ذا هيبة وحلم وتواضع ،دامت فترة حكمه 44سنة.أنظر:يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ص109_117.أنظر أيضا : الحاج محمد بن رمضان شاوش ، باقة السّوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان ،ديوان المطبوعات الجامعية ، تلمسان ، ط2 ، 2001م ،ج1 ، ص65.

[7] عبد الرحمان ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون، ج7 ، ص105، 106.

[8] النّاصري أبو العباس أحمد بن خالد ، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى ، الدولة المرينية ، تح وتع : جعفر النّاصري ، محمد النّاصري ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، دط ، 1418هـ/ 1997م ، ج3 ، ص27 .

## 2-2 المغرب الأوسط بين الاستقطاب المريني والحفصي

بتولّي يغمراسن بن زيان لمقاليد الحكم سطع نجم الدولة العبد الوادية ، التي قامت بفضل مساندة قبيلة بني عبد الواد بالدرجة الأولى ، ودعم بعض القبائل العربية التي كانت بالمغرب الأوسط، والتي كانت تربطهم بها علاقة الود والتحالف، والتي لعبت أدوارا مميزة في صلتها مع بني عبد الواد[1].

وقد كانت الدّولة الزيانية أكثر المتضرّرين بسبب موقعها الجغرافي المتوسط الذي سهّل المهمة على كل من الحفصيّين من جهة الشرق، و المرينيين من جهة الغرب ، وقد كان كلا الطرفان يسعى لضمّها تحت حكمه لما تتميّز به تلمسان، فبالإضافة إلى موقعها الجغرافي الإستراتيجي فقد كانت بلدا زاهرا كثيرة الخيرات،كثيرة البساتين، وهذا لخصوبة تربتها ووفرة مياهها، فنهر سطفسيف يمر بها فهو يسقي جميع أراضيها[2]، وهي كثيرة الأشجار الممتلئة بشتى أنواع الفواكه والثمار، كالجوز والعنب والزيتون وثمر الغدان وهو نوع من التين ، وكما قال ابن الصباح « وكلّما تصف من أوصافها فهو قليل[3]».

فهذا الخير الكثير الذي كانت تتمتع به تلمسان هو الذي جعلها مطمعا لجيرانها، وهو ما جعل تاريخ بني زيان في أكثر فتراته تاريخا عسكريا كلّه حروب ونزاعات ومكائد، ولم يعترف المرينيون و الحفصيّون بدولة بني زيان قط، وكانوا يدّعون الحق في ضمّها إلى بلادهم[4].

لذا فإنّ المداهمة الأولى التي تعرّض لها الزيانيون كانت من قبل الحفصيين ، فقد قام السلطان أبو زكرياء الحفصي[5] في شوال سنة 639هـ بتجهيز أربعة وستين ألف فارس حاصر به تلمسان ، وفي شهر

---

[1]عبد العزيز فيلالي ، تلمسان في العهد الزياني ، (دراسة سياسية ،عمرانية ، اجتماعية ، ثقافية )،موفم للنشر ، الجزائر ، دط ، 2002م ، ج1 ، ص 17.

[2]كاتب مرّاكشي من كتّاب القرن السادس هجري (12م) ، المصدر السابق ، ص176.

[3]ابن الصباح الأندلسي الحاج عبد الله ، نسبة الأخبار وتذكرة الأخيار(رحلة حجازية) ، تح : جمعة شيخة ، نشر مجلّة دراسات أندلسية، عدد خاص45 – 46 ،(2011م) ،تونس، ص 57.

[4]ابن الأحمر ، تاريخ الدّولة الزيانية بتلمسان ، تح وتق وتع : هاني سلامة ، مكتبة الثقافة الدينية ، بور سعيد ، ط1 ، 1421هـ/2001م ، ص17.

[5]أبو زكرياء يحي بن المولى أبي محمّد عبد الواحد ابن أبي حفص ولد بمرّاكش سنة 599هـ/1203م، بويع له في 18 من رجب عام 625هـ بالقيروان وجدّدت له البيعة بتونس في 24 من نفس الشهر ، كان شجاعا ورعا حسن التصرف تميزت فترة حكمه بالأمن والازدهار توفي سنة 647هـ.أنظر: محمد بن أحمد ابن الشماع ، المصدر السابق ، ص54-60.

ربيع الأول سنة 640هـ دخلها عنوة من باب كشّوطة، وصاحبها آنذاك أبو يحي يغمراسن بن زيان ، وقد ظفر الحفصيون بالنصر وسلّم الأمير الحفصي للعبد الواديين إلاّ من مليانة[1] شرقا[2].

يذكر محقق كتاب تاريخ الدولة الزيانية لابن الأحمر أنّ يغمراسن تمكّن من ردّ هذه الغارة لكنّ المؤرّخين يجمعون على أنّ السلطان الحفصي تمكّن من دخول تلمسان[3] .

أمّا المداهمة الثانية التي تعرض لها الزيانيون فقد كانت من قبل المرينيين بقيادة السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني[4] سنة 665هـ، والتي جاءت كردّة فعل، ذلك أنّ السلطان الزياني يغمراسن لما كاتبه الخليفة الموحّدي أبو دبّوس[5] يستعين به لحرب المرينيين، استجاب لدعوته أملا منه في إضعاف أبناء عمومته المرينيين، فشنّ الغارات على ثغور المغرب، ممّا جعل السلطان المريني يجهّز جيشا ويتجه به إلى تلمسان ،فالتقى الفريقان بوادي تلاغ–بالقرب من سيدي بلعباس– ولحقت الهزيمة بيغمراسن وقتل ابنه عمر أعزّ أولاده عليه[6].

ثمّ رجع السلطان يعقوب إلى مرّاكش[7] وتفرّغ للقضاء على الموحّدين وكان له ذلك، وبعدها نزع لمحاربة بني عبد الواد رغبة منه في ضم تلمسان إلى نطاق ملكه، فحشد كافّة أهل المغرب من المصامدة[1]

---

[1]بكسر الميم ،مدينة في آخر إفريقية بينها وبين تنس أربعة أيام ، وهي مدينة رومية قديمة جدّدها زيري بن منّاد وأسكنها بلكين . أنظر : الحموي شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي ، معجم البلدان ، تح : محمّد الأمين الخانجي ، دار صادر ، بيروت ، دط ، 1397هـ/1977م ، ج5 ، ص 196.

[2]ابن قنفذأبو العبّاس أحمد بن حسين بن علي بن الخطيب القسنطيني، الفارسية في مبادئ الدّولة الحفصيّة، تق و تح : محمد الشاذلي النيفر، عبد المجيد التركي، الدار التونسية ، تونس، دط، 1986م ، ص 109.

[3] من بين المؤرّخين: ابن القنفذ في كتابه الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية ،ص109. كذلك:ابن عذاري في البيان المغرب في اختصار أخبار الأندلس والمغرب،ج494،3-496. أنظر أيضا :الزركشي أبي عبد الله محمّد بن إبراهيم ، تاريخ الدولتين الموحّدية والحفصية ، تح وتع : محمد ماضور ، المكتبة العتيقة ، تونس ،ط2، 1966م ، ص29 .

[4]أمير المسلمين يعقوب بن عبد الحق بن محيو بن أبي بكر بن حمامة بن محمد بن وزير بن فجّوس بن جرماط بن مرين الزناتي ، ولد سنة 607هـ وقيل 609هـ ، بويع بالخلافة بفاس سنة 650هـ ، كان جوّادا ذو عزم ودين حسن السياسة ، توفّي سنة 685هـ .أنظر: ابن أبي زرع الفاسي علي، الذّخيرة السنية في تاريخ الدّولة المرينية ، دار المنصور ، الرباط ، 1392هـ/1972م ، ص 85-87.

[5]أبو العلى الملقّب بأبي دبّوس ابن السيد أبي حفص بن عبد المؤمن ،وهو آخر الخلفاء الموحّدين حكم من 665-668هـ/1266-1270م . أنظر. عبد الرحمان ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج6 ، ص351. أنظر أيضا : علي محمد الصلابي ، المرجع السابق ، ص 420.

[6] ابن خلدون عبد الرحمان ، تاريخ ابن خلدون ، ج7 ، ص 115.

[7]أعظم مدينة بالمغرب وأجلّها بها سرير ملك بني عبد المؤمن وأوّل من اختطّها يوسف بن تاشفين من الملثمين في حدود سنة 470هـ ،وهي من البرّ الأعظم بينها وبين البحر 10 أيام في وسط بلاد البربر .أنظر : ياقوت الحموي ، المصدر السابق ، ج5 ، ص94.

والقبائل الأخرى متجها نحو تلمسان ، وكان اللقاء بإيسلي[2] من نواحي وجدة[3] وذلك سنة 670هـ/1272م ، ورجحت الكفّة للمرينيّين ففرّ يغمراسن إلى تلمسان، فلحقه يعقوب وحاصره بها بعدما انضمّ إليه بنو توجين[4] ألدّ أعداء يغمراسن، ولم يتمكّنوا من دخولها ، فانعقدت بينهما مهادنة وفرغ يعقوب بن عبد الحق للجهاد، أمّا يغمراسن فراح يهيئ نفسه لمحاربة مغراوة[5] وبني توجين [6] .

أمّا في أيام السلطان يوسف بن يعقوب[7] فقد توالت الهجمات على مدينة تلمسان وأميرها آنذاك عثمان بن يغمراسن[8]، فقد تحرّك إليه المرينيون سنة 695هـ ثمّ عام 696هـ فسنة 697هـ وتسمّى بحركة الدار الحمراء ، أمّا سنة 698هـ فهي السنة التي بنا فيها السلطان المريني تلمسان الجديدة وحاصر تلمسان

---

[1] من ولد مصمود بن يونس بربر وهم أكثر قبائل البربر وأوفرهم ، من بطونهم: برغواطة و غمارة وأهل جبل درن ، ولم تزل مواطنهم بالمغرب الأقصى على مرّ الأزمان . أنظر: عبد الرحمان ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج6 ، ص 275.

[2] مدينة قديمة بمقربة من وهران عليها سور صخر وكانت حصينة ولها نهر يسقي بساتينها وثمارها. أنظر: الحميري محمّد بن عبد المنعم ، المصدر السابق، ، ص58 .

[3] مدينة قديمة كبيرة بالمغرب بينها وبين تلمسان ثلاثة مراحل ، قديمة كثيرة البساتين والجنات والمياه والعيون. أنظر : الحميري ، المصدر السابق ، ص 607.

[4] من أعظم شعوب بني يادين وأوفرهم عددا ينتسبون إلى قبيلة زناتة ، كانت مواطنهم حفافي واد الشلف قبلة جبل ونشريس من أرض السرسو ، التي كانت تسكنها بطون من لوّاتة ، ثمّ اتسعت رقعتهم وأصبحت كل أرض السرسو لهم، وصارت مواطنهم ما بين موطن بني راشد وجبل دراك في جانب القبلة . أنظر: عبد الرحمان ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج7 ، ص 205–206 .

[5] أوسع بطون زناتة ، جدّهم مغراو بن يصلتن بن مصرا بن زاكيا بن وريسك بن الدّيديت بن شانا بن يحي وجمهور بني مغراوة سنية ، مواطنهم بالمغرب الأوسط من شلف إلى تلمسان إلى جبل دبولة .

أنظر : ابن حزم أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي ، جمهرة أنساب العرب ، تح وتع : عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف ، القاهرة ، ط5 ، دت ، ج2 ، ص 498. أنظر أيضا : عبد الرحمان ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج7 ، ص33 .

[6] ابن خلدون عبد الرحمان ، تاريخ ابن خلدون ، ج7 ، ص115.

[7] يوسف ابن أمير المؤمنين يعقوب بن عبد الحق المريني يكنّى أبا يعقوب ويلقّب بالنّاصر لدين الله ، ولد سنة 638هـ ، بويع بالخلافة بالجزيرة الخضراء يوم وفاة أبيه ، وجدّدت له البيعة في صفر سنة 685هـ /1286م، كان مهابا متفقدا لأحوال رعيته ، توفي سنة 706هـ. أنظر : ابن القاضي أحمد المكناسي ، جذوة الاقتباس في ذكر من حلّ من الأعلام مدينة فاس ، دار المنصور ، الرباط ، دط ، 1973م ، ص 547-549 .

[8] أبو سعيد عثمان بن يغمراسن بن زيان ولد سنة 639هـ ، بويع بالخلافة سنة 681هـ ، كان شهما محببا إلى قلوب رعيته حسن السياسة ، توفي سنة 703هـ دامت مدّة حكمه إحدى وعشرين سنة غير شهر . أنظر : ابن خلدون أبو زكرياء يحي ابن أبي بكر محمد بن محمّد بن محمد بن الحسن ، بغية الرّواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ، تح : مطبعة بيير فونطانا الشرقية في الجزائر ، 1221هـ/1903م ، ج1 ، ص 117-121.

حصارا شديدا حتّى أكل أهلها الجيف والعقارب والفئران، وقد مات السلطان عثمان خلال هذا الحصار فخلفه ابنه محمّد[1] ومات أيضا في الحصار[2].

وقد عبّر ابن خلدون عن مكانة المدينة الجديدة بقوله :« واختطّ بمكان فسطاط المعسكر قصرا لسكناه واتخذ به مسجدا لمصلاّه وأدار عليها السور ، وأمر الناس بالبناء فبنوا الدّور الواسعة والمنازل الرّحيبة .....وصيّرها مصرا فكانت من أعظم الأمصار والمدن.....وأمر باتخاذ الحمّامات والمارستان، وابتنى مسجدا جامعا وشيّد له مئذنة رفيعة، فكان من أحفل مساجد الأمصار وأعظمها ، وسمّاها المنصورة[3]».

وبعد حصار تلمسان أمر السلطان المريني عساكره بمحاصرة المناطق المحيطة بها والتي كانت تحت حكم الزيانيين كوهران[4] و مازونة وتنس وتالموت والقصبات وتامزردكت، وواصلت تقدّمها إلى أن بلغت بجاية، فدبّ الرعب في قلوب الأهالي ، كما تمكّنوا من التغلب على ضواحي مغراوة وبني توجين، وكذلك المدية وبرشك والونشريس[5].

وبهذا يكون السلطان المريني قد بسط نفوذه تقريبا على كامل المناطق المحيطة بالمغرب الأوسط مدنا وأريافا، وهذا لإضعاف مركز السلطة لأنّ المناطق المحيطة بالمركز عموما هي التي توفر له الحماية و الأمن.

وقد انتهى هذا الحصار بمقتل السلطان يوسف بن يعقوب ، فخلفه السلطان عامر أبو ثابت[6] الذي أرجع للزيانيين كلّ المناطق التي سبق وأدخلها جدّه يوسف بن يعقوب تحت حكمه[7]، على أن

---

[1] محمّد أبو زيان ابن السلطان عثمان ولد سنة 659هـ بويع سنة 703هـ ، كان فضلا حسن السياسة توفي في شوال سنة 707هـ بسبب مرض ألمّ به. أنظر : يحي ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج1 ،ص 121 – 126 .

[2] ابن الأحمر ، المصدر السابق ، ص68 – 71 .

[3] ابن خلدون عبد الرحمان ، تاريخ ، ج7 ، ص 293.

[4] مدينة على البر الأعظم من المغرب ، بينها وبين تلمسان مسيرة ليلة ، أكثر أهلها تجارا ، بناها محمد بن أبي عون ومحمد بن عبدون وجماعة من الأندلسيين المنتجعين بمرسى وهران وذلك سنة 290هـ. أنظر : ياقوت الحموي ، المصدر السابق ، ج5 ، ص 385.

[5] نفسه ، المصدر نفسه ، ج7 ، ص292.

[6] أمير المسلمين عامر بن عبد الله بن يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المريني ، أمير المسلمين يكنّى بأبي ثابت ، ولد سنة 683هـ ، بويع بعد وفاة جدّه بحضرة تلمسان الجديدة عام 706هـ ، وتوفي بطنجة سنة 708 هـ ، فولّي بعده أخوه سليمان. أنظر : ابن القاضي المكناسي ، المصدر السابق ، ص 385.

[7] ابن خلدون عبد الرحمان ، تاريخ ابن خلدون ، ج7 ، ص331.

يحافظوا على مدينة المنصورة قائمة عامرة[1]، أمّا السلطان الزياني أبو حمّو فقد استقلّ بملك بني عبد الواد، وما لبث أن تغلّب على بلاد مغراوة ثمّ على بلاد توجين، ومحا منها أثر سلطانهم تأديبا لهم على الدّعم الذي منحوه للمرينيين أثناء الحصار الطويل ، كما توجه إلى السرسو لاسترجاعها من أيدي العرب من سويد[2] و الدّيالم[3] وقد كانت قبل الحصار في يد قبيلة زناتة ، ثمّ مدّ نفوذه باتجاه قسنطينة و بجاية وهذا على حساب الحفصيين[4] .

أمّا سنة 718هـ/1318م فهي السنة التي عرف فيها البيت الزياني أوّل فتنه الدّاخلية ،وهي مقتل السلطان أبو حمو موسى من طرف ابنه أبي تاشفين[5] ، بعد المؤامرة التي حاكها له مع العلوج الذين أغاروا قلبه على أبيه ، وبموت السلطان أبي حمو موسى تولّى حكم الدولة ابنه أبو تاشفين[6] ، وأراد أن يكمل سياسة والده التوسعية باتجاه الشرق، فأخذ يرسل البعوث وُيلحّ على الغزو قاصدا مناطق نفوذ الحفصيين[7] ،حيث أرسل قائده موسى بن علي بجيوشه ،فنزل قسنطينة ودمّرها، ثم عاد إلى بجاية وابتنى مدينة تامزيزدكت[8] وأسكنها ثلاثة آلاف ومئتي فارس ، وبهذا اشتدّ الحصار على أهل بجاية فاستنجدوا بسلطانهم

[1] عبد المالك بكاي ، المرجع السابق، ص38.

[2] تستوطن سويد الصحراء بين إقليم تنس ونوميديا ، وهم شجعان حاذقون لهم شهرة كبيرة وسيطرة على البربر يقارب عددهم الثلاثة آلاف فارس وخمسة عشر ألف راجل، لباسهم حسن ويتسلحون دائما وعادة ما يستعين بهم ملوك تلمسان في حروبهم مقابل أجور يدفعونها لهم .أنظر: مارمول كاربخال، إفريقيا، تر: محمد حجي ، محمد الأخضر، أحمد التوفيق ، أحمد بن جلون ، محمد زنيبر ، مكتبة المعارف ، الرباط ، المغرب ، دط ، 1404هـ/ 1984م ، ج1 ، ص 104.

[3] من ولد ديلم بن حسن بن إبراهيم بن رومي وهم بطن من سويد بن عامر.أنظر: ابن خلدون عبد الرحمان، تاريخ ابن خلدون ، ج6 ، ص59.

[4] ابن الأحمر ، المصدر السابق ، ص71.

[5] الأمير أبو تاشفين عبد الرحمان بن أبي حمو بن عثمان بن يغمراسن ،ولد سنة 629هـ ،كان فاضلا حسن السيرة عظيم الخلق بويع سنة 718هـ وتوفي في رمضان سنة 737هـ .أنظر :يحي ابن خلدون ، بغية الرواد ، ج1 ، 122-142، انظر كذلك ، بن الأحمر ، المصدر السابق ، ص74 ،75.

[6] ابن خلدون عبد الرحمان ، تاريخ ابن خلدون ، ج7 ، ص 139-141.

[7] نفسه ، ج7 ، ص143.

[8] المدينة التي اختطّها السلطان الزياني أبو تاشفين ، تقع بمكان سوق الخميس بوادي بجاية، وسموها باسم الحصن القديم الذي كان لبني عبد الواد قبل الملك بالجبل قبلة وجدة . أنظر : عبد الرحمان ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج7 ، العبر، ص 144.

أبي يحيى[1] ، فأغاثهم وأرسل جميع قواده بجيوشه سنة 727هـ، وانضمّ إليهم الحاجب أبو عبد الله محمد بن سيد الناس واتجهوا نحو تامزيزدكت والتقى الجمعان بالأربعاء من الوادي الكبير واقتتلوا قتالا شديدا طوال النهار وانهزم الحفصيون[2].

فالمجالات الريفية على العموم هي المكان المقصود لطلب الأمان وإعادة التنظيم ،كما فعل الزيانيون باختطاط تامزيزدكت كونها بعيدة عن مركز السلطة، ومنها يمكن مراقبة ما يحصل في بجاية ، وفي المقابل فإنّ الأرياف هي المتضرر الأكبر من الحروب فمعظم الصراعات والمعارك تكون الأرياف مسرحا لها.

وفي سنة 730هـ/1330م أرسل السلطان إلى تونس جميع قواده بجيوشهم يترأسهم يحيى بن موسى الجمي و ابن أبي عمران الحفصي، فَلَقِيهم السلطان أبو يحيى بالواد الشارف واقتتلوا قتالا عظيما ، وانهزم السلطان الحفصي، وتمكّن الزيانيون من دخول تونس واستولوا على حرم السلطان وذخائره ، وهرب هو إلى قسنطينة جريحا ، وأقام الزيانيون بها أربعين يوما ثمّ سلموها لابن أبي عمران وحمزة بن عمر السليمي وقفلوا راجعين[3] .

ونتيجة لهذا التوسع ظهر تحالف حفصي مريني ضدّ تلمسان ،فقد نهض السلطان أبو الحسن[4] إلى بجاية وحرّرها ، أمّا السلطان الحفصي أبو يحيى فقد جمع جيوشه وتحرّك من تونس إلى تامزيزدكت وخرّبها عن آخرها وهذا سنة 732هـ/ 1332م[5] ، ولما تمّت السيطرة على الأوضاع جهّز السلطان المريني أبو الحسن حملة إلى تلمسان، حيث حاصرها ونصّب عليها المجانيق ودخلها عنوة واستولى على حرم السلطان أبي تاشفين وأمواله، ثمّ قتله ورُفع رأسه ورؤوس أولاده ووزيره على الرماح وطيف بها في جميع بلاد المغرب[6] ، وضمّ السلطان المريني أمصار المغرب الأوسط وعمله إلى سائر أعماله ، وطمس معالم آل زيان ، ودخل بنو

[1] الأمير أبو يحيى أبو بكر بن الأمير أبي زكرياء ابن الأمير أبي زكرياء ، دخل تونس سنة 717هـ، وجددت له البيعة سنة 718هـ ،كان شجاعا مهابا محسنا ، لقب بالمتوكّل على الله توفي في رجب سنة 747هـ. أنظر : ابن قنفذ القسنطيني ، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية ،ص160 – 168.

[2] ابن خلدون يحيى ،المصدر السابق، ج1 ، ص137-139 .

[3] ابن خلدون يحيى ، بغية الرواد ، ج1 ، ص138 – 139.

[4] علي بن عثمان بن عبد الحق المريني يكنّى أبا الحسن ، أحد عظماء ملوك فاس ، ولد بتيفرديون في صفر سنة 697هـ ، بويع له بعد وفاة أبيه في ذي القعدة سنة 731هـ، توفي مسموما سنة 752هـ ، دفن بشالة من رباط الفتح ،وكانت دولته عشرين سنة وثلاثة أشهر. أنظر : ابن القاضي المكناسي ، المصدر السابق ، ص461.

[5] ابن خلدون عبد الرحمان ، تاريخ ابن خلدون، ج7، ص145.

[6] ابن الأحمر ، المصدر السابق ، ص72.

عبد الواد و مغراوة وتوجين تحت لوائه [1]، وبهذا انقرضت دولة بني زيان فترة من الزمن وأصبح المغرب الأوسط تابعا للمرينيين مدّة اثنتي عشرة سنة من 737هـ-749هـ/ 1336- 1348م.

### 2-3 عودة بني زيان

لم يتقبل بنو عبد الواد خسارة ملكهم وكانوا يتحيّنون الفرصة لاستعادة سلطانهم، وقد كان لهم ذلك إثر الهزيمة التي لحقت بالسلطان المريني في معركة القيروان سنة 749هـ/1348م[2]، بعد أن انقلب عليه عسكره المشحون بأعدائه من بني عبد الواد المغلوبين على ملكهم وبنو توجين ومغراوة ، فقد انحازوا إلى جيش العرب، وقاتلوا معهم ضدّ المرينيين فهزموهم هزيمة شنعاء[3]، بعد هذا النصر سارع بنو عبد الواد لإحياء دولتهم، فبايعوا أبا سعيد عثمان بن عبد الرحمان بن يحي بن يغمراسن بن زيان[4] ، وساروا إلى تلمسان وأحيوا بها ملك أجدادهم[5]، وعادت سيطرة بني عبد الواد على ندرومة ووهران وتنس والمدية وملیانة وبرشك وشرشال والجزائر ودلس[6].

ولم يكن الحكم للسلطان أبي سعيد عثمان لوحده، فقد كان أخوه أبو ثابت يشاركه في أمور الدولة ، فكانت الأمور السياسية بيد السلطان أبي سعيد ، أمّا الجيوش والألوية والحروب أي الأمور العسكرية فقد كانت بيد السلطان أبي ثابت[7] ، وقد قام الأخوان بتوجيه عدّة حملات عسكرية ضدّ المرينيين، منها خروج السلطان أبو ثابت لملاقاة السلطان أبي الحسن الذي نهض يريد تلمسان لكنّ السلطان أبا ثابت ألحق به الهزيمة، وسقط ابنه الناصر الذي قَدِم من بسكرة لمؤازرة أبيه قتيلا ، فرجع السلطان المريني إلى المغرب، وتهافت عليه أهلها مسرورين بعودته راغبين بولايته [8].

---

[1] ابن خلدون عبد الرحمان ، تاريخ ابن خلدون ، ج7 ، ص148.

[2] عبد الرحمان الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ،ط2 ، 1385هـ/1965م ، ج2 ، ص167.

[3] النّاصري ،المصدر السابق ، ج3 ، ص 160، 161.

[4] يكنّى بأبي سعيد بويع بتونس سنة 749هـ كان قد سكن الأندلس بغرناطة تحت إيالة الملوك من بني الأحمر وتوفي ذبيحا سنة 753هـ. أنظر : يحي ابن خلدون ، بغية الرواد ، ج1 ، ص143، 146.

[5] الناصري ، المصدر السابق ، ج3 ، ص163.

[6] يحي بوعزيز ، تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، صادر عن وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية، 2007م ، ص66.

[7] ابن خلدونيحي ، المصدر السابق ، ج1، ص151.

[8] الناصري ، المصدر السابق ، ج3 ، ص171 ، 172.

ولم تتوقف الأطماع المرينية في ضمّ تلمسان من جديد، فقد استعدّ السلطان المريني الجديد أبو عنان[1] لغزوها بسبب رفض الأمير أبي ثابت الإفراج عن حصار مغراوة ، فتحرّك إليه سنة 753هـ ، والتقى الفريقان بوادي القصب ، وكان النصر حليف المرينيين، وقُتل السلطان أبو سعيد ، أمّا أبو ثابت ومن معه فقد دخلوا تلمسان وأجمعوا أمرهم على اللّحاق بمدينة الجزائر، وانضم إليهم أكثر جيشهم وأشياعهم وتوجهوا غربا لحرب عدوهم ، فالتقوا بجيوش بني مرين بوادي شلف ، وكادت الهزيمة تلحق بالمرينيين لولا تدخل ونزمار بن عربي الذي أتى بالعرب كافة، فانقلبت رحى الحرب وانهزم الزيانيون، وأُخذ أبو ثابت أسيرا ثمّ قتل بعد ذلك بأمر من السلطان المريني[2].

وكان مع أبي ثابت ابن أخيه أبو حمّو[3] الذي هرب متنكرا إلى تونس والتجأ إلى السلطان الحفصي أبي إسحاق[4] والذي رحّب به وأحسن إليه ، وقد كان المرينيون في هذه الفترة يرغبون في استرجاع إرث الموحّدين ،هذا ما جعل السلطان المريني أبي عنان يتحرك سنة 755هـ/1355م، حيث استطاع أن يفتكّ مدينة بجاية من أيدي الحفصيين، و وجّه صاحبها الأمير أبا عبد الله إلى مدينة فاس،لكن الحفصيين لم يسكتوا عن ذلك، فقد تمّ استرجاعها سنة 761هـ من طرف المولى أبو إسحاق[5]، ومن أجل أن يسترجع كل من بني حفص وبني زيان دولتهما، فقد تحالف السلطان الحفصي مع أبي حمّو من أجل ذلك ،حيث انضمّ إليهما بنو عامر[6] وجماعات من زناتة ، فافتتحوا جبل عياض[7] وبلاد الزّاب[1] و وارجلا ،ثمّ غزوا أولاد

[1] فارس بن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني يلقّب بالمتوكل على الله ، ولد بفاس الجديدة سنة 729هـ ، بويع بتلمسان في حياة أبيه غدرا لما ذهب لغزو إفريقية سنة 749هـ، توفي مقتولا من طرف وزيره الحسن بن عمر الفودودي حيث خنقه وذلك سنة 759هـ. أنظر:ابن القاضي المكناسي ، المصدر السابق ، ص 508 ،510.

[2] التنسي محمد بن عبد الله ، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان ،مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان ، تح وتع: محمود آغا بوعياد ، موفم للنشر ، الجزائر ، دط ، 2011م ، ص 153 – 156.

[3] هو موسى بن يوسف بن عبد الرحمان ابن يحي بن يغمراسن بن زيان ولد سنة 723هـ/1353م ، استقرّ بدار ملكه سنة 760هـ ، توفي سنة 791هـ ، وكانت دولته 31 سنة .أنظر : يحي ابن خلدون ، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ، تح وتع: الدراجي بوزياني ، دار الأمل ، الجزائر ، دط ، 2007م ، ص40 ، 47.

[4] الأمير إبراهيم ابن أبي إسحاق ،ولد سنة 737هـ بويع بتونس سنة 751هـ وتوفي في رجب سنة 770هـ ،دامت خلافته ثمانية أعوام.أنظر: الزركشي ، المصدر السابق ، ص92، 104.

[5] ابن الشماع ، المصدر السابق ، ص102.

[6] بنو عامر بن زغبة ،مواطنهم في آخر مواطن زغبة من المغرب الأوسط قبلة تلمسان ممّا يلي المعقل وكانت مواطنهم قبل ذلك في آخرها مما يلي المشرق وهم ثلاثة بطون :بنو يعقوب وبنو حميد وبنو شافع.أنظر:عبد الرحمان ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج6، ص68.

[7] يبدو أنّه جبل القلعة :قلعة بني حماد وسمّي جبل عياض نسبة إلى عيّاض أولاد مشرف بن أثبج الذين سكنوه.أنظر: ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج6 ، ص33.

عريف وقتلوا منهم الكثير من بينهم عثمان بن ونزمار بن عريف ، وما لبثوا حتى جاءتهم بشرى وفاة السلطان المريني أبي عنان، وبهذا الخبر بويع أبو حمّو من طرف جميع من كان معه في الخامس من محرم سنة 760هـ، وتحركوا حتى وصلوا أوماكرا ، ولما سمع بهم أهل تلمسان تهافتوا عليه يبايعونه، ثمّ قصدوا تلمسان وكان بها محمد بن أبي عنان[2] فحاصروه مدّة جرت بينهما خلالها حروب ، ثمّ دخلوا أغادير ولما يئس المرينيون من النجاة طلبوا الأمان فأمنوا وسلّموا البلد وبايعوا أبو حمّو[3]، ثمّ أتاه أهل وجدة و ندرومة[4] و هنين[5]، و قبائل الساحل مبايعين وتلاهم بعد ذلك أهل مستغانم و تمزغزان[6]، و أهل البطحاء وأهل هوارة[7] وكلهم فرح وسرور بالسلطان الجديد ، ومما زاد في دعم مُلك أبي حمو، هو أنّ السلطان المريني أبي عنان ترك الكثير من الذّخائر والسروج والسيوف والفضة التي كان ينوي إرسالها كهدايا لملك النصارى، لكن الأحداث حالت دون ذلك ، وبقي كلّ شيء للملك الزياني[8].

لم يتقبل المرينيون ضياع تلمسان من أيديهم، وكان مَلِكهم آنذاك السعيد أبو بكر[9]، وكان وزيره يسيّر شؤون الخلافة بدلا عنه، وقد جمع أشياخ بني مرين يحدّثهم بما حلّ بالمنهزمين ويحرضهم على القيام إلى الزيانيين مرّة أخرى، وأنّ استرجاع تلمسان سيكون عونا لهم على البلاد الشرقية ووصلة لهم إلى بلادهم الغربية، وأجمعوا أمرهم على الخروج، فجهّز جيشا كبيرا واتجه نحو تلمسان و نزلوا بأحواز وادي الزيتون[10]،

---

[1] الزاب الكبير منه بسكرة وتوزر و قسنطينة و طولقة و قصفة و نفزاوة و نفطة و بادس، و الزاب أيضا كورة صغيرة يقال لها ريغ ،كلمة بربرية معناها الصبخة ، والزاب أيضا كورة عظيمة ونهر جرّار بأرض المغرب على البرّ الأعظم عليه بلاد واسعة وقرى متواطئة بين تلمسان وسجلماسة . أنظر: ياقوت الحموي ، المصدر السابق، مج2 ،ص124.

[2] محمد بن أبي عنان فارس بن أبي الحسن علي بن عثمان يكنّى أبا زيان أحد ملوك مدينة فاس بويع له وأبوه مريض عام 795هـ.أنظر: المكناسي، المصدر السابق ،ص157-159.

[3] التنسي ، المصدر السابق ، ص157- 159.

[4] مدينة في طرف جبل تاجرا من أرض المغرب وهي حسنة كثيرة الزرع والفواكه رخيصة الأسعار، لها مرسى مأمون مقصود عليه رباط يتبرك به. أنظر: الحميري ، المصدر السابق ، ص576.

[5] ناحية من سواحل تلمسان من أرض المغرب.أنظر: ياقوت الحموي ، المصدر السابق ، مج 5، ص419.

[6] مدينة بالغرب قريبة من مصب نهر شلف بينها وبين مستغانم 3 أميال .أنظر: الحميري، المصدر السابق، ص128.

[7] من بطون البرانس ولد هوّار بن أوريغ بن برنس إلاّ أنّ هناك من يرجعهم لعرب اليمن منهم من يقول أنهم من إحدى بطون قضاعة وآخرون يقولون أنّهم من ولد المتسور بن السكاسك بن وابل بن حمير .أنظر: عبد الرحمان ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج6،ص182.

[8] مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان ، تح و تق : الدراجي بوزياني ، مؤسسة بوزياني ، الجزائر ، دط ، دت ، ج2، ص78.

[9] أبو بكر السعيد ابن أبي عنان بن أبي سعيد ، بويع بعد أخيه محمد وأبوه مريض عام 759هـ، وخُلع في شعبان سنة 760هـ مات غريقا وكانت دولته سبعة أشهر. أنظر: المكناسي ، المصدر السابق ، ص104.

[10] مؤلف مجهول ، المصدر السابق ، ص80 ،81.

أمّا أبو حمّو فقد أُعلم من طرف جواسيسه بتحرك الجيش المريني، فأعدّ لهم العدّة لملاقاتهم، فخرج من تلمسان واتجه نحو الصحراء ليشدّ عضده بالأعراب هناك في حال توغّل المرينيين في البلاد، فانتقل بمن معه إلى بني عامر، ووصل الخبر إلى بني مرين، فبادروا إلى تلمسان فوجدوها خالية فاستوطنوها، لكنّ قبائل المعقل[1] حالت بينهم وبين بلادهم، فتأزّمت أمورهم وازداد خوفهم فاتفقوا على نقض عهد السلطان سعيد وتنصيب منصور بن سليمان مكانه وبايعوه ،ثمّ أشاروا عليه بترك القتال واللجوء إلى المصالحة فوافقهم، وبعثوا عقود المصالحة للمولى أبي حمّو وغادروا تلمسان، ولما وصل الخبر لأبي حمو رجع إلى دار ملكه بعد ما غاب عنها واحدا وعشرين يوما[2].

وقد اهتمّ السلطان أبو حمّو بتدعيم سلطته على كامل أنحاء المغرب الأوسط، فراح يسترجع الأراضي الخارجة عن نطاق حكمه ،فاستعاد وهران سلما،كما بعث بجيش لاسترجاع مدينة تنس[3] فافتتحها وكان ذلك سنة 760هـ/ 1361م[4]، وعلى الرغم من قوة السلطان أبي حمو إلاّ أنّ فترة حكمه لم تخل من الصراعات والمداهمات العسكرية ، فقد ثارت عليه عرب سويد وقبائل بني توجين والتي تحالفت مع القائد المريني يحي بن علي لكنّ الزيانيين تمكنوا من هزيمتهم[5] .

وبالنسبة لمدينة الجزائر فقد قام بحصارها مرتين ولم يتمكن من أخذها، هذا ما جعل أهلها يستنجدون بالسلطان المريني أبي سالم الذي لبّى النداء[6] ، وبعد حروب دامية وصراعات مريرة تمّ انعقاد

[1] من أوفر قبائل العرب ،مواطنهم بقفار المغرب الأقصى مجاورين لبني عامر من زغبة في مواطنهم بقبلة تلمسان وينتهون إلى البحر المحيط من جانب الغرب.أنظر : عبد الرحمان ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج6 ، ص77.

[2] مؤلف مجهول ، زهر البستان في دولة بني زيان ، ص 81 -85.

[3] مدينة حصينة قرب مليانة بعضها على جبل وبعضها في سهل الأرض، كثيرة الفواكه والزرع ،منها يحمل الطعام إلى الأندلس وإلى أكثر بلاد إفريقية والمغرب بنيت سنة 262هـ .أنظر:الحميري،المصدر السابق، ص138.

[4] يحي ابن خلدون ، بغية الرواد،ج2 ، ص130،129.

[5] مؤلف مجهول، زهر البستان ، ص108 ، 112.

[6] مؤلف مجهول ،زهر البستان ، ص 140-143.

الصلح والمهادنة بين الزيانيين و المرينيين، وتمّ إطلاق سراح أسرى كلّ طرف[1]، وقد تمكّن أبو حمّو من أخذ مدينة الجزائر صلحا حيث دخلها المولى أبو يعقوب[2] وأمر بإخراج بني مرين على الأمان[3].

## 2-4 تأثير الفتن على البيت الزياني

صحيح أنّ المرينيين أوقفوا الصراع العسكري لكنّهم كانوا يثيرون الفتن داخل البيت الزياني، ومنها فتنة أبي زيان محمد[4] الذي حرّضه السلطان المريني أبو سالم على ابن عمّه أبي حمّو ليستأثر بملك أبيه ويزاحمه في السلطة ، وقد نجح في ذلك، فقد ثار أبو زيان على عمّه في سنة 765هـ وانضمّت إليه قبائل المعقل بملوية، واتجهوا إلى تلمسان ،لكنّ عبد الله بن مسلم تمكّن من صدّه إلى الجهة الشرقية[5] ، وقد اعتصم أبو زيان بجبل تيطري وتمكّن من السيطرة على المدية والجزائر ومليانة سنة 767هـ، بعدها تحرّك السلطان الزياني لاسترجاع ما أمكن من الأراضي التي أصبحت تحت سيطرة أبي زيان، فافتكّ بلاد توجين قلعة بني سلامة سنة 768هـ ، ثمّ استرجع مليانة وانضمّ إليه عرب الذواودة[6] و زغبة[7] ورياح[8]، لكنّهم لم يستطيعوا هزيمته وبقي معتصما بالجبل[9] .

---

[1] مؤلف مجهول ،زهر البستان ، ص190 ، 197.

[2] هو والد السلطان أبي حمو موسى الزياني ،كان في رعاية السلطان أبي عنان عندما كانت تلمسان تحت الحكم المريني، حيث منع من حبسه وأسكنه بفاس كباقي الرعية إلى أن استرجع الزيانيون ملكهم وملك ولده أبو حمو فعاد إلى تلمسان ،أنظر: مؤلف مجهول ، زهر البستان ، ص99، 100.

[3] مؤلف مجهول ، زهر البستان ، ص 211 – 213.

[4] هو ابن السلطان عثمان بن عبد الرحمان بن يغمراسن الذي وقع في أسر السلطان المريني أبي عنان ولما تولّ أبو سالم الحكم فكّ أسره ونصبه بمجلس ملكه .أنظر:عبد الرحمان ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج7 ،ص167، 168.

[5] عبد الرحمان ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج7 ،ص167 -170.

[6] هم أبناء داود بن مرداس بن رياح ،وقد ملكوا ضواحي قسنطينة وبجاية من التلول ومجالات الزاب وريغ و واركلا وما وراءها من القفار من بلاد القبلة .أنظر : عبد الرحمان ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون،ج6 ،ص44، 45.

[7] هذه القبيلة إخوة لرياح وهم أبناء أبي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر،وقد كانت الدولة الزيانية تستظهر بهم وفي ذلك يقول ابن خلدون :« وأقطعتهم الدولة الكثير من نواحي المغرب الأوسط وأمصاره في سبيل الاستظهار بهم»أنظر، عبد الرّحمان ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ،ج6، ص54، 55.

[8] من أعزّ قبائل هلال وأكثرهم جمعا، وهم على ما ذكره ابن الكلبي رياح بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر.أنظر: ابن خلدون عبد الرحمان، تاريخ ابن خلدون ،ج6،ص43.

[9] نفسه ،ج7 ،ص174.

وفي سنة 769هـ ظهرت فتنة أولاد عريف الذين تمرّدوا على السلطان الزياني، وجرت بينهما معركة اقتتل فيها الفريقان وانهزم خلالها أبو حمّو وفرّ إلى تلمسان عبر الصحراء، ورجع الذواودة إلى وطنهم، أمّا بقية العرب من زغبة فقد تحيّزوا إلى الأمير أبي زيان الذي رجع إلى أوليائه من حصين متمسكا بولاية أولاد عريف ،ثمّ نزع محمّد بن عريف إلى طاعة السلطان أبي حمّو ،وفي سنة 770هـ تحرّك السلطان الزياني بقومه وكافّة بني عامر لحرب أبي بكر بن عريف الذي كان معتصما مع أتباعه بالجبال من دراك و التيطري ،وكان أبو زيان معهم، فدخل السلطان بلاد أولاد عريف ودمّرها وخرّب قلعة بني سلامة، وهي أحسن أوطانهم ثمّ رجع إلى تلمسان بعدما شفي غليله[1].

## 2-5 الصّمود الزياني

وفي سنة 771هـ تحرّك أبو بكر بن عريف لحرب الزيانيين بعدما استنجد بملك المغرب وكان له ذلك، وتمكنوا من السيطرة على وادي ملوية وجبل هنتانة، ثمّ اتصل الخبر بالسلطان أبي حمو الذي رفضت قبائل المعقل الانضمام إليه، حيث نزعوا إلى المرينيين وهذا ما كان سببا في انهزام الزيانيين واحتلال تلمسان من طرف السلطان المريني عبد العزيز وذلك سنة772هـ[2]، وغادر أبو حمو تلمسان إلى أن استقرّ به الأمر بجبل راشد، وهناك التفت حوله قبائل زغبة وسويد و الدياثم و العطاف، كما وصلته طاعة أبي بكر بن عريف[3] ، ولم تنطفئ نار الفتنة إلا بوفاة السلطان المريني أبي فارس سنة 774هـ، فانتهز أهل تلمسان الفرصة وثاروا على السلطة المرينية، وعاد أبو حمو إلى عاصمته بعد غياب دام سنتين، وجددت له البيعة ،وأول ما قام به القضاء على رؤوس الفتنة وعصاة القبائل، وصَالَحَ ابن أخيه أبي زيان ،ثمّ أشرك ابنه أبا تاشفين في الحكم، وعقد له بولاية العهد بعده، و ولاّه مدينة الجزائر سنة 776هـ/1375م[4].

وفي سنة 784هـ تعرّض السلطان أبو حمّو لغزو مريني آخر ،جعله يغادر تلمسان للمرّة الرابعة ،وكانت وجهته إلى الصحراء للاحتماء بها، وقد مكث فيها إلى غاية 786هـ، حيث اعتلى العرش مرة

[1] حماه الله ولد السالم ،تاريخ الأمازيغ والهجرة الهلالية، مقتطف من كتاب العبر لابن خلدون مع دراسة قبائل البافور الغامضة، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ،دط ،دت، ج2 ، ص152، 153.

[2] ابن خلدون ،تاريخ ابن خلدون ،ج7، ص176.

[3] عبد المالك بكاي ، المرجع السابق ، ص54.

[4] عبد الرحمان الجيلالي ، المرجع السابق ، ص177.

أخرى ، ومن هنا يتبين ثبات وصبر أبي حمّو وتمسّكه بعرشه وعدم تركه للعدو، فرغم أنّه انهار أربع مرّات إلاّ أنّه يحاول في كلّ مرة النهوض بدولته وإحيائها من جديد[1] .

لم يتوقف بنو مرين عن زرع النزاع في البيت الزياني لإضعافه ،فقد نجحوا في إثارة الأمير أبي تاشفين وتحريضه ضدّ والده أبي حمّو ، ولتهدئة الأوضاع خلع أبو حمّو نفسه وترك منصبه لولي عهده، ثمّ خرج على أنّه يريد الحج، ولما وصل إلى بجاية استجاش بكل من ببلاده الشرقية، وعاد إلى تلمسان ففرّ منه المولى أبو تاشفين الذي اتجه إلى فاس مستصرخا بالمرينيين ،وهو ما كانوا ينتظرونه بالضبط، فبعث معه السلطان المريني أحمد[2] جيش عظيم بقيادة زيان بن عمر الوطاسي، ووصل الخبر إلى أبي حمّو، فخرج إلى لقائهم بمن معه وكان اللقاء بجبل بني ورنيد، ووقع بينهما قتال شديد ،وقد كبا الفرس بالسلطان أبي حمو فاستشهد وكان هذا في غرة ذي الحجة سنة 791هـ[3]، أمّا ابن الأحمر فيذكر أنّه قُتل من طرف محمد بن يوسف بن علال وزير السلطان المريني أبي العباس بموضع يسمى الغيران قرب تلمسان[4] .

## 2-6ضعف وتقهقر الزيانيين

بوفاة السلطان أبي حمو تولى ابنه أبو تاشفين الحكم سنة 791هـ/1389م[5]، وكان متحالفا مع المرينيين، حيث أنه يخطب لسلاطينهم على منابر المغرب الأوسط، فقد كان حاكما للدولة الزيانية لكن بتبعية للمرينيين ، كما كان يدفع لهم الإتاوة، لكن ما لبث أن ثار عليه أخوه أبو زيان في رجب 792هـ /1390م، حيث استصرخ بأحياء حصين من العرب للخروج إلى أبي تاشفين انتقاما لموت أبيه أبي حمو ، لكنّ السلطان أبي تاشفين جعل العرب ينقادون إليه بعدما أغدقهم بالعطايا والأموال، وهذا ما كان سببا في انهزامه ولجوئه إلى الصحراء مستنجدا بعرب المعقل حيث خرجوا معه، لكنّ جيوش بني مرين ردته فاستصرخ بملك فاس الذي وعده بالانتصار له من أخيه ، لكنّ المنية وافت أبي تاشفين في ربيع الثاني سنة 795هـ[6].

---

[1] عبد العزيز فيلالي ، تلمسان في العهد الزياني، ج1 ، ص 56.

[2] أبو العباس أحمد بن أبي سالم بن أبي الحسن يلقب بالمستنصر بويع أولا بطنجة سنة 775هـ، ثمّ بويع البيعة العامة بالمدينة البيضاء سنة 776هـ،ثمّ خلع سنة 786هـ ،ثمّ تولى الحكم للمرة الثانية سنة 789هـ بعد مضي ثلاث سنين وخمسة أشهر من خلعه .أنظر: الناصري ، المصدر السابق ،ج4، ص61، 73،69.

[3] التنسي ، المصدر السابق ،ص180 ،181.

[4] ابن الأحمر ، المصدر السابق ، ص76.

[5] التنسي، المصدر السابق ، ص184.

[6] عبد الرحمان الجيلالي ،المرجع السابق ، ص 180،181.

## 2_7 الصراع على الحكم

وعرف البيت الزياني بعد وفاة أبي تاشفين منافسة شديدة بين أمراء بني عبد الواد على كرسي الخلافة ، فتولّى الحكم بعده ابنه أبي ثابت يوسف[1] بعد أن قام بقتل الوزير أحمد بن العز الذي قام بتنصيب صبي من أبناء السلطان الهالك على كرسي الخلافة، وتولّى هو إدارة أمور الدولة[2] ،لكن فترة حكم أبي ثابت لم تكن سوى أربعين ليلة، حيث غدره عمّه أبو الحجّاج يوسف بن أبي حمّو وقتله وخلفه في الحكم حيث بويع منسلخ جمادى الأولى سنة 795هـ/1393م ،وقد كانت بدايته على النهج الصحيح في الحكم لولا تدخل بني مرين الذين أشعلوا نار الفتنة مرة أخرى ،حيث أغاروا صدر أخيه أبي زيان أخير الذي قام بخلعه بعد مرور عشرة أشهر من دولته، ولم يكتف بخلعه فحسب بل أمر العرب بقتله ليسلم من شره نهائيا وهو ما كان له ،و بويع أبو زيان سنة 797هـ/1394م، وقد كان حسن السياسة محبا للعلم، وأشرقت في أيام حكمه شمس بني زيان[3]،لكنّ فترة حكمه لم تدم طويلا لأنه وكما جرت العادة عند المرينيين لا يهنأ لهم بال إذا استقرّ أمر بني زيان، فقد قاموا بتحريض أخيه أبي محمد عبد الله بن أبي حمو والذي خرج بجيش كبير ومعه بنو مرين متجها إلى أبي زيان سنة 801هـ،هذا الأخير الذي خرج من تلمسان متخليا عن خلافته، متجها نحو الشرق وبقي هناك إلى أن قتل سنة 805هـ[4].

وهكذا أضحت الدولة الزيانية كالكرة في أيدي بني مرين ،فهاهم يُنصّبون من يرونه مناسبا لخدمة مصالحهم، وما إن ترى فيه بعض الألفة لدولة بني عبد الواد حتّى تزيحه بطريقتها المألوفة ،وهي إثارة الفتنة بين أفراد الأسرة الزيانية .

وتولى الحكم بعد أبي محمد عبد الله أخوه أبو عبد الله محمّد المعروف بابن خولة سنة 804هـ بإعانة من السلطان المريني عثمان، الذي بعث معه جيشا دخل به تلمسان[5]، وقد تميزت فترة حكمه بالاستقرار السياسي والرّخاء، كما كان يحسن معاملة رعيته ، غير أنّ المنية وافته في ذي القعدة عام 813هـ ،ثمّ بويع بعده ولده عبد الرحمان في نفس السنة، لكنّ عمّه السعيد خلعه بعد شهرين وبعض الأيام من ولايته، وبويع مكانه في أواخر محرم سنة 814هـ، لكنّ بني مرين خلعوه ونصّبوا مكانه أخوه عبد الواحد في رجب من نفس السنة[6] ، وتعتبر فترة حكمه من أحسن الفترات التي مرت بها الدولة الزيانية في مرحلة

[1] التنسي ، المصدر السابق ، ص206.

[2] عبد الرحمان ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج7 ، ص482.

[3] التنسي ، المصدر السابق ، ص206 – 211.

[4] نفسه ، ص 227 ،229.

[5] ابن الأحمر ، المصدر السابق ، ص 84.

[6] التنسي ، المصدر السابق ، ص232 - 235.

الضعف،حيث استطاع أن يستقلّ بحكمه عن الدّولة المرينية على خلاف الحكام السابقين الذين طالما أعلنوا ولاءهم للمرينيين .

## 2-8 السيطرة الحفصية على المغرب الأوسط

وقد تمكّن السلطان عبد الواحد من فتح العاصمة المرينية فاس، وولّى عليها السلطان محمّد بن أبي طريق ابن أبي عنان المريني الذي أعلن ولاءه وطاعته لبني زيان[1] ، وبهذا النصر الذي حقّقه السلطان الزياني ثارت مخاوف الحفصيين في أن تطمح نفس عبد الواحد في ضمّ الجهة الشرقية ،هذا ما جعل السلطان الحفصي أبي فارس عبد العزيز[2] يتجه إلى تلمسان، حيث افتتحها وقام بعزله، ونصّب مكانه الأمير محمّد ابن السلطان أبي تاشفين ابن أبي حمّو بعد أن استولى على جميع ما فيها، وكان ذلك في شهر جمادى الثانية سنة 827هـ[3]، ومن هنا بدأت التدخلات الحفصية في الشؤون الزيانية بعد فترة طويلة من السِّلم بينهما.

بعد استيلاء السلطان الحفصي على المغرب الأوسط اتجه إلى فاس حيث خضعت له بنو مرين سلما وكذلك الأندلس، وبهذا سيطر أبو فارس على كامل المغرب الإسلامي، وما إن استتبّ الأمر للسلطان الزياني أبي تاشفين المعروف بابن الحمراء حتّى أقلع عن الخطبة للحفصيين، وأراد الاستقلال بملكه[4]، ممّا جعل السلطان الحفصي يعزله ويولّي مكانه أبا مالك عبد الواحد من جديد بعد حصار تلمسان، وكان ذلك في رجب سنة 831هـ، أمّا ابن لحمراء فلم يرد التفريط في كرسيه حيث اتجه إلى تلمسان مستجيشا بعربها، وتمكّن من دخولها في ذي القعدة عام 833هـ، وقتل السلطان عبد الواحد صبيحة تلك الليلة [5].

بوفاة السلطان عبد الواحد تولى ابن الحمراء الحكم للمرة الثانية لكنّ فترة حكمه دامت أربعة وثمانون يوما فقط، حيث أنّ السلطان الحفصي باغته بحملة على تلمسان جعلته يفرّ إلى بني يزناسن ،ثمّ

---

[1] نفسه ، ص240 ،241.

[2] أبو فارس عبد العزيز ابن السلطان أبي العباس أحمد ولد بقسنطينة سنة762هـ أو 763هـ وبويع بتونس يوم وفاة والده سنة 796هـ. أنظر:الزركشي ، المصدر السابق ، ص 114.

[3] الزركشي ، المصدر السابق ، ص125 ، 126.

[4] نفسه،ص126 ،127.

[5] التنسي ، المصدر السابق ، ص245.

قتله بعد ذلك ونصّب مكانه عمّه أبا العبّاس أحمد العاقل سنة 834هـ/1431م ،وكانت الأمور في بداية حكمه مستقرة ،لكن ما لبث حتّى اضطربت الأوضاع وكثرت الفتن ،حيث ثارت عليه العرب وقبائل زناتة وبدأ التنافس على العرش، حيث ظهر الأمير الزياني أبو يحي ابن المولى أبي حمّو، وجرت بينه وبين أخيه العاقل حروب، وقد تمكّن من الاستيلاء على وهران سنة 838هـ، غير أنّ السلطان العاقل انتزعها منه سنة 852هـ ، كما ثار عليه أبو عبد الله محمد المستعين سنة 841هـ، والذي سيطر على الكثير من المناطق الشرقية على غرار متيجة و المدية و مليانة و تنس ،كما بايعه أولاد بليل و مليكش وبنو عمر بن موسى وكذلك أهل إيبلي و الثعالبة ، لكنّ أهل الجزائر اتّفقوا على الغدر به لما رأوا من تزايد شأنه فقتلوه سنة 843هـ[1].

## 2–9 العودة من جديد

وفي سنة 850هـ ثار عليه أحمد الناصر بن أبي حمو لكنّه تمكن من القبض عليه وقتله ،واستمرّ السلطان أحمد العاقل في حكمه يتخبط في الفتن والاضطرابات إلى أن تمكّن محمّد المتوكّل من خلعه سنة 866هـ، بعدما استولى على وطن بني راشد و هوارة و مستغانم و تمزغزان و وهران وأخيرا تلمسان[2]، وكان المتوكل من بين أحسن الملوك الذين عرفتهم الدولة الزيانية، حيث تمكّن من إعادة بعض المجد والقيمة للدولة كما استطاع أن يقضي على نفوذ الحفصيين في المنطقة[3]، وبقي أبو ثابت محمد المتوكل على كرسي الخلافة إلى أن وافته المنية سنة 890هـ فخلفه ابنه تاشفين[4] .

## 2–10 السقوط النهائي للزيانيين

وبعد عهد المتوكل عرفت الدولة الزيانية ضعفا ووهنا بسبب عدم كفاءة سلاطينها وثورات القبائل، بالإضافة إلى الخطر المسيحي وتردد الإسبانيين على سواحل المغرب الأوسط[5]، حيث تمكنوا من الاستيلاء

[1] التنسي ، المصدر السابق، ص 246- 251.

[2] نفسه ،ص253 ،254.

[3] محمود بوعياد ، جوانب من الحياة في المغرب الأوسط في القرن التاسع هجري/الخامس عشر ميلادي،الشركة الوطنية ، الجزائر ،دط، 1982م ،ص18.

[4] عبد الرحمان الجيلالي ، المرجع السابق ، ج2،ص195.

[5] لقد خضعت العديد من القبائل العربية لنفوذ الإسبان ،كما تحالفت أخرى معهم وهذا ما ساعد الإسبانيين في بسط نفوذهم على المغرب الأوسط، ويؤيد هذا قول أحمد الشقراني الراشدي :« حتى انحاش إليه كل رقيق وجاني مثل قيزة وشافع و حميان وغمرة وبني ونزار وأولاد علي وكل من هو ضعيف الإيمان، فصاروا شيعتهم وقويت بهم شوكتهم، فكانوا عيونه الذين يتطلع بهم على عورات المسلمين وأعوانه الذين يشن بهم الغارات على الأبعدين، ويقتحم حلل المسلمين ودورهم فيأخذ مالهم وينتهك حريمهم.....» .أنظر: أحمد بن عبد الرحمان الشقراني الراشدي ، القول الأوسط في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط ، تح وتق :ناصر الدين سعيدوني ، البصائر الجديدة ،الجزائر،ط2، دت،ص63.

على المرسى الكبير سنة 911هـ ،ثمّ تلاه سقوط وهران بأيديهم سنة 915هـ/1509م، وبعدها بجاية[1]، وبهذا بدأت الدولة بالاضمحلال شيئا فشيئا إلى أن ظهرت قوة جديدة على ساحة الأحداث متمثلة في العثمانيين، الذين دخلوا الجزائر أساسا بطلب من أهلها، حيث تحالفوا معهم وخاضوا حروب الجهاد في البر والبحر معا لردع الخطر المسيحي وتوطيد الأمن والاستقرار[2] ، ومع ذلك أظهر بعض الحكام ولاءهم للإسبان رغبة منهم في التمسك بالسلطة، مثل ما حدث مع آخر سلطان زياني وهو السلطان مولاي الحسن بن عبد الله الثاني الذي تولى الحكم سنة 957هـ/1550م، مما أدّى إلى إصدار فتوى لخلعه وكان ذلك سنة 962هـ/1554م ،وبهذا سقطت الدولة الزيانية نهائيا لتحلّ محلها الدولة العثمانية بالجزائر[3] .

ما يمكن استخلاصه مما سبق هو أن القبائل العربية استطاعت أن تفرض نفسها وتجد لها مكانا مناسبا في المغرب الأوسط، ولقد رأينا مدى تورط هؤلاء في اللعبة السياسية، فقد كانوا هم المتحكمين في علاقتهم بالسلطة، فتارة يكونون خدّاما لهم يساعدونهم في حروبهم ومعاركهم فيكونون قوة دعم ومساندة، وتارة يثورون عليهم فيكونون قوة عداء وعصيان، وقد تضرّرت منهم الأرياف بصفة أكبر، فلم يقتصروا على إثارة الحروب والفساد والتدمير فحسب، بل تعدّاهم ذلك إلى الغصب ،وهذا بسبب عجز السلطة عن إيقافهم، لأنّها ترى في ذلك خطرا عليها، هذا ما جعلها تستسلم وتقف عاجزة أمام أفعالهم، حتّى أنّهم كانوا يتقرّبون إليهم بالعطايا مخافة انقلابهم عليهم، وهو ما تثبته نازلة «عن أرض معروفة لأناس ومنسوبة إليهم قديما وحديثا ينتفعون بها بالحراثة وغيرها ويؤدون خراجها للإمام الخليفة ، ثمّ إنّ الإمام ملكها لرجل من شيوخ العرب لما رأى فيه من المصلحة .....[4]»، وممّا يدلّ أيضا على هيمنة الأعراب أنّ قرىً بأكملها كانت تابعة لهم وتحت أيديهم[5]، وهناك العديد من النّوازل التي تثبت حجم الضّرر الذي يلحقه الأعراب بالأرياف وتخويفهم لأهل القرى ممّا يجعلهم يفرون مخافة تعرّضهم للقتل ، فقد سُئل الشيخ سيدي قاسم

العقباني عن« أهل قرية جاءها أعراب خيلا ورجالا بنجوعها فقاتلهم من بقي بها يوما واحدا وكان الجلّ من أهل القرية قد فرّ بنفسه وماله وبما خفّ من متاعه، وهؤلاء الأعراب يزيد رجلهم على ألفي رجل

[1] محمود بوعياد ، المرجع السابق ، ص21.

[2] أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، دار الغرب الإسلامي ،ط1، 1998م،ج1 ،ص141.

[3] عبد الرحمان الجيلالي ، المرجع السابق ، ج2 ، ص 229 ، 230.

[4] المازوني يحيى بن موسى ، المصدر السابق ، ج4، ص21.

[5] نفسه ، ج3 ، ص282.

وفارسهم على خمسمائة فارس وناشبوها القتال من جهات.....[1]» ،فهذه النازلة تبين مدى نفوذ الأعراب في غياب السلطة الحاكمة.

لقد تأثرت أرياف المغرب الأوسط بالجانب السياسي والعسكري ،فقد أحدثت الصراعات القبلية والصراعات بين الأسر الحاكمة (المرينيين و الحفصيين و الزيانيين)، بالإضافة إلى الصراعات الشبه دائمة بين البلاط والسلطات المحلية (العرب والبربر) ضجّة كبيرة في أوساط سكان هذه الأرياف الذين أصبحوا يعيشون في فوضى بالإضافة إلى اللاّ استقرار وانعدام الأمن .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

**3/ الأوضاع الاجتماعية**

[1] المازوني يحيى ، المصدر السابق ، ج1 ، ص386.

إنّ مجتمع ريف المغرب الأوسط كغيره من المجتمعات له قوانين تحكمه وعادات وتقاليد وأعراف تميّزه، وهو متمسّك بها ولا يمكنه التخلي عنها، ويبدو أنّ مجتمع ريف المغرب الأوسط كان متماسكا إلى حدّ ما ،فبالإضافة إلى العنصر البربري الذين هم أصل السكان تميزت التركيبة السكانية لريف المغرب الأوسط بوجود عناصر أخرى كالعنصر العربي وأهل الذّمة إذا ما استثنينا ما كان يقوم به بعض الأعراب من غصب ونهب وسلب، وهذه بعض الملامح عن الحياة الاجتماعية في ريف المغرب الأوسط.

## 3-1 الزواج وتكوين الأسرة بأرياف المغرب الأوسط

تعتبر الأسرة النواة الأساسية لتشكّل أي مجتمع، ويشكّل الزّواج أوّل لبنة لبناء الأسرة فهو الوحدة الأساسية لبنائها ،ولم يكن اتخاذ القرار في الزواج من نصيب البنت بل كان الأب يزوّجها دون علمها[1] ، حتّى أنّه يقوم بتهديدها في حال رفضت الزّواج كما ورد في إحدى النوازل «....وقالت كنت غير راضية فقيل لها :كيف وأنت أفصحت بالرضا بالمرابطين...و وكلت أباك، قالت نعم لكنّي كنت أنظر إلى أبي وبيده سكين وإن لم أقل ذلك لقتلني بسكينه.....[2]»، وفي حالة غياب الأب كان الأخ يتولّى تزويج أخته[3]، وقد انعكس إكراهها على الزواج سلبا، فكثيرا ما تمتنع المرأة من الرّجل في ليلة البناء وتصارحه بعدم رضاها به[4]، وكثيرا ما تهرب البنت إلى من تلتمس فيه الخير أو من يقربها تعبيرا منها عن رفضها للزّواج [5]،ومنهن من تهرب بعد الزواج كما جاء في إحدى النّوازل «.....ودخل بها الزوج تلك الليلة ولا صدر منها نفور ولا سخط ولا ما يستدلّ على عدم رضاها وارتحل زوجها من الغد بها لدوّاره فلمّا قربت من بعض الزوايا لجأت إليها وتمنعت وقالت كنت غير راضية ....[6]»،كما شاعت ظاهرة تهريب المرأة بالأرياف فعادة ما يقوم الرجل بالاستعانة ببعض اللّصوص أو العصاة لجلبها من دوّارها[7] ، وقد تهرب المرأة بإرادتها مع الرّجل الذي تريده[8]، وقد شاعت ظاهرة هروب المرأة بجبال قسنطينة، فقد كانت نساء هذه الجبال

[1] المازوني يحي ، المصدر السابق ، ج2 ،ص105،106.
[2] نفسه ، المصدر نفسه ، ج2، ص149 ،150.
[3] نفسه، ج2 ، ص 102 ،103.
[4] نفسه ، ج2 ،ص 138.
[5] نفسه، ج2 ،ص 149.
[6] نفسه ،ج2 ،ص 149 -150.
[7] نفسه ،ج2 ، ص150.
[8] المازوني يحي، ج2 ، ص127.

تقمن بالفرار إذا لم يرضين بأزواجهن وتترك المرأة الهاربة أولادها، وربما تتخذ زوجا آخر في الجبل لذي تهرب إليه، خاصة إذا كان عدوا لجبل زوجها، هذا ما أدى إلى وقوع نزاعات ، لكن غالبا ما يصلان إلى اتفاق بدفع مبلغ من المال أو عن طريق التبادل، وذلك أن يزوج الرجل الذي أخذ المرأة الهاربة إحدى بناته أو أخواته لزوج المرأة الهاربة[1].

وفيما يخص العقد فإنّ عادة أهل الريف عدم الكتب حين العقد وعدم حضور من يعرف أركان النكاح[2]، وبالنسبة للصداق فإنّ أنكحة البادية لا تسمّى فيها صداقاتهم ولا يشهدون عليها وقت العقد لكن عند البناء ، كما أنّ الصداق عندهم معروف مقدّر لا يزاد لجمال ولا ينقص لقبح ونحوه[3].

وقد كان بإمكان أهل البنت أن يضعوا شروطا ،كأن يشترطوا على الخاطب أن يسكنها في الحاضرة وإلاّ رفضوه[4]، وهناك من الرجال من يضع شروطا أيضا، فقد تحدثت إحدى النوازل عن رجل حلف بالحرام ألا يسكن مع صهرته في دوّار واحد[5]، ومن عادات الزواج أن يدفع الزوج لأهل العروس هدية يطعمون منها لأهل العروس والعروسة وغيرهم[6].

كما عرفت أرياف المغرب الأوسط تفشي بعض المظاهر اللاّ أخلاقية، فقد شاعت ظاهرة التقاء الرجل بالمرأة والخلوة بها إذا خرجت للاستسقاء، أو لغسل الصوف، أو للحطب على عادة أهل الريف وكثيرا ما يقعان في الحرام[7]،كما شاعت ظاهرة الزنا سواء بين المقترنين بلا عقد أو بلا اقتران أصلا ، فقد ورد في العديد من النوازل تصريح الزوجين بوقوعهما في الفساد قبل الزواج[8] .

---

[1] الوزان ، مصدر سبق ذكره ، ج2 ، ص103.

[2] نفسه ، ج2 ، ص109.

[3] الونشريسي أبي العباس أحمد بن يحيى ، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب ، تخر :جماعة من الفقهاء ، إشراف ، محمد حجي ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ،المملكة المغربية ، دط، 1401هـ/ 1981م ، ج3 ،ص 304-305.

[4] المازوني يحيى ، المصدر السابق ، ج2 ، ص113.

[5] الونشريسي ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 294- 295.

[6] نفسه ، المصدر نفسه ، ج3 ، ص92.

[7] الونشريسي ، المصدر السابق ، ج4 ، ص475.

[8] المازوني يحيى، المصدر السابق ، ج2 ،ص 289، 301.

وقد تميزت العلاقات الزوجية بالانسجام والتلاحم تارة، وبالنّزاع والتنافر تارة أخرى، فكثيرا ما سعت المرأة إلى كسب ودّ زوجها حتىّ أنّها تَهِبُهُ ما تملك من أملاك وعقار[1] ،أمّا المشاكل الزوجية التي كثيرا ما أدّت إلى تصدّع الحياة الزوجية فلها عدّة أسباب منها :شتم الزوجة لوالد زوجها[2]، بالإضافة إلى كثرة تردّد الزّوجة على زيارة أهلها لعدة مرّات في اليوم[3]، ومن أسباب النّفور أيضا إيذاء الزّوج لزوجته وضربها وشتمها[4] ،كل هذه المشاكل عادة ما كانت تؤدي إلى طلب المرأة للخلع أو حلف الرّجل بطلاق زوجته ، ومن الأمور الشائعة عند الرّجال والتي كان لها تأثير على الحياة الزوجية، أنّ الرجال يستعملون الحلف بالطلاق في أغلب الأمور، وتورد بعض النّوازل أنّ رجلا حلف بالطّلاق لا حرث بالمكان الذي يحكم فيه الوالي الجديد[5] ، هذه بعض المقتطفات التي توضح بعض ملامح الأسرة الريفية .

### 3-2 بعض العادات بأرياف المغرب الأوسط

أمّا في ما يخص العادات فمن عادات أهل الريف إكرام الضيف حتّى أنّه فيهم من يذبح لضيفه شاة[6] ، ومن عاداتهم أيضا أنّ المرأة تخرج بادية الوجه والأطراف وهي التي تقوم بقضاء حوائجها، وقد أفتى الفقهاء بعدم جواز ذلك وعلى الرجل أن يمنع زوجته من هذا فإن تركها لا تجوز أمانته[7]، ومن عاداتهم أيضا الاختلاط في الأعراس والولائم، حتّى أنّ النساء يرقصن والرّجال يكفّون، وقد منع الفقهاء هذه العادة حتى أنّهم يجرّحون الزوج الذي يسمح لزوجته بحضور هذه الحفلات[8] .

وقد كانت المرأة الريفية أقلّ حظّا من نظيرتها في المدينة، فقد شكت إحدى نساء الحضر لقاضي الأنكحة وجع يدها من العجن فأمر زوجها بشراء خادم لها، ولما شكته البدوية شدّة خدمتها في الطحن

[1] الونشريسي ، المصدر السابق ، ج3 ،ص 243.
[2] المازوني يحيى ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 257.
[3] نفسه ، ج2 ، ص 37.
[4] نفسه ، ج2 ، ص16.
[5] الونشريسي ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 309.
[6] المازوني يحيى، المصدر السابق ، ج5 ، ص76.
[7] نفسه ،ج4 ،ص 210.
[8] نفسه ،ج2 ،ص 455.

وحمل الماء والحطب وغير ذلك ممّا تخدمه النّساء في البادية ومشقتها، أمرها أن تبقى معه على ذلك لأنّ نساء البوادي دخلن على ذلك[1].

وفي مجال التّعليم فإنّ أهل القرية يجلبون معلّما لتعليم الصّبيان ويدفعون له أجرة مقابل ذلك، وفي بعض الأحيان يتولّى الإمامة والأذان بالإضافة إلى التعليم[2]، وقد جرت العادة أن يأخذ المعلّم في فصل الربيع مخضة زبدة عن كل بيت له ولد يدرس، أو من لا ولد له، ويسمّونه خميس الطّالب ،وقد أفتى الفقهاء بجواز ذلك إن كان على وجه التبرع أو التبرك لما خصّ به حفظة كتاب الله من الكمال ، وإن كان شرط في عقد الإجارة فلا يجوز ذلك لجهل مقدار غلة الخميس[3] .

أمّا في مجال الرعي فإنّ أهل القرية يضمّون مواشيهم ويحرزونها بالدّولة ،وتحرز المواشي كل واحد منهم يومه، كما كانوا يرعون البقر بالليل ويتناوبون على ذلك أيضا، وعادة ما تقع خلافات بينهم كأن يغفل أحد في نوبته فتضيع منه شاة أو أن تهلك زرع إنسان[4].

وبالنسبة للطعام فإن طعام الريف مختلف عن طعام الحضر فأهل الريف يأكلون اللحم أكثر من أهل الحضر، وطعامهم بسيط من دقيق القمح أو الشعير والإدام ، وللعرب أكلة شائعة ، وهي الثريد الذي يصنع من ماء الزبيب يضاف إليه عجين ونحوه ، والبازين من دقيق الشعير مضافا إليه زيت الزيتون والماء،'وخبز الشعير في التنور والبسيسة بزيت الزيتون، و الأكلات الأكثر انتشارا في الريف هي الأكلات التي يدخل فيها زيت الزيتون والدقيق[5]، أمّا تحضير الطعام فقد كان يتم بواسطة نار الحطب لذلك كان الاحتطاب عمل ضروري لأهل الريف ،فبالإضافة لطهي الطعام فقد كانوا يتدفئون به في فصل الشتاء.

ممّا سبق نلاحظ شيوع العديد من التصرفات المنافية للشرع بالوسط الريفي كإكراه المرأة على الزواج واعتزالها وهروبها مع الرجال،بالإضافة إلى انتشار ظاهرة الطلاق والتي عادة ما تكون لأسباب تافهة والتلاعب باليمين في ذلك،كما يتبين لنا حرص سكان الريف على تعليم أولادهم بجلب معلم مخصص

[1] البرزلي أبو القاسم بن أحمد البلوي التونسي، جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام ،تق و تح : محمد الحبيب الهيلة ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ،ط1 ، 2002م ، ج2 ، ص 359-360.

[2] المازوني يحي ، المصدر السابق ، ج3، ص 380 ، 384.

[3] الونشريسي ، المصدر السابق ، ج8 ، ص 261.

[4] نفسه ، المصدر نفسه ، ج8 ، ص 330 ، 339.

[5] عبد الرحمان بشير، " الريف في إفريقية من خلال نوازل أبي القاسم البرزلي (ت814هـ/1438م )" ، دارعين ،(2015)، منشور على الموقع الالكتروني:www.dar-ein.com.

لذلك مقابل أجرة تدفع له ،وفي بعض الحالات يتولى الأذان والإمامة إلى جانب التعليم، وما كثرة النوازل الفقهية لهذه المظاهر إلاّ دليل على حرص الفقهاء على مواكبة حياة البيئة الريفية المهمشة، وما هو إلاّ دليل على حرصهم لتصحيح المغالطات التي يقع فيها سكان الوسط الريفي وتوجيههم وفق ما يقتضيه الشرع.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

## 4/ الحياة الاقتصادية

### 4-1 نظام الأرض بريف المغرب الأوسط

إنّ التمييز بين أنواع الأراضي المنتشرة في ريف المغرب الأوسط يعتبر أمرا ضروريا، لأنّ الأرض هي العصب الرئيسي للإنتاج الفلاحي وما يتبعه من ثروة حيوانية وأدوات العمل الفلاحي و الزريعة....[1]، ولا يمكن معرفة هذه الأراضي دون الرّجوع للجانب الفقهي، حيث تعدّدت آراء الفقهاء في أرض المغرب «فقيل عنوية وقيل صلحية وقيل التفصيل بين السهل والجبل وقيل بالوقف.....،و أمّا بلاد افريقية فهي معظم بلاد المغرب فيها بلاد ليست صلحية ولا عنوية .....وإذا خفي خبر الأرض ولم يعلم هل هي صلح أو عنوة أو أسلم عليها أربابها فهي لمن وجدت بيده وإن كان لا يدرى بأي وجه صارت إليه ...»[2]، لذا فإنّ التشريعات الإسلامية هي الوحيدة القادرة على الفصل في حكم هذه الأراضي دون إبعاد العوامل التاريخية وأخذها بعين الاعتبار ، لذا نجد أنّ اهتمام الفقهاء كان بارزا في معرفة أرض المغرب حتى يتمكنوا من تحديد نوع الضرائب التي تفرض على ملاك الأراضي وتحول لبيت المال[3]، أمّا أنواع الأراضي التي عرفها ريف المغرب الأوسط فهي كالتالي :

### 4-1-1 أراضي الأحباس

وتسمى أيضا أراضي الوقف[4]، وهي الأراضي التي انتقلت ملكيتها من الملكية الخاصة إلى الملكية العامة ،وكانت هذه الأراضي تحبّس على المساجد والزّوايا[5] حتى على عابري السبيل ،فقد تميزت هذه الفترة بانتشار الزوايا وتأثر السلاطين بشيوخها ممّا جعلهم يحوّلون مساحات من الأراضي لصالح هذه الزوايا وخدمتها[6] ، كما أنّ هناك من يقوم بتحبيس ملك ما لعابري السبيل كما جاء في النازلة« أنّ رجلا حبس

---

[1] محمد حسن ، "الريف المغربي في أواخر العصر الوسيط ، مدخل لدراسته من خلال نوازل المعيار للونشريسي" ، مقال ضمن ملتقى : " Le monde rural magrebin , cmmunauté et stratifications social(oran26,27,28)novembre 1983.tome1,opu,Alger.p96 .

[2] الونشريسي ، المصدر السابق ، ج9 ، ص73 ، 74.

[3] محمد فتحة ، النوازل الفقهية والمجتمع ، أبحاث في تاريخ الغرب الإسلامي( من القرن 6هـ-9هـ /12م -15م) ،كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الدار البيضاء ، دط، 1999م ، ص333.

[4] عبد الرحمان بشير،" الريف في إفريقية من خلال نوازل أبي القاسم البرزلي (ت814هـ/1438م )" ، دارعين ،(2015)، منشور على الموقع الالكتروني:www.dar-ein.com.

[5] «سئل الشيخ أبو الفضل العقباني عن مسجد حبست عليه زوج ترابية فدثرت عمارة المسجد بحيث لا ترجى ثم طلب بعض أهل العلم قاضي الجماعة و مفتي الإقليم أن يصرفها عليه أصلا وغلة لما رأى فيه من المصلحة والإعانة على العلم فصرفه عليه وكان قبل ذلك قاضي الوطن صرف غلتها لمساجد هنالك .....» أنظر: المازوني يحي،المصدر السابق، ج4،ص260.

[6] نور الدين غرداوي ،"كتب الفتاوى مصدرا لكتابة التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والثقافي للمغرب الأوسط ،نوازل المازوني نموذجاً ، مجلة الدراسات التاريخية ،14(2012م/1433هـ) ، ص 110.

شجرة لله سبحانه في وسط ملكه[1]» ،كما نجد في بعض الحالات أنّ أرض الحبس كانت تؤجر[2] أو تباع في حالة الاحتياج بسبب المجاعة وغيرها[3].

### 4-1-2 الأراضي الجماعية

هي الأرض المشتركة بين شخصين فأكثر،أو تكون ملكا جماعيا للقبيلة، وقد وجد هذا النوع من الأراضي في أرياف المغرب الأوسط فنجد مثلا« رجلين يشتركان في الحرث[4]» أو « رجلين بينهما روض مشاع[5]»، وربما تكون الأرض لقوم يشتركون في حراثتها[6] ، لكن هذا النوع من الأراضي عادة ما كان يتسبب في مشاكل بين المشتركين[7] .

### 4-1-3 أراضي الملك

هي الأراضي المملوكة للأفراد والتي لصاحبها كمال التصرف فيها وقابلية التحويل بدون تعطيل عن طريق الوراثة، وليس بالضرورة أن يكون هذا الملك بيد مالكه الشرعي، فله أن يقوم بحراثتها أو توريثها أو هبتها[8] ، كما له أن يدفع أرضه لمن يتكفّل بخدمتها من غرس وسقي وغيرها ممّا تحتاجه الأرض من عناية ثمّ يتقاسمان محصولها[9].

### 4-1-4أراضي الموات

[1] المازوني يحي، المصدر السابق ،ج4، 261.

[2] نور الدين غرداوي ، المرجع السابق ، ص113.

[3] المازوني يحي، المصدر السابق ، ج4 ،ص 157.

[4] نفسه، ج3، ص74.

[5] نفسه، ج4، ص59.

[6] نفسه، ج4 ، ص157

[7]« رجلين اشتركا في الحرث باع أحدهما ما دفع لشريكه عشرة براشل من القمح يعها في الحرث الذي بينهما فلم يزرع الشريك المذكور عدى سبعة براشل ونصف وبقي في ذمته صاعين ونصف وبقي في ذمته صاعين ونصف من العشرة براشل المذكورة فلمّا تحاسب الشريكان على ما بقي من الصاعين المذكورين قال له أعطني ما بقي عندك فلم يجد في الوقت شيئا.....» أنظر: المازونييحي ، المصدر السابق، ج3،ص74.

[8] روبار برونشفيك، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن13إلى نهاية القرن 15م،تر:حمادي الساحلي،دار الغرب الإسلامي،ط1، 1988، ج2 ،ص185.

[9] المازوني يحي، المصدر السابق ،ج4، ص 16، 9.

هي الأراضي المهملة وغير المستغلة والتي يقطعها السلطان لمن يزرعها ويحييها، وتسمّى أرض الجزاء ، ويتمّ إحياؤها بإذن الإمام خاصّة في الأراضي المزروعة زراعة دائمة والآهلة بالسكان، أمّا غير ذلك فلا يشترط للإحياء الترخيص من السلطان[1] ، ولما تعطي الأرض ثمارها يعطي الحائز على الأرض ضريبة للجهات المعنية بجباية الضرائب[2].

### 4-1-5 أراضي الإقطاع

هي الأراضي التي يمنحها السلطان للأشخاص الذين أدّوا أو من شأنهم أن يؤدّوا بعض الخدمات المادية أو المعنوية،وهي جزء من الأملاك القابلة للاستغلال لفائدة الغير، ويدخل ضمن هذا النوع من الأراضي:

**أ/ أراضي المخزن:** وهي أراضي الدولة التي تخضع مباشرة للسلاطين حيث كانوا يتصرفون فيها بحسب إرادتهم، وقد كانت تمنح للجند أو رؤساء القبائل، وقد تحدّثت إحدى النّوازل على أنّ أرض المخزن التي يقطعها السلطان لبعض أجناده إمتاعا عادة ما كانت تستغل من قبل بعض الأطراف، حيث يغرسونها ويستفيدون منها، غير أنّ السلطان لا ينكر ذلك على من يفعله لأنّه بدوره يحيي من يقوم بإعمار الأرض لكنّهم يقومون بدفع "نصف الأثمنا" كضريبة[3] .

**ب/ أراضي الظهير:**وتسمّى أيضا أرض الانتفاع« والظّهير إنّما هو إقطاع منفعة لا إقطاع رقبة[4]»، وقد كان سلاطين الدولة يقطعون هذه الأراضي لأعيان الدولة الذين لهم علاقة بشيوخ القبائل، وكانت تقطعهم الدولة أراضي ينتفعون بها مقابل الوقوف إلى جانبها، لكن بمجرد توقفهم عن خدمة الدولة تنزع الأراضي منهم[5] ، وقد تحدّثت العديد من النوازل عن هذا النوع من الإقطاع، منها ما سُئل عنه الإمام ابن مرزوق عن رجل من أعيان القبائل يعطيه السلطان أرضا ينتفع بها[6]، ولم تكن فئة المرابطين أقل حظا، فلم تغفلهم

---

[1] عبد الرحمان بشير، " الريف في إفريقية من خلال نوازل أبي القاسم البرزلي (ت814هـ/1438م )"، دار عين ،(2015)، منشور على الموقع الالكتروني:www.dar-ein.com.

[2] نور الدين غرداوي ، المرجع السابق ، ص 112.

[3] المازوني يحي ، المصدر السابق ، ج4 ، ص20.

[4]البرزلي ، المصدر السابق ، ج5 ، ص375.

[5] نور الدين غرداوي ، المرجع السابق ، ص110.

[6] المازوني يحي، المصدر السابق ، ج4 ، ص 130.

السلطة الحاكمة في عملية الإقطاع لدورهم الديني وتأثيرهم الروحي على أهل الريف ،وقد أورد المازوني في إحدى النوازل أنّ جماعة من المرابطين أنعم عليهم السلطان بأرض للحراثة[1].

ممّا سبق نخلص إلى القول أنّه رغم ما قدّمته لنا هذه النوازل من معطيات،إلا أنه لا زال هناك بعض الغموض حول بنية نظام الأراضي الإقطاعية وعدم وضوح الوضعية القانونية لها، خاصة في ظل تعدي القبائل العربية التي استغلت بعدها عن الحكم المركزي لتستقل بخراج الأراضي التابعة لها وأثقلت الفلاحين بالضرائب[2]، مما جعل الكثير منهم يهجرون أراضيهم ويحتمون بالجبال، ولم تعد هذه القبائل تنتظر ظهيرا يفوّض لها حق الانتفاع ،بل أصبحت هي الأخرى تقطع أراضي للفلاحين بهدف الاستفادة من مداخيلها.

## 4-2 الثروات النباتية والباطنية بريف المغرب الأوسط

انعكس تنوع تضاريس المغرب الأوسط إيجابا على مردوده الفلاحي، فعرفت أرياف المغرب الأوسط تنوّعا في الإنتاج ،فقد اشتهرت بادية ندرومة بأشجار الخروب التي يأكل السكان ثمارها بكثرة وجبل بني ورنيد كان ينتج كمية وافرة من الفواكه لاسيما التين والكرز[3] ، أمّا بادية تبسة فقد كانت كثيرة أشجار الجوز[4]، كما اشتهرت قرى جبل العنصل القريبة من ميلة بتنوع الفواكه من التفاح والأعناب والسفرجل الذي لا يوجد مثله في بلد على حد قول صاحب الإستبصار[5]، كما أنّ جبال قسنطينة كانت تعطي الكثير من الزيتون والتين وقد كان سكان هذه الجبال يمارسون التجارة بإقامة سوق كلّ أسبوع في أيام مختلفة وكان يقصد هذا السوق تجّار قسنطينة والقالة[6] ، أمّا قرية قيطون بياضة ببلاد الزاب فقد كانت كثيرة النخل[7]، وعُرِفت أرياف المغرب الأوسط بكثرة مزارعها وخصوبة أرضها ووفرة مياهها ،فقرى مدينة مليانة كثيرة المزارع الواسعة[8] ،كما كانت بادية عنّابة على نحو مسافة 40ميلا طولا و25ميلا عرضا كلها

[1] المازوني يحيى ، المصدر السابق، ج4 ، ص67.

[2] يذكر الوزان أنّ سكان مازونة كلهم تقريبا فقراء لأنّ الأعراب يثقلون كواهلهم بالإتاوات ، كما ذكر أنّ أهل المدية أيضا يعانون من ثقل الإتاوات التي يؤدونها للأعراب، حتى أنّ ملك تلمسان لا يستطيع الدفاع عنهم ولا أن يسيطر عليهم لبعدهم عن المدينة..أنظر:الوزان ، المصدر السابق ،ج2، ص36 ،41.

[3] نفسه، ص 44 ، 14.

[4] نفسه ، ص 64.

[5] كاتب مراكشي من كتاب القرن السادس هجري(12م) ،المصدر السابق ، ص166.

[6] الوزان ، المصدر السابق ، ج2 ،ص103.

[7] كاتب مراكشي من كتاب القرن السادس هجري(12م) ،المصدر السابق ، ص175.

[8] كاتب مراكشي من كتاب القرن السادس هجري، المصدر السابق ، ص171.

صالحة للقمح، وقد تميزت بالثروة الحيوانية من بقر وغنم وثيران حيث تعطي هذه الماشية الكثير من الزبد وقد حققت هذه البادية اكتفاء في مردود القمح والزبد، حتّى أنّهم أصبحوا يبيعونه للسفن الآتية من تونس و جربة وجنوة[1] .

وممّا ميّز أرياف المغرب الأوسط أيضا أنّها كانت تنتج كميات كبيرة من العسل كجبل بني بوسعيد وبالإضافة إلى العسل فقد كان يتوفّر على كمية كبيرة من الشعير والماعز، كما أنّ أهله يحملون الشمع والجلود إلى شاطئ تنس ليبيعوها إلى التجار الأوربيين[2] ، كما زخرت الأرياف بثروات باطنية كثيرة فجبل ونشريس فيه كمية كبيرة من معدن التوتيا[3]، وجبال زواوة غنية بمعدن الحديد حيث تصنع منه سبائك صغيرة تزن الواحدة منها نصف رطل وتستعمل كعملة ، وينبت بها أيضا الكتان والقنب، حيث تصنع منه كمية كبيرة من القماش وكلّه خشن[4] .

## 4-3 أهم الحرف بريف المغرب الأوسط

وقد تنوعت الحرف التي مارسها أهل الريف بين الفلاحة والحطابة والصباغة والرعي والخياطة والتجارة وغيرها، فدلّس كان جلّ سكّانها صباغون لوجود عدد من العيون والجداول حولها، أمّا سكان بني ورنيد فكانوا فحامون وحطابون وفلاّحون، كما كان سكّان جبل أغبال الخاضعين لحكومة مدينة وهران فلاحون وحطّابون يحملون حطبهم إلى وهران ، وبالنسبة للرعي فإمّا أن يقوم صاحب الماشية برعي غنمه أو أنّه يستأجر من يقوم بذلك لمدّة معينة[5] ، أمّا التجارة فقد عرفت رواجا كبيرا فقد كان أهل القلّ تجارا يجنون من جبالهم الكثير من الشمع، وكانت أراضيهم الزراعية منتجة ممّا جعلهم يتبادلون السلع مع الجنويين، ثمّ يبيعون البضائع المأخوذة من الجنويين ويبيعونها في الجبال المجاورة بالتقسيط ، ومارس سكان جبال الجزائر التجارة أيضا بإقامة أسواق ومعارض لبيع البهائم والحبوب والصوف، بالإضافة إلى الأقمشة

[1] الوزان ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 62.
[2] نفسه ، ج2 ،ص45.
[3] نفسه ، ج2 ، ص45.
[4] نفسه ، ج2 ، ص102.
[5] المازوني يحي ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 383.

التي يجلبونها من المدن المجاورة[1] ،ولم يكن العمل حكرا على الرجال فقط، فقد كانت نساء البادية يقمن بصنع الكسي والحنابل ويبعنها إعانة لأزواجهن[2].

## 4-4 مشاكل المعاملات بريف المغرب الأوسط

عرفت المعاملات التجارية بريف المغرب الأوسط الكثير من الغموض، حيث اعتمدوا العرف والعادة في البيع والشراء، وهو ما جعلهم يقعون في مخالفات شرعية ومن بين هذه المعاملات هو بيع الجزاف، فقد كان الرجل يأتي الجزار بالبادية يشتري منه لحما جزافا أي من غير كيل ولا ميزان، وهم غير عارفين بجزره وتحقيه وقد أبطل الفقيه ابن مرزوق هذا البيع[3] ، ومن المظاهر المخالفة للشرع والتي كانت كثيرة الوقوع بالأرياف، هي ظاهرة هزّ المكيال وهي أنّ من أراد شراء طعام لا يكتاله من بائعه حتى يهزّ الصاع في كيله ويحرّكه بيده، وقد اعتبر الفقهاء هذه الطريقة في الكيل من الجهالة والغرر، والطريقة الشرعية في الكيل هي أن يمسك بيده على رأس المكيال ثمّ يسرحها فما أمسك المكيال فهو وفاؤه[4] ، ومن المعاملات التي أثارت الشك في صحة جوازها وعرضت على الفقهاء هي بيع اللفت والبصل في أحواضه وذلك بعد اكتماله، وقد أفتى الإمام العقباني بجواز ذلك[5] .

ممّا سبق نستنتج أنّ أرياف المغرب الأوسط كانت محرّكا هاما للنشاط الاقتصادي بما تنتجه من منتجات نباتية وحيوانية، وبما تزخر به من ثروات باطنية، وبهذه الثروات حققت اكتفاء ذاتيا ممّا جعلها تصدّر منتجاتها إلى المناطق المجاورة لها، وحتّى إلى خارج البلاد كتونس وجربة وجنوة، وبهذا أصبحت الأرياف مصدرا لا يمكن الاستغناء عنه لتمويل المدن .

[1] الوزان ، المصدر السابق ، ج2 ، ص54، 46.
[2] المازوني يحيى، المصدر السابق ، ج3 ، ص81.
[3] نفسه ، ج3 ، ص100.
[4] المازوني يحيى، المصدر السابق ،ج3 ، ص119.
[5] نفسه ، ج3 ، ص 119.

## 4-5شبح المجاعات والأوبئة

شهدت بلاد المغرب الأوسط عامة والمجالات الريفية لها بصفة خاصة انتعاشا اقتصاديا بفضل ما جادت به الطبيعة عليها، فتعدّدت منتجاتها الزراعية من قمح وشعير، كما عرفت إنتاجا متنوعا من شتى أنواع الفواكه والثمار كالتين والعنب والزيتون والجوز وغيرها من المنتجات، فانتعشت التجارة الداخلية، وقد كانت هذه المنتجات كافية لتلبية حاجيات المجتمع، هذا ما جعلها تصدر منتجاتها إلى الخارج، فجبل بني بوسعيد–قرب تنس–كان يتوفر على كمية كبيرة من الشعير والماعز وكان أهله يحملون الشمع والجلود إلى شاطئ تنس ليبيعونها إلى التجار الأوربيين[1]، كما أنّ أهل القل كانوا تجارا ،فقد كانت أراضيهم الزراعية منتجة وحبالهم تعطي الكثير من الشمع ، هذا ما جعلهم يتبادلون السلع مع الجنويين ثمّ يبيعون البضائع المأخوذة منهم للجبال المجاورة بالتقسيط[2]، وبالنسبة لريف عنابة فقد عرف بتنوع الثروة الحيوانية التي كانت تعطي الكثير من الزبد بالإضافة إلى غناها بمادة القمح ،وقد أصبحوا يبيعونه للسفن الآتية من تونس وجربة وجنوة[3] .

لكن هذا الانتعاش الاقتصادي كان نسبيا وظرفيا، فقد تخلّلته مجاعات يشهد عليها غلاء الأسعار خاصة في ما يخص منتوج القمح والشعير، اللذان يعتبران مؤشرين على ذلك، فبينما كان سعر القفيز من القمح خلال القرن السابع هجري/13م من 3دنانير إلى 3دنانير ونصف، فإنه خلال النصف الأول من القرن الثامن هجري/14م أصبح ب5 دنانير، وبلغ سعره خلال القرن التاسع هجري من 5دنانير إلى 15دينارا[4] .

وقد روى لنا الزركشي أنّ سعر الطعام ارتفع بتونس حتى بلغ سعر القفيز من القمح 11دينارا ذهبا والشعير إلى النصف من ذلك[5]، وبحكم أنّ بجاية كانت تابعة سياسيا للحفصيين فلا شك أنّ الأسعار

[1] الوزان ، المصدر السابق، ج2،ص45.

[2] الوزان ،نفسه ، ج2، ص54.

[3] نفسه ، ج2، 62.

[4] سمية مزدور ، المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط (588-927هـ/1192-1520م)، مذكرة ماجيستير في التاريخ الوسيط،إشراف محمد الأمين بلغيث، قسنطينة ،2009م، ص43 ،44.

[5] الزركشي، المصدر السابق ، ص95.

بإفريقية تقارب الأسعار بها ، ويؤكد ذلك قول العمري على بجاية: «وهي ثانية تونس في الرتبة والحال، وجميع المعاملات والموجودات والأحوال[1]».

إنّ هذا الارتفاع راجع من دون شك للنقص الحاصل في كمية الحبوب، ويؤكد ذلك الرسالة المؤرخة في 20 صفر سنة749هـ، والتي بعث بها سلطان فاس إلى كاتب ميورقة وفيها أنّ بجاية تشكو نقصا في الحبوب[2]، ولا شك أن السبب في ذلك راجع إلى العوامل الطبيعية كالرياح ونقص الأمطار وما تخلفه من ضرر على الزرع والثمار، فخلال القرن السابع هجري/13م أصاب بجاية جفاف عظيم، حتى وصل الزق إلى أربعة دراهم[3]، كما أنه حدث غلاء كبير في تلمسان بسبب الجفاف الذي أصاب الحقول حتى قلّ الزرع[4]، وفي أواخر القرن السابع هجري/13م أصاب تلمسان قحط شديد وصفه العبدري بقوله:«ثم وصلنا إلى مدينة تلمسان فوجدناها بلدا حلّت يه زمانة الزمان،وأخلت به حوادث الحدثان.فلم تبق به علالة.ولا تبصر في أرجائه للظمآن بلالة.[5]»، بالإضافة إلى الاضطرابات السياسية وانعدام الأمن وما يرافقها من تخريب للأراضي والحصار، وبالتالي غلاء الأسعار وظهور المجاعات[6]، ومغادرة السكان لأريافهم ،كما أنّ إثقال الفلاحين بالمجابي والضرائب قد يكون سببا في تركهم الفلاحة ،وقد بلغ حجم الضرائب المسلّطة على الفلاحين حدّا لا يمكن إدراكه إلا من خلال تقرب هؤلاء من المرابطين والأولياء والشكوى إليهم ليشفعوا لهم عند السلطان أو الوالي أو عامل المخزن ليعفيهم من أدائها[7] ، وقد تحدّث ابن خلدون

[1] العمري ابن فضل الله شهاب الدين أحمد بن يحيى، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح: كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان ،ج4،ص68.

[2] الصالح بعيزيق ، المرجع السابق ، ص133.

[3] الغبريني أبو العباس أحمد بن عبد الله،عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تع وتح:عادل نويهض:دار الآفاق الجديدة ،بيروت،ط2، 1979م، ص149.

[4] ابن مريم ، المصدر السابق، ص307.

[5] العبدري محمد البلنسي ، الرحلة المغربية ،تق: سعد بوفلاقة، منشورات بونة للبحوث والدراسات ، بونة–الجزائر، ط1، 1428هـ/ 2007م، ص27.

[6] كان للحصار الذي فرضه السلطان المريني على تلمسان الأثر البالغ فقد غلت الأسعار وحلّ الجوع بأهلها حتى صاروا يأكلون الجيف والجراد والفئران والقطط، حتى أنها صارت تباع في الأسواق بأسعار غالية ،كما أدى حصار السلطان الزياني أبي تاشفين إلى غلاء الأسعار ببجاية، وبالنسبة للحصارات المتكررة على قسنطينة فقد أدت إلى هتك زروعها، وقطع أشجارها، وتخريب منازلها ومنع الواصلين من الدخول إليها...أنظر على التوالي :ابن الأحمر، المصدر السابق،ص29، 69. عبد الرحمان ابن خلدون،العبر،ج7،ص144.ابن قنفذ، الفارسية، ص191.

[7] حول توسط الأولياء والمرابطين لدى السلطان لإعفاء الرعية من الضرائب أنظر :المازوني يحي ، المصدر السابق،ج4، ص128_ 129.

عن مسببات المجاعة في قوله:«أمّا المجاعات فلقبض الناس أيديهم عن الفلح في الأكثر، بسبب ما يقع في آخر الدولة من العدوان في الأموال و الجبايات، أو الفتن الواقعة في انتقاص الرعايا وكثرة الخوارج لهرم الدولة، فيقل احتكار الزرع غالبا، وليس صلاح الزرع وثمرته بمستمر الوجود، ولا على وتيرة واحدة ،فطبيعة العالم في كثرة الأمطار وقلتها مختلفة، والمطر يقوى ويضعف، ويقل ويكثر، والزرع والثمار والضرع على نسبته،إلاّ أنّ الناس واثقون في أقواتهم بالاحتكار، فإذا فقد الاحتكار عظم توقع الناس للمجاعات، فغلى الزرع، وعجز عنه أولوا الخصاصة فهلكوا، وكان بعض السنوات الاحتكار مفقود فشمل الناس الجوع[1]».

وإلى جانب المجاعات فقد كان للأوبئة الأثر البالغ في القضاء على الإنسان والحيوان على حدّ سواء، وقد ذهب ضحيتها العديد من النخب المغرب أوسطية، فقد توفي أبو العباس الغبريني عام 714هـ نتيجة إصابته بالطاعون[2]،وتوفي الزاهد العالم سيدي يوسف بن إسماعيل الشهير بالزيدوري في الوباء سنة 845هـ[3]، وتوفي الزاهد الفقيه أحمد ابن زاغو المغراوي سنة849هـ[4]،كما توفي الفقيه ابن العباس التلمساني بالطاعون أواخر سنة871هـ[5]، وتوفي الفقيه الولي سيدي محمد بن محمد الوجديجي المدعو الصغير في الوباء سنة 981هـ[6].

ممّا سبق نلاحظ أنّ المجالات الريفية للمغرب الأوسط كانت عرضة للعديد من الجوائح حيث توالت عبر القرون والتي كانت سببا في المجاعات والأوبئة ،وقد خلفت خسائر مادية وبشرية معتبرة.

[1] ابن خلدون عبد الرحمان، المقدمة،ج1،ص499.
[2] الغبريني، المصدر السابق، ص14.
[3] ابن مريم ، المصدر السابق، ص305.
[4] نفسه، ص43.
[5] نفسه ،ص224.
[6] نفسه، ص265.

## الفصل الثاني:نزعات التصوف والإصلاح في البنى القبلية

1/ الهجرة الهلالية بين الدور التخريبي والدور الحضاري

2/ بدايات الاندماج في الثقافة الدينية

3/دور الولاية في تشكل قبائل مرابطية

3-1حركة المرابطين السنة في الزاب

3-2 التجربة المرابطية في قبيلتي النمامشة والفراشيش

4/الحضور المرابطي ودوره في المجالات الريفية للمغرب الأوسط

4-1 مدلول كلمة مرابط

4-2المرابطون ودورهم في المجالات الريفية

4-3 أشباه المرابطين بين ممارسة البدع واستغلال الناس في المجالات الريفية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

## 1/الهجرة الهلالية بين الدور التخريبي والدور الحضاري

تعتبر الهجرة الهلالية من بين أهم الحركات الاجتماعية الكبرى وأشدّها تأثيرا على المنظومة المجتمعية لعموم المجالات المغاربية ، ويدل امتداد حركتهم من القرن الخامس هجري/11م إلى وقت متأخر جدا على قدرتها على ضمان استمراريتها عبر هذا المجال الزمني بصورة غير منقطعة كحركة بشرية قادرة على إحداث فعل التأثير الاجتماعي والثقافي[1] .

لقد كان لهجرة القبائل العربية إلى بلاد المغرب الإسلامي الأثر الكبير في تاريخه ، فقد حمّلها الكثير من رواد المدرسة الاستشراقية[2] مسؤولية إشاعة الفوضى، وتخريب المحاصيل الزراعية ،وتحطيم البنية الاقتصادية والسياسية لبلاد المغرب، وإذا كانت الدراسات الاستشراقية الألمانية والأنجلوسكسونية قد تميزت بنوع من الاعتدال في حكمها على القبائل الهلالية، فإنّ المدرسة الاستشراقية الفرنسية والتي عُرِفت بعداوتها للعرب قد حمّلتها مسؤولية تخريب النسيج العمراني والاجتماعي، ووصفت أعمالهم بالكارثة الكبرى[3].

ويرى هنري بريسك (Henri Bresc) أنّ الهجرة الهلالية قضت على أنشطة الأرياف، وعزلت المدن الساحلية ،وأحيت التنظيمات القبلية، وهذا ما أدى إلى انتشار الفوضى بالمنطقة ، وقد شاركه الكاتب سمير أمين نسبيا في رأيه ، حيث اتهم القبائل الهلالية بتدمير الأرياف البربرية التي كانت مزدهرة،

---

[1] يرى الأستاذ عمار غرايسية أنّ هذا الحراك لم يكن خاضعا للون قبلي محدّد بل كان في حقيقته نتاج اشتراك عدد من القبائل العربية المضرية الأصل المنتمية في أغلب فروعها لهلال بن عامر، لذلك ربّما سميت بالهلالية كإشارة لقوتها العددية التي سمحت لها بأن تفرض نفسها حتى على قبائل سليم بن منصور التي ستكون منطوية تحت لوائها .أنظر:عمار غرايسية ،التحولات الاجتماعية والثقافية في واحات المغرب الأوسط (الزاب ، أريغ ، أسوف ، وارجلان ) من الفتح الإسلامي إلى نهاية ق8هـ/14م ،أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الوسيط ، إشراف :علاوة عمارة ،2019/2018م،ص176.

[2] سمّى الأستاذ علاوة عمارة المستشرق الانجليزي مايكل برات برائد الإنصاف الاستشراقي اتجاه العرب الهلالية فهو مناهض لفكرة تحميلها مسؤولية القضاء على جميع جوانب الحياة في بلاد المغرب. أنظر: علاوة عمارة ، " الهجرة الهلالية وإشكالية انحطاط حضارة المغرب الإسلامي الوسيط ،قراءة في نقاش تاريخي،" ، ص61-63.

[3] علاوة عمارة ، " الهجرة الهلالية وإشكالية انحطاط حضارة المغرب الإسلامي الوسيط ،قراءة في نقاش تاريخي،" ، ص 41،43،45.
وقد اعتبرها جورج مارسي كأكبر كارثة عرفتها بلاد البربر وما كان لها أن تشفى منها تماما ، فبالرغم من الغزوات والكوارث التي تعرضت لها إلاّ أنّ الغزو الهلالي كان أخطرها على الإطلاق.أنظر: محمد جحاح، "الزوايا والمخزن أو جدلية السلطة والمجتمع بالمغرب الما قبل كولونيالي ، :مراجعة نقدية للأطروحتين (الكولونيالية والوطنية)" ،ضمن كتاب التصوف والسياسة الدينية، مجموعة من الباحثين، إشراف:محمد جحاح، أفريقيا الشرق ،الدار البيضاء-المغرب، دط، 2017م،ص24.

وبتخريب أنظمة السقي، وبطرد السكان الأصليين من قراهم إلى الجبال[1]، في حين انتقد الباحث التونسي محمّد طالبي أصحاب التفسير الكارثي للحملة، واعتبر أنّ القبائل العربية ليست المسؤولة الوحيدة عن انحطاط بلاد المغرب، فهي اختتمت عملية التحطيم لاقتصاد كان مريضا قبل وصولهم إلى المنطقة بمدة[2].

لم تقتصر اتهامات المستشرقين للهلاليين على الدور التخريبي وتغيير البنية الاجتماعية فحسب ، فقد أرجعت الباحثة البلجيكية فرجيني بريفوست مسؤولية اختفاء العناصر الإباضية من بلاد نفزاوة وبلاد الجريد ومناطق وارجلان إلى الهجرة الهلالية، التي عملت على تدمير البنية الاجتماعية والثقافية لهذه المناطق، وكان اختفاء المذهب الإباضي والديانة المسيحية من أهم آثارها[3]، كما قدّم كريستيان كورتان أيضا تأثير الهجرة الهلالية كسبب للقضاء على المسيحية مضيفا إليها تأثير الغزوات الموحدية والنورمندية[4] ،أمّا فوستر مارك فيرى أنّ العرب الذين استقروا بالسهول في القرن 11م كانوا غير ملتزمين بتعاليم الإسلام ،وقد أثروا كثيرا على معتقدات البربر، حيث لم يجيئوا بالإسلام فقط، بل أدخلوا عادات أخرى تعتبر محرمة في الدين الإسلامي ،كعادة الحِداد العنيف الذي يتضمن ندب الوجه والنواح وضرب الذات[5].

رغم ما قامت به القبائل الهلالية من تخريب وفوضى إلاّ أنّ آثارها لم تكن سلبية بحتة، فقد انصهر هؤلاء العرب مع الشعب البربري تدريجيا، واستطاعوا بفضل هذا الاتصال تعريب البربر ونشر اللغة العربية بين أرياف المغرب الناطقة بالبربرية، فسهّلوا لهؤلاء تحصيل ثقافة إسلامية أتمَّ من تلك التي كانت لديهم،

---

[1] علاوة عمارة ، " الهجرة الهلالية وإشكالية انحطاط حضارة المغرب الإسلامي الوسيط ،قراءة في نقاش تاريخي،" ،ص51،70 .

[2] Mohamed Talbi , "Droit et économie en Ifriqiya a III/IXe siècle" rééd dans étude d'histoire Ifriqienne et de civilisation musulmane ,Tunis, publication de l'université de Tunis,1989,p185-208 .

نقلا عن :علاوة عمارة ، الهجرة الهلالية وإشكالية انحطاط حضارة المغرب الإسلامي الوسيط ،قراءة في نقاش تاريخي،ص 51،52.

[3] علاوة عمارة ،"الهجرة الهلالية وأثرها في تغيير البنية الاجتماعية لبلاد الزاب" ،ص12.

[4] Allaoua Amara , L'islamisation du Maghreb central (VIIe-XIe)siècle, Islamisation " etarabisation de l'Occident musulman médiéval (VIIe-XIIe siècle) ,(s /d D.Dominique Valérian, , Paris, Presses universitaires de la Sorbonne, 2011, p119.

[5] عبد الغني منديب،الدين والمجتمع ، دراسة سوسيولوجية للتدين بالمغرب، أفريقيا الشرق،المغرب،ط2، 2010م،ص22.

والتي لم يكن بوسعهم أن ينمّوها وهم يجهلون اللغة العربية[1] ،كما« أنّ الحضور الهلالي ربط منطقة الزاب بفلك الثقافة السائدة المعتمدة أساسا على المذهب المالكي واللغة العربية، ممّا أدّى إلى حدوث نوع من المثاقفة(une acculturation)ساهمت في تشكل هوية زابية محلية، لقد كان للأفكار الصوفية دورا مهما في الربط التدريجي للمنطقة بالشبكات الصوفية خصوصا انطلاقا من دعوة سعادة الثورية، ممّا نتج عنه تجدر الولاية الصوفية في عدد من الطوبونيميات كسيدي خالد ...مقابل تجدر الطوبونيميات القبلية الهلالية في عدد من المناطق مثل أولاد جلال[2]»، كما استطاع بنو رياح وبنو مزني تغيير النظرة السلبية التي رسمت عنهم بخصوص دورهم التخريبي، ومدى الانحطاط الذي أصاب المجالات التي استقروا بها على غرار بلاد الزاب ، حيث نجح بنو رياح في إبراز مستوى تحضرهم من خلال تشييد الكثير من أشكال العمران بالأرياف على غرار قصر باينة ،قصر عثمان...، فعمارة القصور والحصون والقلاع وحتى القصبات حوّلت الواقع الريفي ومهدت بشكل واسع إلى تطور حضري، في حين نجح بنو مزني[3] من تأسيس ملك ببسكرة قاعدة بلاد الزاب[4]، والأهم من هذا كله الدور الفعال الذي قام به المرابط السني سعادة الرياحي وهو الحركة الإصلاحية في الوسط الأعرابي، والذي كان له الفضل في توبة الأعراب والحد من النشاط الحرابي لهم وهو ما سنراه لاحقا.

[1] ألفرد بل ، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، تر:عبد الرحمان بدوي ، دار الغرب الإسلامي بيروت، لبنان ،ط3،1987م ، ص214،220.

[2]علاوة عمارة، الهجرة الهلالية وأثرها في تغيير البنية الاجتماعية لبلاد الزاب،ص26.

[3] يقول ابن خلدون« كان بنو مزني لفقا من لفائق الأعراب وصلوا إلى إفريقية أحلافا لطوالع بني هلال بن عامر في المائة الخامسة،ونسبهم بزعمهم في مازن بن فزارة،والصحيح أنهم في لطيف من الأثبج ثم من بني جرى بن علوان بن محمد بن لقمان بن خليفة بن لطيف ،واسم أبيهم مزنة بن ديفل بن محبا بن جرى،هكذا تلقيته من بعض الهلاليين» وقد نزلوا في بداية أمرهم بقرية من قرى بسكرة اسمها حياس،ثمّ كثروا وتسايلوا وشاركوا أهلها في تملك العقار والمياه ،ثم دخلوا بسكرة البلد و انضموا للعيش مع أهلها وأصبح كبارهم من أصحاب الشورى،وبالنسبة لطريقة تملكهم هو أنه لما خرج الأمير الحفصي أبو إسحاق على أخيه السلطان المستنصر بالله،بايعه الفضل بن علي بن أحمد بن الحسن بن علي بن مزني وأطاعته أسرته وبقوا موالين لأبي إسحاق، وبعد تعيين هذا الأخير سلطانا للدولة الحفصية عقد للفضل بن علي على كل بلاد الزاب ولأخيه عبد الواحد على بلاد الجريد إكراما لهما على ولائهم وخدمتهما له من قبل.أنظر:ابن خلدون عبد الرحمان،تاريخ،ج6،ص586.

[4] الصادق زياني، جغرافية العمران ببلاد الزاب من خلال رحلة فيض العباب للنميري –قصر عثمان الرياحي أنموذجا–،مجلّة ميلاف للبحوث والدراسات ،المجلد 4، 1(2018) ،ص560 ، 571.

رغم بعض الأدوار الإيجابية للقبائل العربية في بلاد المغرب إلاّ أنّ النشاط الحرابي[1] كان السمة الغالبة على حياتهم ، فقد أجمع الكثير من الرحالة والمؤرخين والفقهاء على المدى الذي وصلت إليه أيدي هؤلاء من نهب وغصب وزعزعة للأمن، فعند حديث البلوي عن خروجه من بونة بدأ كلامه وهو يبدي تخوّفه من خطورة الجبل الذي سيسلكه، لأنه متخوف من مداهمة الأعراب، وهو ما حدث بالفعل، فقد اعترضهم الأعراب في طريقهم وأخذوا منهم كلّ ما كان لديهم، وقد وصف هذا الهجوم وسرعة اغتصاب الأعراب لممتلكاتهم بقوله: «...وأسفر لنا وجهه العبوس، ومحياه الذي في مشاهدته البوس عن قطعة من العرب كقطع الليل، حملت علينا حمل السيل، فكان زوال كل ما ملكناه أسرع من لحسة الكلب أنفه...[2]»، وعند مروره بجبل الزاب والذي كان يعجّ بهم، وقد استقروا به كونه ذا مساحة واسعة وأرض وعرة وبالتالي يصعب الوصول إليهم، ، ويكونوا بعيدين عن ظل السلطة، بالإضافة إلى غناه بالثروات، كما أنّه طريق عبور هذا ما سيسمح لهم باعتراض القوافل، ، وقد وصف لنا البلوي مرة أخرى أهوال التقائه بالأعراب مجدّدا قائلا :«.....قد صفوا متقدمين وحفّوا عن الشمال وعن اليمين، واستحثوا فلبوا مسرعين وأسرعوا مهطعين، وأقبلوا ينفضون كأنهم إلى نصب يوفضون.....وعندما ملنا للنزول، وعطفنا من تلك الزون إلى السهول، تصارخت العرب واجتمع الابن منهم و الأب، ثم حملوا علينا حملة ظننا أن الجبال إلينا راجفة وأنّ الأرض بنا واجفة .....فتجرّعنا الغصص و تجرعوا ، و أشرعنا إليهم مثل ما إلينا أشرعوا...[3]».

يتبين لنا من رواية البلوي مدى الرعب الذي كانت تبعثه هذه القبائل في نفوس المارة ،كما يتبين لنا أن انتشار هؤلاء الأعراب لم يقتصر على مجال ضيق بل كانوا ينتشرون في كافة المجالات الريفية للمغرب الأوسط .

---

[1] الحرابة من المحارب وهو من خرج من المسلمين يقطع السبيل ويسعى في الأرض فسادا ، قال تعالى: « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويَسعون في الأرض فسادا أن يُقَتَّلوا أو يُصَلّبوا أو تُقَطّع أيديهم و أرجلهم من خلاف أو يُنفَوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم» سورة المائدة ،الآية 33،وقد أجمع الفقهاء أن حكم هذه الآية مقرّر في المحاربين من أهل الإسلام ،قال مالك رضي الله عنه :المحارب عندنا من على الناس بالسلاح في مصر أو قرية فكابرهم على أنفسهم وأموالهم دون ثائرة ولا دخل ولا عداوة ، ووجب على المسلمين التعاون على قتالهم و كفهم عن إذاية المسلمين من غير أن يدعوهم الإمام –إن كان–، وما وجب بحرابته لا يدفع من خرج منهم إلا أن يكون قد قتل ، فإن أخذوا ووُجِد في أيديهم مال لأحد بعينه رُدّ إليه أو إلى ورثته وإن لم يوجد له صاحب جُعل في بيت المال .أنظر ، ابن الشماع ، مصدر سبق ذكره ، ص 133، 134.

[2] البلوي خالد بن عيسى ، تاج المفرق في تحلية علماء المشرق ، تح: الحسن السائح ، صندوق إحياء التراث الإسلامي المشترك بين المملكة المغربية والإمارات المتحدة ،دط،دت،ج1، ص 164 ، 165.

[3] نفسه ، المصدر نفسه ، ج2 ، ص 144-148.

كما وصف لنا ابن خلدون النشاط الحرابي لهؤلاء قائلا:«ثمّ لحق بالقلعة فنازلوها وخربوا جنباتها وأحبطوا عروشها وعاجوا على ما هنالك من الأمصار ثم طبنة والمسيلة، فخربوها وأزعجوا ساكنيها وعطفوا على المنازل والقرى والضياع والمدن، فتركوها قاعا صفصفا أقفر من بلاد الجن، وأوحش من جوف العير، وغوّروا المياه واحتطبوا الشجر وأظهروا في الأرض الفساد...[1]»،أما ابن الشماع فاعتبر مفسدة هؤلاء الأعراب منتشرة فاشية وأنهم «ليست لهم في الإسلام إلا مجرد القول والاسم و الله حسيب من كان سببا في دخولهم إلى إفريقية[2]».

إنّ ميزان القوة السياسية لسلطة حاكمة ما، هو مدى قدرتها على تحصيل الجباية وضبط الأمن، وكل تهاون منها يؤدي إلى اختلال الأمن وتعرّض القوافل للنهب والقتل، خاصة على مستوى المسالك التجارية وطرق الحجيج ،كما سيكون المتضرر الأكبر من هذه الأعمال سكان المجالات الريفية ،فالوصول إلى هذه الحالة هو تعبير عن ضعف وعجز السلطة الحاكمة ،وقد وصفت لنا العديد من النوازل غياب الأمن والذعر الذي كانت تبعثه هذه القبائل في نفوس العامة، فقد سئل الفقيه أبو الفضل العقباني «عن موضع كان خاليا وهو في قارعة الطريق وكان القبائل السوالون له يقطعون فيه على المسافرين ويجلسون فيه للحرابة، وأخذ فيه ناس كثيرون وأموال ويعرف بذلك حتى لا يقدر واحد على جوازه ....[3]» .

كما نقل لنا الونشريسي صورة أخرى للقبائل العربية في نازلة توجه بها الفقيه أبو العباس أحمد المعروف بالمريض سنة 796هـ[4] إلى الإمام ابن عرفة يستفتيه في حكم قتال الديلم وسعيد ورياح وسويد وبني عامر أمراء عرب المغرب الأوسط، حيث يقدّر عددهم بينفارس و راجل بعشرة آلاف أو أكثر ،لا يعرفون إلاّ شن الغارات، وقطع الطرقات على المساكين، وسفك دمائهم ونهب أموالهم دون حق، وسبي نسائهم ثيبا وأبكارا قهرا وغلبة، وقد عجز السلطان عن مقاومتهم حيث لا تنالهم أحكامه بل يداريهم

[1] ابن خلدون عبد الرحمان ، العبر ، ج6 ، ص27.

[2] ابن الشماع، المصدر السابق، ص135.

[3] المازونييحي ، المصدر السابق ، ج4 ، ص364.

[4] ترجع هناء شقطي سبب ذكر تاريخ هذه النازلة علما أنّ المصنّفات الفقهية قلّما تذكر تواريخ الأحداث إلى مدى تأثر الفقهاء بالقضية الهلالية كما أنّها تنفي رأي التنسي بأنّ هذه السنة سنة استقرار وأمن وازدهار.أنظر:هناء شقطمي ،الخطاب الفقهي والريف بالمغرب الأوسط من خلال الدرر المكنونة في نوازل مازونة ،مذكرة ماجيستير في التاريخ ، إشراف :علاوة عمارة ، جامعة الأمير عبد القادر ،قسنطينة ،2013م ، ص 57.

بالأعطية والإنعام، وقد فوّض جباية الأموال لهذه القبائل وسحبها من عماله، ومع هذا لم يكفّوا عن قطع الطرقات وأخذ الأموال وسبي الحريم، وقد صرّح الفقيه أبو العباس بقتالهم واعتبره جهادا[1].

تؤكد هذه النازلة مدى التمرد الذي وصلتإليه القبائل العربية ،وأنّ ما زاد في قوتهم وتماديهم هو تغاضي السلطة عنهم، فقد كان همّها فقط أن تأمن هي من شرهم، هذا ما جعلها تتقرب إليهم بالعطايا.

وعلى العموم فقطع الطرق يعني أزمة بطالة أو شح موارد بالنسبة لقطاع الطرق، وربما كان يعني عملا سياسيا حيث تقوم الجماعات الثائرة بفرض إتاوات على القوافل لتسمح بمرورها وتضمن سلامة أموالها ونفوس المشاركين فيها[2]، وهذا ما تفعله أيضا حتى بعض القبائل التي تمر القوافل بأراضيها عندما يختفي ظل السلطة، والبدو وسكان الأراضي الشحيحة والرعاة هم أكثر الأطراف ممارسة لقطع الطرق وينشط اللصوص وقطاع الطرق خصوصا في سنوات الجدب والمجاعة، فتفريط السلطة في اتخاذ وسائل العلاج الاقتصادية والأمنية يقابله إفراط في نشاط حركة الجماعات[3] ، وحسبنا في ذلك أنّ ابن قنفذ القسنطيني عند عودته من المغرب الأقصى إلى قسنطينة ،اضطرّ إلى البقاء بتلمسان قرابة الشهر لخطورة الطريق بسبب المجاعة العظيمة آنذاك وهي سنة 776هـ، وقد كلّفه المكوث بتلمسان الكثير من المصاريف وكان كلّما أراد الخروج منها منعه وزيرها لخطورة الطريق ،فالتجأ إلى قبر الشيخ أبي مدين ودعا الله أن يسهّل له أمر الخروج، وكان له ذلك بعد أيام قليلة ،وكان خروجه من تلمسان مخاطرة بنفسه، وقد وصفها

[1] الونشريسي ، المصدر السابق ،ج6 ، ص153-156.

يرى الأستاذ عمارة أن جمع المغارم من طرف هؤلاء الأعراب وإخضاعهم لعدد من الجماعات السكانية المحلية جعلها تشترك في ذلك مع الأسر المحلية الحاكمة، ممّا أدى في النهاية بهذه المجتمعات القبلية الغازية إلى لعب دور الجهاز السياسي والمالي في الوسط الريفي لتلك المناطق.أنظر:الهجرة الهلالية وأثرها في تغيير البنية الاجتماعية لبلاد الزاب،ص19.

[2] يرى الأستاذ علاوة عمارة أنّ الهجرة الهلالية أدّت إلى انعدام الأمن على الطرق البرية، هذا ما أدى إلى تطوير الأنشطة البحرية وتحول التوسع العسكري المسيحي في البحر المتوسط لصالح التجار المسيحيين وبشكل أخص التجار الإيطاليين الذين سيطروا على التجارة البحرية في حوض المتوسط.أنظر:

"L'animation de la façade maritime du Maghreb central (VIII - XII)",revue des lettres et sciences humaines,6(2005) ,p24.

[3] إبراهيم حركات ، المجتمع الإسلامي والسلطة في العصر الوسيط ، أفريقيا الشرق ، المغرب ، دط ، 1998م، ص 259 ، 260.

بقوله:«ورأيت في طريقنا من انقلاب الشر خيرا ما كان يتعجب به من شاهده، وكان أمر الطريق في الخوف والجوع ما مقتضاه أنّ كل من يقع قدومنا عليه يتعجب في وصولنا سالمين[1]» .

لقد رسم لنا ابن قنفذ صورة عن مدى الرعب والخوف على النفس الذي كان ينتاب المسافرين عند مرورهم بهذه الطرق خوفا من قطاع الطرق ،حيث أنّه لا يتجرأ أحد على المسير في تلك المسالك، حتى أنّ الوزير منعه من السفر وتبرّأ من ذلك إن هو سافر، لأنه كان متيقنا من هلاكه إن هو سافر لا محالة، لكنّ الله نجاه ووصل سالما بفضل الله وببركة أبي مدين على حدّ قوله .

[1] ابن قنفذ أبي العباس أحمد الخطيب القسنطيني، أنس الفقير وعز الحقير ، اعتنى بنشره وتصحيحه:محمد الفاسي ، أدولف فور، المركز الجامعي للبحث العلمي،الرباط، دط،1995م،ص 105.

**2/بدايات الاندماج في الثقافة الدينية**

إلى جانب المظهر الدنيوي المليء بالحروب والمنازعات والسلب والنهب الذي اتسمت به حياة القبائل العربية في المغرب، فقد كان هناك مظهر آخر في حياة تلك القبائل، وهو مظهر ديني أخلاقي، تجلت صورته في بعض رؤسائها وأفرادها الذين كرسوا حياتهم لعمل الخير و نشر العلم والدين، فقد ارتحل مسعود بن عريف وهو من عرب سويد إلى بجاية وأخذ عن الشيخ أبي مدين شعيب طريقته، ثمّ رجع إلى جبال شلف وأسّس في وسط قبائل سويد زاوية جعلها مركزا لنشر الطريقة المدينية[1] ، كما أنّ عرب سويد كان لهم رباط في الموضع الذي بنى فيه بنو سلامة قلعتهم وهو تاوغزوت، حيث كانوا ينقطعون فيه للعبادة[2] ، فمن هنا نلاحظ عزوف بعض القبائل العربية عن الحرابة في وقت مبكر وانخراطهم في سلك التصوف.

لقد تباينت آراء الباحثين وتفسيراتهم في بروز ظاهرة المرابطين وانخراط القبائل الهلالية في الثقافة الدينية وعزوفها عن نشاطها التخريبي ،فقد وصفها محمد حسن أنّها نهاية فترة عصيان القبائل وبداية الاندماج في النظام الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والثقافي وأطلق عليها مصطلح التوبة، وأنّ ضعف عصبية هذه القبائل هو ما أحالها إلى الاستقرار وبالتالي العزوف عن الحرابة[3] ،ونفس الرأي أخذ به عبد الكريم الشبلي، حيث يرى أنّ ظاهرة التوبة جسّدت هذا التحول الاجتماعي والثقافي حيث أصبحت تعني بالنسبة إلى القبائل البدوية نهاية فترة المعارضة وبداية الاندماج[4]، أمّا مصطفى أبو الضيف أحمد فأرجعها إلى الاندماج بقبائل البربر والاستقرار وممارستهم للنشاط الفلاحي، حيث أنهم أصبحوا قادة للحركة العلمية بالمنطقة فيما بعد[5]، وبالنسبة لمحمد المغراوي فقد اعتبره مظهرا من مظاهر الاندماج الثقافي والاجتماعي والتمازج مع مكونات المجتمع[6]،وفي ما يخص عمر بن ميرة فقد أرجعها إلى ممارستهم للنشاط الفلاحي وهو

[1] ابن قنفذ ، أنس الفقير وعز الحقير، ص40.

[2] ابن خلدون عبد الرحمان ، تاريخ، ج7، ص 216.

[3] محمد حسن،المدينة والبادية،ج2،ص735.

[4] ابن الدباغ القيرواني ،الأسرار الجلية في المناقب الدهمانية ، تح وتق: عبد الكريم الشبلي ، دار كونتراست ، تونس، ط1، 2015م،ص7.

[5] مصطفى أبو الضيف أحمد ، أثر القبائل العربية في الحياة المغربية ،منذ الفتح العربي إلى سقوط الدول المستقلة (23-296هـ /643-906م) ، دار النشر المغربية ، المغرب ،ط 1 ، 1986م ، ص10.

[6] محمد المغراوي ، المرجع السابق، ص301.

نشاط يتطلب الاستقرار، وبالتالي التحول من قبائل بدوية انتجاعية إلى قبائل مزارعة مستقرة[1]،في حين اعتبر الحسين إسكان حركة المرابطين أحد ثمرات حركة الرباطات التي كانت تقوم في المغرب منذ القرن الثالث إلى منتصف القرن الخامس الهجري بالدفاع عن الإسلام ونشر الثقافة الدينية بتعليم الراشدين من العامة والناشئة[2] ،أمّا المؤرخ الفرنسي جورج مارسييه فيرجعها إلى الدور التعليمي لعلماء البربر الذين علّموا هؤلاء الأعراب حبّ الدعوة إلى الإسلام ،فأفرز ذلك حركة مرابطية ، وفي هذا يتحدّث ألفرد بل على لسان جورج مارسيه في دراسته للحياة الدينية لدى هؤلاء العرب فيقول:«تحت تأثير المسلمين المغاربة نمت الحماسة عند القبائل المهاجرة إلى المغرب، وفي مدرسة زعماء البربر تعلّم الشيوخ الهلالية وشيوخ بني سليم حبّ الدعوة إلى الإسلام، فنتج عن ذلك حركة مرابطية عجيبة جدّا ، نشأت في نهاية القرن الثالث عشر ميلادي [3]».

وممّا ساهم في استقرار هذه القبائل هو سياسة تبادل المنافع، فقد رضي العرب أن يكونوا اليد التي يبطش بها الحكام، حيث تحفظ للسلطة هيبتها وللعرب مصالحهم الاقتصادية بجانب خصوصيتهم الاجتماعية[4]،فقد استقرت قبائل رياح بتلول وسهول كل من قسنطينة و بجاية و بونة، أمّا قبائل سويد والديالم فقد اتخذت من السهول الغربية مكانا لاستقرارها[5]، وهذا ما فسّره محمد ضريف بجدلية السهل والجبل، فهو يرى أنه لا بدّ من توفر شرطين لاستمرارية أي قبيلة، فالشرط الأول هو توفير عمق استراتيجي عسكري يتمثل في الجبل فهو الذي يحفظ تماسكها وقوّتها، أمّا الشرط الثاني فهو توفير متنفس اقتصادي للقبيلة يتجسّد في السهل[6].

---

[1] عمر بنميرة،المرجع السابق،ص133.

[2] الحسين إسكان ، جوانب من تاريخ التعليم في المغرب الوسيط من القرن 7هـ/13م إلى القرن 9هـ/14م ، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا ،إشراف:محمد زنيبر ،جامعة محمد الخامس، الرباط ،1987م_1988 م ، ص82.

[3] ألفرد بل ، المرجع السابق ، ص216.

[4] عبد الرحمان بشير ،العرب في عصر الموحدين بين الخضوع والتمرد ، عين للدراسات الإنسانية والاجتماعية ، قسم الإسلام والمسلمين ،تاريخ المغرب العربي،نشرت في 16فيفري 2015م. أنظر الموقع: www.dar-ein.com .

[5] الطاهر بونابي ، الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين 14-15ميلاديين ،ج1، ص341.

[6] محمد ضريف ، مؤسسة الزوايا بالمغرب ، منشورات المجلّة المغربية لعلم الاجتماع السياسي،المغرب، ط1، 1992م ، ص78.

إنّ هذه النزعات الصوفية الإصلاحية لم تلبث أن أخذت تزداد انتشارا بمرور الزمن بين القبائل العربية[1]، فبعد أن كانت في بداية الأمر مقتصرة على بعض أفراد القبيلة وأهلهم ومريديهم، نراها تنتقل لتشمل رئيس القبيلة ومعه قبيلته التي تعاهده على اتباع طريقته ونحلته ، فقد كان شيخ أولاد شكر عامر بن أبي يحي بن محيا منتحلا للعبادة، وعندما حجّ لقي بمصر شيخ الصوفية لعصره يوسف الكوراني[2]، فجلس عنده ينهل من علمه ولقنه طرق هدايته، ثمّ رجع إلى قومه وعاهدهم على طريقته ونحلته فاتبعه الكثير منهم ، وبعد توبة هؤلاء على يد شيخهم عامر بن أبي يحي، نجدهم يتجهون إلى إحياء السنة وتغيير المنكر ،وكفّ أيدي القبائل المجاورة لهم عن النهب والسلب ومجاهدتهم، فقد اتجه شيخ أولاد شكر وأتباعه لجهاد المفسدين من بادية النضر المجاورين له، فلا زال يجاهدهم إلى أن دبّروا له مكيدة واغتالوه في رحلته للصيد[3] .

لكن الحركة التي قام بها شيخ أولاد شكر أثرت وسط قبيلته فقط، حيث التفّ حوله المريدون من أولاد شكر وساندوه على إحياء السنة وتغيير المنكر، لكنّ حركتهم لم يكن لها صدى مثل الذي أحدثته حركة سعادة الرياحي وأتباعه في المجالات الريفية لبلاد الزاب، و التي تعتبر من أبرز تجارب الحركة المرابطية.

[1] يذكر ابن مرزوق أنّه لما نزل مع السلطان المريني أبي عنان بظاهر قسنطينة ، تلقاهم سائر طوائف أشياخ العرب على اختلافها من رياح وسليم جميعا، فكان معهم شيخ أولاد محمد من رياح المرابط الأصلح أبو راشد يعقوب بن علي بن أحمد، وأبو يعقوب يوسف بن منصور بن مزني وغيرهم وقالوا :«لنا نصيحة نؤديها إلى مولانا....قد أمكنه الله من جميع طوائف العرب وشرار الوطن الذين أخربوا البلاد وخرقوا المعتاد وأظهروا في الأرض الفساد، فلو قبض عليهم قدم على إفريقية وقد خلت من الشرار وأمنت من الفساد طول الدهر» ، وهذا ما يؤكد عزوف القبائل العربية عن الحرابة والفساد والمخراطهم في الثقافة الدينية والاندماج داخل المجتمع.أنظر:ابن مرزوق محمد التلمساني، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن،در وتح:ماريا خيسوس بيغيرا،تق: محمود بوعياد، الشركة الوطنية ،الجزائر،دط،1981م،ص336.

[2] هو الصوفي يوسف بن عبد الله بن عمر بن علي بن خضر الكردي الكوراني الأصل ويعرف بالعجمي(جما الدين،أبو المحاسن) كانت له زاوية مشهورة في قرافة مصر وعدّة زوايا في بلدان مختلفة توفي بمصر سنة (768هـ-1367م) ودفن بزاويته من آثاره:رسالة ريحانة القلوب في التوصل إلى المحبوب،بيان أسرار الطالبين في التصوف.أنظر: عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين(تراجم مصنفي الكتب العربية)،مكتبة المثنى ودار إحياء التراث العربي،بيروت،دط،1376هـ/ 1965م، ج13،ص313-314.

[3] ابن خلدون عبد الرحمان ،تاريخ، ج6 ،ص 35.

ويعزى الإقبال على التصوف الولائي- السني إلى كونه يستجيب في مكوناته وفي المظاهر التي يركز عليها إلى حاجيات حقيقية لدى العامّة، وهي ذات المظاهر والمحتويات التي ركّز عليها كل من أبي مدين شعيب والشاذلي من بعده، وبهذا نشطت حركة استتابة الأعراب التي بدأت مع كل من أبو يوسف الدهماني [1] والحركات الإصلاحية التي قادها بعده كل من قاسم بن مرا[2] بالقيروان وسعادة ببلاد الزاب[3] .

[1] هو أبو يوسف يعقوب بن ثابت بن جراح بن كماس بن معلا بن زهري بن مدرك الدهماني ، ولد الشيخ أبو يوسف بالبادية بقرب قرية تسمّى المسروقين من عمل القيروان، ونشأ بالبادية وقرأ القرآن على يد أبي عبد الله محمد بن عمر بن جابر ، رحل إلى لقاء الشيخ أبي مدين ببجاية بعد عام 570هـ ،فأقام عنده مدة وأخذ عنه ثمّ أذن له في الانتصاب للمشيخة، ثمّ رجع إلى إفريقية وانتفع به خلق كثير ،قال ابن الدباغ :«حكى لي الشيخ الحاج أبو يوسف يعقوب بن خليفة الدهماني قال : سمعت أبا يوسف يقول :"شيخي في الفقه والسنن أبو زكرياء بن عوانة ،وشيخي في البداية والتربية أبو عبد الله البسكري ، وشيخي في السلوك والتصوف أبو مدين"»،أنظر:ابن الدباغ القيرواني ،المصدر السابق ، ص 60-63.

[2] هو قاسم بن مرا بن أحمد من عرب سليم وهو من كعب، نشأ ببينهم منتحلا للعبادة ، تتلمذ على يد الشيخ أبي يوسف الدهماني فلزمه وأخذ عنه ثم عاد إلى قومه يحمل طريقة شيخه في الورع والأخذ بالسنة ،وعرض نفسه على أولاد أحمد ليبايعوه ويقاتلوا معه فأشار عليه مريديه من أولاد أبي الليل أن يعرض نفسه على قبائل سليم حتى لا يثوروا ضده ويفسدوا دعوته ،فالتف حوله الكثير من عرب البادية الذين التزموا طريقته وساندوه في إصلاح السابلة بالقيروان وبلاد الساحل ومحاربة قطاع الطرق و أطلق عليهم الجنادة .أنظر:مصطفى أبو الضيف أحمد ، أثر القبائل العربية في الحياة المغربية خلال عصري الموحدين وبني مرين (524-876هـ/1130-1472م) ،دار النشر المغربية ، الدار البيضاء ،ط1، 1982م،ص258.

[3] صالح علواني ، انتشار الولاية في بلاد القبائل الرحل وتشكل قبائل مرابطية ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين /القرنين الثالث عشر والخامس عشر ميلاديين ،مجلة إنسانيات 60-61(2013)، ص116.

## 3/دور الولاية في تشكل قبائل مرابطية

### 3-1حركة المرابطين السنة في الزاب

كان سعادة ذو الأصول العربية من رحمان من مسلم إحدى شعوب رياح، ولم ينشأ مثل أقرانه الأعراب على النهب والسلب، فقد ترعرع في أسرة ورعة كان التصوف منهجها في الحياة، فقد كانت أمّه خضيبة من الصالحات، وكانت في أعلى مقامات العبادة والورع فنشأ على الزهد ناهجا خطى والدته ، ثمّ ارتحل إلى المغرب الأقصى فلقي الشيخ الفقيه الصالح أبا إسحاق التسولي[1] بنواحي تازة[2]، فلزمه وتفقّه على يديه، ثمّ عاد إلى قبيلته بورع وافر وفقه صحيح ،ونزل بطولقة وبدأ يحث أهله وعشيرته وأصحابه ومن عرفه على إحياء السنة وتغيير المنكر، فالتفّ حوله الكثير منهم وشاع أمره وزاد عدد أتباعه[3] .

لقد وجد سعادة خلال القرن الثامن الهجري/14م الأرضية السياسية والاجتماعية والنفسية الملائمة لنشر أفكاره، وما أخذه عن شيخه، في وسط قبلي كثرت فيه النزاعات بين القبائل بل داخل القبيلة الواحدة ،حيث حدث نوع من الفراغ الكاريزماتي و الذي كان في حاجة إلى من يملأه فكانت حركات الإصلاح الصوفي السني الولائي الحل الأمثل لملء هذا الفراغ ،وقد جمعت هذه الحركة بين الدعوة الدينية والعصبية وقد لاقت انتشارا في المجالات الريفية حيث نشأت ظاهرة القبائل المرابطية المتأسّسة حول عائلة الولي[4] .

---

[1] هو الفقيه أبو إسحاق إبراهيم بن أبي يحيى التسولي التازي ،تولى خطة القضاء واستُعمل في السفارة ،كان صدر فقهاء وقته مشاركة في الفنون وقياما على الفقه، شرح "كتاب الرسالة" لأبي محمد بن أبي زيد شرحا حسنا، وقيد على "المدونة" مجلس أبي الحسن الصغير قاضي الجماعة بفاس ،وضمّ أجوبته في نوازله في سفر، كان نبيه المشاورة وجيها عند الملوك صحبهم وحضر مجالسهم ،وفي آخر عمره فلج فلزم داره وكان السلطان يزوره، وقد نُقل إلى داره بتازة وتوفي بها سنة 749هـ، ص 136.أنظر :النباهي أبو الحسن بن عبد الله ابن الحسن المالقي الأندلسي ، تأريخ قضاة الأندلس، وسماه كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء و الفتيا ، تح: لجنة إحياء التراث العربي دار الآفاق الجديدة ، بيروت ،ط5 ، 1403هـ/1983م، ص136.

[2] أوّل بلاد تازا حدّ ما بين المغرب الأوسط وبلاد المغرب في الطول ،وفي العرض البلاد الساحلية مثل وهران ومليلة وغيرهما، وفي جبال تازا بنيت مدينة الرباط وتشرف على جداول للمياه العذبة وعليها سور عظيم ولها نظر كبير كثير الزرع والفواكه وجميع الخيرات وسُوِرت هذه المدينة سنة 568هـ وهي على الطريق المار من المغرب إلى المشرق وتسمى مكناسة تازا .أنظر: الحميري ، المصدر السابق، ص128.

[3] ابن خلدون عبد الرحمان ، العبر ، ج6 ، ص51.

[4]صالح علواني ، المرجع السابق ، ص 117.

وممّا زاد من قوّته التفاف أهم رؤساء القبائل حوله، حيث عاهدوه على التزام طريقته، ومن مشاهير مريديه :أبو يحي بن أحمد بن عمر وهو شيخ بني محمد بن مسعود من عرب الدواودة[1] ،وعطية بن سلمان بن سباع شيخ أولاد سباع، وعيسى بن يحي بن إدريس شيخ أولاد إدريس، وأولاد عساكر ،وحسن بن سلامة شيخ أولاد طلحة ،كما اتبعه من زغبة هجرس بن علي من أولاد يزيد، ورجال من العطاف في كثير من أتباعهم[2] .

نلاحظ أنّ التفاف رؤساء القبائل حول سعادة كان له أهمية بالغة ،لأنّ كل شيخ قبيلة حتما سيؤثر في قبيلته ،وبالتالي يكثر الأتباع وتزيد سرعة الانتشار الصوفي في الوسط القبلي.

بمساندة هذه القبائل لسعادة، بدأ مشروعه الإصلاحي بتغيير المنكر وإقامة السنة وقتل قطاع الطرق بالبوادي ،وبعد نجاحه في تغيير المنكر في الطرقات، وتوفير الأمن، انتقل ليوسع من دائرة مجاله الإصلاحي، فطلب من منصور بن فضل بن مزني عامل الزاب إعفاء الرعية من المغارم والضرائب التي كانت تثقل كاهلهم فامتنع عن ذلك، وعزم على الإطاحة به، لكنّ أصحابه ساندوه، وكانوا لابن مزني بالمرصاد، وبايعوه على إقامة السنة والموت من أجل ذلك ، حينها أدرك عامل الزاب خطورة هذه الحركة على إمارته، فدعا قبائل الزواودة التي لم تنخرط في حركة سعادة لمساندته، فظاهروه على محاربة سعادة ومرابطيه، كما طلب منصور بن مزني المدد من صاحب بجاية[3]، وكان الأمير أبو البقاء خالد[4]، وقد كان هذا الأخير عاكفا على لهوه ولذاته، تاركا لجنوده، غائبا عن سياسة الملك[5] ، إذن نلاحظ هنا جور الولاة وتماديهم في المجالات الريفية في غياب السلطة التي كان لها الدور في ذلك.

لقد قام سعادة بالدور الذي من المفروض أن تقوم السلطة به، لكنّها عجزت عن فعله، وهو توفير الأمن وضبط الجباية ومحاربة اللّصوص ، لكن لو كان أبو البقاء خالد منتهجا طريقا صحيحا وذو سياسة

---

[1] الزواودة أو الدواودة هم أبناء داود بن مرداس بن رياح، وامتاز الزواودة بملك ضواحي قسنطينة وبجاية من التلول ومجالات الزاب وريغ ووارگلا وما وراءها من القفار في بلاد القبلة.أنظر :ابن خلدون عبد الرحمان، تاريخ، ج6،ص 44،45.

[2] نفسه ، ج6 ،ص51.

[3] ابن خلدون عبد الرحمان ،تاريخ ،ج6 ،ص51،52.

[4] أبو البقاء خالد ابن المولى أبي زكرياء ابن المولى ابن اسحاق ابن المولى أبي زكرياء وهو صاحب بجاية وقسنطينة بعد موت والده أبي زكرياء توفي سنة711هـ،أنظر: ابن الشماع، المصدر السابق،ص84.

[5] ابن الشماع ، المصدر نفسه ، ص84.

رشيدة، لوقف مع سعادة وسانده في حركته، لكنه وافق على مدّ يد العون لعامل الزاب وبالتالي تشجيعه على التمرد على الرعية .

أرسل الأمير الحفصي جيوشه إلى ابن مزني، وأوعز إلى أهل طولقة بالقبض على سعادة ،فخرج منها وابتنى بأنحائها زاوية ونزل بها مع أصحابه المرابطين وسماهم السنية ، وفي سنة 705هـ نزل أصحاب سعادة من الزواودة إلى مشاتيهم وبقي هو مع المرابطين المتخلفين عن الناجعة بزاويته ، ثمّ غزا "ملّيلي" وحاصرها أياما، لكن ابن مزني باغتهم ليلا بمساندة الجند السلطاني وأولاد حرب من الزواودة، ودارت بينهم رحى الحرب ،ولحقت الهزيمة بالمرابطين، وقتل سعادة وحمل رأسه إلى ابن مزني، ولما وصل خبر سعادة إلى أصحابه بمشاتيهم عزموا على الأخذ بثأر شيخهم ،ونهضوا مسرعين إلى الزاب ونازلوا بسكرة، فقطعوا نخيلها وقبضوا على عمال ابن مزني وأحرقوهم، وبعد ثمان سنوات من المواجهة لحقت الهزيمة ببني مزني حيث قتل علي بن مزني سنة 713هـ[1].

لقد قام أبو يحي بن أحمد وبعده عيسى بن محمد بإكمال ما بدأ به شيخهما سعادة على أكمل وجه ، وبعد موتهما تشاور المرابطون فيمن يقيمونه عليهم للفتيا في الأحكام، فوقع اختيارهم على الفقيه أبي عبد الله محمد بن الأزرق من فقهاء مقرة، وقد تفقّه ببجاية على يد أبي محمد الزواوي ،وقد نزل عند حسن بن سلامة شيخ أولاد طلحة ،فانتقلت رئاسة السنية من عرب أولاد محرز إلى عرب أولاد طلحة لنزول الفقيه محمد بن الأزرق عليهم وإقامته بينهم ، وقد ازداد هؤلاء السنية قوة وأصبح لهم تأثير في بلاد الزاب ووزن عند سلاطين بني زيان، فقد كان السلطان أبو تاشفين يتودّد إليهم بالجوائز خاصة عند مداهمتهم أوطان الحفصيين، كما أنّه جعل جائزة سنوية للفقيه ابن الأزرق ، لكن ما لبث أن انقرض أمر هؤلاء السنية، فقد توفي حسن بن سلامة شيخ أولاد طلحة الذي كان الزعيم العسكري للحركة ،كما استطاع يوسف ابن مزني إغراء الفقيه ابن الأزرق الذي كان بمثابة الزعيم الديني للسنية، ونصّبه لقضاء بسكرة فانقرض أمر السنية من رياح[2].

أراد علي بن أحمد إحياء دعوة السنة والقيام بأمرها فسانده أهل ريغ في صراعه ضد ابن مزني ،حيث نزلوا بسكرة سنة 740هـ و حاصروها أشهرا وامتنعت عليهم، فأقلعوا عنها بعد أن تمكن ابن مزني

[1] ابن خلدون عبد الرحمان ،تاريخ ،ج6 ، ص52.

[2] نفسه ،ج6 ،ص53.

من استرضائه ومهادنته، وبعد موت علي بن أحمد بقي من عقب سعادة في زاويته بنون وحفدة يرعاهم بنو مزني ، أمّا أعراب الفلاة فقد حفظوا لأبناء سعادة الحق في إجازة من يجيزونه من المسافرين وحمايتهم وإجارتهم للمستضعفين[1].

أمّا عرب الدواودة فقد انخرط الكثير منهم في صف هؤلاء المرابطين متظاهرين بتغيير المنكر وهم لا علاقة لهم بالدين، ولا بالأسس التي قامت عليها هذه الحركة وهي الورع والتقوى وإحياء السنة، بل كانت غايتهم خدمة مصالحهم وجمع الأموال، حيث جعلوا الزكاة ذريعة لتحصيلها ، وبهذا تلاشت الأبعاد الروحية والإصلاحية لحركة المرابطين السنّة بعد أن تغيرت الأهداف من دينية إلى دنيوية، وفي هذا يقول ابن خلدون :« وبقي هؤلاء الزواودة ينزع بعضهم أحيانا إلى إقامة هذه الدعوة، فيأخذون بها أنفسهم غير منتصفين من الدين والتعمق في الورع بما يناسبها، ويقضي حقها، يجعلونها ذريعة لأخذ الزكاة من الرعايا ويتظاهرون بتغيير المنكر... [2]».

### 3-2 التجربة المرابطية في قبيلتي النمامشة والفراشيش

إنّ الحركة المرابطية التي قادها سعادة وأصحابه السنية خلال القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي ،ليست المثال الوحيد على التحولات الاجتماعية والدينية التي نشأت مع انتشار التصوف الولائي، فبالإضافة إلى القبائل الهلالية نجد مثالين آخرين للاندماج في المنظومة الصوفية وهما قبيلتي أولاد سيدي عبيد وأولاد تليل .

حدثت هذه التحولات الاجتماعية والثقافية داخل قبيلتي النمامشة والفراشيش أيضا بتأثير من عبيد وتليل ،حيث وصل صداهما إليها وهما قبيلتان متجاورتان وتنتشران على طرفي الحدود السياسية الفاصلة بين تونس والجزائر حاليا، وقد أدى هذا التحول وهذا التلاقح إلى ظهور تركيبات اجتماعية جديدة أهمها القبائل المرابطية أو الولائية ، وقد ظهرت القبيلتان في نفس القرن تقريبا ما بين مرتفعات الأوراس و السباسب العليا التونسية، ولا يزال أحفادهم إلى غاية اليوم يحملون لقب عبيدي وتليلي[3].

[1] ابن خلدون عبد الرحمان، تاريخ، ج6، ص 53.

[2] نفسه، ج6، ص53.

[3] صالح علواني ، المرجع السابق ،ص118.

ومن خلال الدراسة التي قام بها صالح علواني حول هاتين القبيلتين والتي اعتمد فيها على الروايات الشفوية لأهل المنطقة، بالإضافة إلى قراءة ما خلفه الشيخ أحمد التليلي(1121هـ-1176هـ )مؤسس الزاوية الأحمدية حول أجداده خصوصا الجد تليل ، فقد توصّل من خلالها إلى أنّ التقاء عبيد وتليل كان في إقليم الزاب، وقد كانت تربطهما علاقة المريد بشيخه ،كما أنّ رفات الجد تليل نقل من مقبرة شيخه عبيد بالجزائر إلى فريانة بتونس سنة 1145هـ، وهذا دليل على أنّ تليل لازم شيخه عبيد إلى غاية وفاته ودفنه بجواره[1].

وقد رجّح نفس الباحث فترة تواجد الشيخ تليل مابين النصف الثاني من القرن الخامس عشر والنصف الأول من القرن السادس عشر الميلادي، وقد اعتمد في ذلك على مولد أحد أحفاده الذي كان سنة 1121هـ/1709م، وهو أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن عباس بن عبد اللطيف بن عبد الرحمان بن قاسم بن تليل ، والذي تفصله خمسة أجيال عن جده وافترض علواني 40 سنة بين كل جيل و آخر وبالتالي يكون تواجد عبيد والذي يكبره سنا خلال القرن الخامس عشر ميلادي[2].

ينتمي عبيد إلى أسرة مرابطة فوالده خذير وجده سالم انتميا إلى حركة التصوف الولائي الذي انتشر في بجاية في عهد أبي مدين شعيب ،كما أنّ والده خذير كان مستقرا في توزر من بلاد الجريد، والتي كانت الأفكار الصوفية منتشرة فيها بكثرة، بالإضافة إلى انتشار بعض الزوايا بها ، وقد انتشر خبره بعد عودته من أداء مناسك الحج ،حيث أصبح مقصودا من طرف الناس لقضاء حوائجهم، وقد أتاه عبد العزيز بن همام رئيس قبيلة الهمامة بابنته ليداويها بعدما عجز الأطباء عن ذلك، وشفيت على يديه بالفعل، فزفها إليه وأنجبت منه ولدين وبنتا هم: عبيد وأحمد و غزالة ، ثمّ عاد خذير مرة ثانية إلى بيت الله وقد وافته المنية هناك ، عندها قرّرت زوجته العودة إلى جبل فوّة أين يقطن أهلها[3].

وفي ما يخص عبيد فقد وافانا فيرو (Féraud) ببعض المعلومات التي حصل عليها في فترة تواجده بتبسة خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي ، حيث يشير إلى أنّ السكان المحليين للمنطقة ينطقون عبيد بضم العين وفتح الباء (عُبَيْد) ، وهؤلاء المرابطين من السكان المعزولين في منطقة

[1] صالح علواني، المرجع السابق،ص119.
[2] نفسه ، ص119.
[3] نفسه، ص 120.

النمامشة ينسبون شجرة نسبهم إلى النبي هذا ما يعطيهم لقب الشرفة[1]، فهو عبيد بن خذير بن عبد العزيز بن سليمان بن سالم بن إبراهيم بن عبد الحليم بن عبد الكريم بن عيسى بن موسى بن عبد السلام بن محمد بن عبد الجبار بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن مولاي إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر بن مولاي عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي وفاطمة الزهراء بنت الرسول محمد صلى الله عليه وسلم[2] ، وقد أقام سيدي عبيد بن خذير مدّة في الرباط الذي أسّسه سيدي سالم بنغرين في الصحراء ،ومن هناك اتجه نحو الشمال واختار قمّة جبل فوّة للإقامة، وبنى كوخا من الحجر والذي لا يزال موجودا إلى اليوم، حيث قضى فيه أربعين سنة منعزلا عن متاع الدنيا، ومارس فيه المجاهدات الدينية الأكثر قساوة ،وقد سلّم نفسه للإخلاص والتفاني في العبادة ، فغرابة الحياة الزهدية لسيدي عبيد والحكمة التي أظهرها دائما، وبعض الكرامات التي تمكن من تحقيقها في النهاية في بيته، مكنته في وقت قصير من استقطاب حشد من الزوار، أو كما أطلق عليهم فيرو "الحجّاج" الذين كانوا يتوافدون عليه، وقد اكتسب هالة من القداسة ،كما أنّ جبل فوّة على حد تعبير فيرو يعتبر مثل المرابط، فالأهالي يحترمونه ويحترمون حتى الغابات والحيوانات التي تعيش هناك[3].

إذن من خلال الرواية التي نقلها لنا فيرو على لسان أهالي المنطقة والتي نعتبرها مصدر للمعلومة في ظل غياب مصادر ملموسة حول هاتين القبيلتين، يتبين لنا الإرهاصات الأولى لظهور التصوف في هذه القبيلة، حيث أن الجد سالم أسّس رباطا ولابدّ أنّه لازم فيه التعبد والزهد وسار على نهجه ابنه خذير وولده عبيد الذي بقي مدة في هذا الرباط، ثمّ انتقل بعدها إلى موطنه جبل فوة حيث نشر أفكاره الصوفية وسط قبيلته والقبائل المحيطة بالجبل، منها قبيلة النمامشة التي تأثرت به واتبعته، ومن شدّة اعتقادهم في سيدي عبيد، أصبح المكان الذي عاش فيه بكل ما فيه مكانا مقدسا مهابا وله حرمة عند سكان المنطقة ، وفي

---

[1] Charl Féraud ,"Note sur Tebessa" , Revue Africaine , 18(1874) , p466 .

[2] صالح علواني ، المرجع السابق ،ص 118.

[3]Charles Féraud ,op:cit , p466 .

أنظر أيضا: Trumelet Corneille , L'Algerie légendaire en pèlerinage ça et la aux tombeaux des principaux Thaumatuges de L'Islam (Tell et Sahara) , Augustin Challamel Editeur, Paris ,1982 ,p238 .

حديث فيرو عن الوافدين إلى سيدي عبيد الذين سمّاهم بالحجاج يتبين أنّه كان يحظى بشعبية كبيرة ليس في منطقته فحسب بل في مجالات مختلفة، فإطلاق اسم حجّاج دليل على الكم الهائل من الناس والتوافد من شتى المناطق.

إنّ صورة الرجل الصالح العالم كثير الكرامات كانت تسبقه أينما حل في أي مجال من المجالات التي كانت متأثرة بالتصوف الولائي والإصلاح[1] ،لقد كانت صورة هذا الولي عالقة في المخيال الشعبي حيث كانوا شديدي الاعتقاد فيه وفي كراماته، ومن الصعب أن تتغير هذه النظرة عبر الأجيال، حتى وإن حدث بعض التغيير في بعض الروايات سواء بالزيادة أو النقصان إلاّ أنّ النظرة تبقى ثابتة ولن تتغير .

ومن الكرامات التي بقيت متداولة في المخيال الشعبي لأولاد سيدي عبيد الرواية التي نقلها لنا فيرو، حيث تنقل لنا الرواية صراعا أو تحدي بين وليين كانت الغلبة فيها لسيدي عبيد، وهي أنّ قبيلتي الهمامة و بني زيد وقع بينهما صراع، فالتجأت كل قبيلة إلى وليّها لينصرها على الأخرى، سيدي عبيد للهمامة، وسيدي قناوة لبني زيد، و في لحظة التشابك و الاصطدام بين القبيلتين، بدأ تفجير رهيب سُمِع صوتُه من جبل فوة، حيث انطلقت من هناك قذيفة مهولة، والتي وصلت إلى زاوية سيدي قناوة ودمّرتها على مرأى ومسمع من الطرفين، ممّا جعل المرابط سيدي قناوة يأتي مع رفقائه بني زيد إلى سيدي عبيد حيث انحنوا أمام أقدامه ،واعتذر منه سيدي قناوة على جرأته وتهوره ومقارنة نفسه به ،وطلب منه الصلح[2].

نرى من خلال الرواية التي أوردها فييرو أنّ القدرة الكرامية للولي سيدي عبيد فاقت قدرة سيدي قناوة الذي ظنّ بني زيد أنّه سينصرهم ويتغلبون بقدرته على الهمامة ، لكن حدث العكس ممّا جعلهم يراجعون أنفسهم ويأتون معتذرين، وكأنّ الولي قناوة رأى أنّ سيدي عبيد أورع منه، وبهذا انتصر عليه(حسب المخيال الشعبي) ،فالتحدي المعلن والظاهر هنا هو الانتصار في المعركة، لكنه في الأصل تحدي ورع وتقوى فعلى قدر الاستقامة والورع يكون النصر من عند الله .

بعد انقطاع دام أربعين سنة غادر سيدي عبيد جبل فوة، وبدأ يتنقل مع ابنه عبد الملك وبعض مريديه في الجنوب بين وادي أريغ وسوف حاملين راية الإصلاح، وهناك التحق به الكثير من المريدين ،وبعد

[1] صالح علواني ، المرجع السابق ، ص122.

[2] Charles Féraud , op :cit,p 467. أنظر أيضا. Trumelet Corneille,op :cit,p241,242 .

هذا المسار الطويل من الدعوة والإصلاح قرّر الاستراحة فاتخذ من ضفة واد قنتيس مكانا لخلوته ،وبعدما قضى بضعة سنين في نظام حياته الجديد، فاجأته المنية وهو في منتصف طريقه إلى واد مسكيانة ،فطلب من ابنه عبد الملك ومريديه أن يضعوا جسده فوق ظهر الجمل ،وأن يدفنوه في المكان الذي سيتوقف فيه الجمل، فالله هو من سيرشده لذلك، وقد سار الجمل يمينا باتجاه الخلوة المحببة للمرابط والتي قضى فيها أربعين سنة ،وتوقف في المكان الذي يعلوه مسجد سيدي عبيد[1] .

وحسب الرواية قام عبد الملك ورفاقه من مريدي الشيخ المرابط بدفنه في المكان الذي توقف فيه الجمل، وبعد الوفاة تحفظ الروايات المتداولة أنّ رجلا بنّاء من تونس رأى في منامه أنّ سيدي عبيد أتى إليه وأمره أن يبني قبره ،فذهب الرجل وسأل عن مكان دفن هذا الرجل ا الصالح حتى وجده ونفّذ ما أمره به سيدي عبيد، فأصبح هذا الضريح ذو شعبية كبيرة ومزارا من طرف الجزائريين والتونسيين على حد سواء، وفي مكان هذا الضريح دفن على التوالي ذئيب وحماد وأخيرا عبد المالك، وقد استقر بعض أحفاد هذا الأخير بالقرب من هذا النصب الجنائزي للمرابط عبيد وبنوا القرية التي تحمل اسم المرابط ،أما البقية فقد استوطنوا جبل فوة وأخذ الجبل اسم أولاد سيدي عبيد[2].

نلاحظ نشوء قرية في وطن قبلي وقد كان ذلك بالتوازي مع ظهور حركة ولائية ، وقد لعبت الخلوة هنا كما سماها فيرو (Féraud) و (Trumelet) ، أو بالأحرى الزاوية بالإضافة إلى الضريح الدور في تعمير هذا المجال، خاصة وأنّها بنيت في مكان استراتيجي يضمن لها ديمومة الاستمرار، فهي على ضفة واد قنتيس وبالتالي وجود متنفس اقتصادي ،بالإضافة إلى استمرار البركة بوجود هذا الضريح وضمان الحماية بحرمة المكان وقدسيته .

[1]Charles Féraud , op :cit, p 467- 468 .

[2] Charles Féraud ,ibidem, p 468.

وبالنسبة لتليل فمن دون شك أنه التقى بسيدي عبيد عندما كنا يقوم برحلاته الإصلاحية بين النمامشة وغيرهم من القبائل الرحل والمستقرين[1] ،وهذا ما جلب إليه العديد من المريدين من بينهم تليل الذي تأثر بورعه، فلازمه حتى أصبح مؤهلا لنشر دعوة شيخه باتباع السنة واجتناب الكبائر بين قبائل النمامشة والحنانشة وغيرهم من قبائل رياح ، ويرجع نسب تليل إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه فهو تليل بن نصر بن عبد الرحيم بن عبد الله بن مبارك بن القاسم بن نصر بن علي بن أحمد بن عبد العزيز بن عمر بن إبراهيم بن صالح بن شبالة بن الحمير بن عبد الغفار بن أبي بكر بن زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان[2].

لم يغادر تليل منطقة قبائل النمامشة وإقليم الأوراس وكان له من الأولاد أربعة :علي،قاسم ،عبد الرحيم وعبد الله، أمّا عبد الرحيم فقد بقي بهذه المنطقة وهو مدفون بمقبرة سيدي عبيد، وبالنسبة لإخوته فقد غادروا المنطقة وانتشروا في الزاب الشرقي والجريد وقفصة وفريانة ليعلموا الناس القرآن وينشروا دعوة أبيهم بين الناس، والتي تدعوا إلى إقامة السنة وتغيير المنكر و إلى التصوف .

ممّا سبق نخلص إلى :

●أنّ حركة استتابة الأعراب حدثت بفضل جهود شيوخ الصوفية أمثال أبي مدين شعيب وبعده تلميذه أبو يوسف الدهماني ثمّ سعادة الرياحي وغيرهم ، حيث تركوا التقاليد البدوية الداعية إلى الفروسية والقتال من أجل العصبية القبلية لتكون لهم مبادئ أخرى، وهي الانخراط في المنظومة الصوفية عبر بوابة التوبة والمضي قدما في إحياء السنة وتغيير المنكر،فجمعوا حولهم مريدين صدّقوا وآمنوا بما دعا إليه شيوخهم فرجحت كفة الانتماء الروحي على العصبية القبلية و الرابطة الدموية ،وهذا ما نستشفه من حديث ابن

[1] استعمل الأستاذ صالح علواني مصطلح الرحل فقط ، وقد أضفت مصطلح المستقرين لأنّ القبائل خاصة العربية منها لم تكن كلها مرتحلة فالعديد منها كان مستقرا أو جنح للاستقرار خاصة مع بداية اندماجها في المنظومة الصوفية وتركها للنشاط الحرابي .

ولقد علّق الأستاذ علاوة عمارة عن استعمال علواني لمصطلح بلاد الرحل ووصفه بالغامض، لأنه يعترضه واقع سوسيولوجي وثقافي مغاير ، فبلاد الرحل كما وصفها علواني لم تكن كذلك، لأنها تمتعت بعدة مراكز حضرية بل بتجمعات بشرية محصنة تعرف بالقصور ،وقد كان عددمنها ببلاد الزاب كما أشار إليها كل من ابن الحاج النميري وابن خلدون . أنظر :علاوة عمارة ،"قراءة وعرض لكتاب :القبائل والمرابطون الأعراب والولاية في داخل إفريقية بين القرن 6هـ/12م والقرن 12هـ/18م" ، للمؤلف صالح علواني ، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية ، 12(2011م) ، ص527.

[2] صالح علواني ، المرجع السابق ، ص123، 118.

خلدون عن تحالف الدواودة مع عامل الزاب ابن مزني حيث يقول :«فظاهروا ابن مزني على مدافعة سعادة وأصحابه المرابطين من إخوانهم[1]».

- أنه لا وجود لقبيلة مرابطية دون وجود النواة وهي الولي الصالح أو الشيخ الصوفي.

- لعبت رمزية الولي وقدسيته دورا في استقطاب فئات شتى إلى المنظومة الصوفية ، كما ضعفت سلطة شيوخ القبائل وتراجعت لتحل محلها سلطة الشيخ الصوفي بفعل الكاريزما التي لا يتمتع بها غيره، وهو ما تبحث عنه العامّة ، فأصبح الزعيم الروحي والسياسي والعسكري الذي يُرجع إليه في كل شيء ولا يستطيع أحد مخالفته.

[1]ابن خلدون عبد الرحمان ،تاريخ ،ج6،ص52.

## 4/الحضور المرابطي ودورهفي المجالات الريفية للمغرب الأوسط

### 4-1 مدلول كلمة مرابط

إنّ الجزم في مدلول كلمة مرابط غير ممكن لأنّ المجال المعنوي للكلمة أخذ بالاتساع والتباين، خاصة إذا ما تتبعنا المصادر المتعلقة بالفترة، فإننا سنجد خلطا ويصعب علينا ضبط المصطلح بدقة لتعدّد استعمالاته.

فبينما كانت كلمة مرابط مرتبطة بالمرابطة كظاهرة دينية عسكرية وهي التزام الرباط للعبادة ودفع خطر العدو خاصة مع تزايد هجمات النصارى، نجد المعنى تغير ليكون له دلالات أخرى ،حيث أصبحت كلمة مرابط لا تشير بالضرورة إلى نزيل رباط من الرباطات، فإذا ما تتبعنا المصادر المتعلقة بالقرن الثامن والتاسع الهجري /14و15م نجد المدلول يتغير لتتجرد كلمة مرابط من المؤسسة الرباط ، وحسبنا في ذلك ما ورد في الدرر المكنونة «أنّ بعض المرابطين من أهل الدّوار كانوا يسكنون الخيام[1]» ،كما نجد الكلمة تتجرد من وظيفة المُرابطة، فقد ذكر ابن الحاج النميري أبو بكر المغربي باسم المرابط دون أن يذكر أنه كان مرابطا في رباط ما، والغالب أنّه كان يقصد الصالح أو الزاهد أو الصوفي، لأنّ أبا بكر المغربي كان من تلامذة الولي الصالح أبي الهادي مصباح ذو الطريقة المدينية[2]، وما يدل أيضا على تجرّد الكلمة من الوظيفة أن عثمان بن علي الرياحي كان له رباط لكنّه لم يجعله لا للعبادة ولا لجهاد العدو، وهو ما يوضحه ابن الحاج في قوله:«ولم يزل به جديد الإنس ناعم البال....متظاهرا بالرباط نازعا فيما يزعم عن الهياط والمياط، مشتدا على لواتة الذين غصب أرضهم وانبسط في أرجائها بالبناء فأعظم قبضهم[3]» ،فهذا الشيخ الرياحي استعمل الرباط كحصن سمح له بممارسة سلطة ريفية على بعض الجماعات البشرية المحلية الخاضعة[4].

والمرابط لغة من ربط الشيء يربِطه ويربُطه فهو مربوط وربيط ،والرِباط والمرابطة :ملازمة ثغر العدو وأصله أن يربط كلّ واحد من الفريقين خيله، ثمّ صار لزوم الثغر رباطا ،وربّما سميت الخيل أنفسها رباطا ،

---

[1] المازوني يحيى، المصدر السابق ، ج2،ص149 .

[2] ابن الحاج النميري ،فيض العباب وإفاضة قدّاح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب ، درا وإع :محمد بن شقرون، دار الغرب الإسلامي ، بيروت-لبنان، ط1، 1990ص287.

[3] نفسه ، ص 415.

[4] علاوة عمارة، الهجرة الهلالية وأثرها في تغيير البنية الاجتماعية لبلاد الزاب ،ص21.

والرِباط المواظبة على الأمر ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :«ألا أدلّكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات قالوا :بلى يا رسول الله، قال:إسباغ الوضوء على المكاره ، وكثرة الخطى إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط[1]»،فالرباط في الأصل الإقامة على جهاد العدو، فشبَّهَ ما ذكر من الأفعال الصالحة بالجهاد في سبيل الله ، فسيكون الرباط مصدر رابَطتُ أي لازمت، وقيل :هو اسم لما يربط به الشيء أي يشدّ، بمعنى أنّ هذه الخلال تربط صاحبها عن المعاصي، وتكفّه عن المحارم ،وربط الله على قلبه بالصبر أي ألهمه الصبر وشَدَّهُ وقَوَاه[2].

إذن فالمرابط يصب في معنى الشد والملازمة، أي شدّ النفس عن الشهوات والمعاصي، وملازمتها الطاعات والمجاهدات الدينية، إذن بالنظر لهذا المعنى اللغوي يمكن اعتبار المرابط هو الولي والصالح والصوفي والزاهد، أي حتى لو جردناه من دور المرابطة بالرباط (التعبد والحراسة)، وحسبنا في ذلك أنّ أبا عمران موسى المازوني لما ذكر الشيخ أبا عبد الله محمد بن يحي وصفه قائلا:«الصالح الزكي الورع موصوفا بالدين وكانت له كرامات[3]» ثم وصفه بالمرابط وأنه ولي من أولياء الله[4].

وبعدما كانت كلمة مرابط مقترنة بوظيفتي التعبد والاحتراس زادت أبعادها الاجتماعية، فاتسع المجال المدلولاتي للكلمة، حيث أصبح هذا الاسم يطلق على الذين يقيمون في الزوايا ويوفرون الحماية للمسافرين من خطر الأعراب، ويأوي إليهم عابري السبيل للمبيت، ويوفرون المئونة للمحتاجين الذين يلجئون إلى الزوايا عندما تدفعهم الفاقة لذلك .

ممّا سبق يتبين لنا أنّ الكلمة "مرابط" أصبحت لا تحيل إلى المؤسسة الرباط ولا إلى الوظيفة المرابطة بل تجاوزتها لتصبح مرادفة لصفة الولي والصالح والصوفي والعابد،أي أصبحت كل هذه الألفاظ معبرة على

[1] مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري،المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم،دار إحياء التراث العربي، بيروت،دط،1431ه (تاريخ النشر بالشاملة)، رقم الحديث:251، ج1، ص219.

[2] ابن منظور ، مصدر سبق ذكره ،ج7،ص 302،303.

[3] أبو عمران موسى المازوني ، مناقب صلحاء الشلف، تحقيق: عبد القادر بوباية ،مكتبة الرشاد،سيدي بلعباس–الجزائر ،الطبعة الأولى، 2017م ،ص397.

[4]نفسه ، المصدر نفسه ،ص398.

شخصية واحدة وهي المرابط[1]، ومن خلال هذا الاستنتاج نفنّد الرأي القائل أنّ ظاهرة المرابطين إذا جردت من وظيفتها القتالية-الجهاد- أصبحت رمزا للخرافة والبدعة[2].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[1] وهذا ما توصّلت إليه أيضا الباحثة نللي سلامة العامري خلال دراستها للمرابط والصالح،أنظر:الولاية والمجتمع،ص495-498.

[2]وهو رأي كل من الأستاذ لطفي عيسى وهشام جعيط وشاطرهم في ذلك الأستاذ الطاهر بونابي .أنظر الطاهر بونابي،الحركة الصوفية ،ج1،ص335.

### 4-2المرابطون ودورهم في المجالات الريفية

لقد كان لهؤلاء المرابطين دور بارز في تنظيم المجال الريفي من خلال تدخلاتهم في الإصلاح بين المتنازعين وحفظ الأمن وإيواء وإطعام المسافرين والمحتاجين، ولم يكن هؤلاء المرابطين بالضرورة نزيلي رباط من الرباطات، فقد ذكر يحي المازوني أنّ ثيبا أكرهها أبوها على الزواج من رجل دون إذن ولا رضا منها، وكان في دوّارها مجموعة من المرابطين استنكروا فعل أبيها وقالوا :هذا منكر عظيم لا يحل لنا المقام هنا فحزموا خيامهم وعزموا على الرحيل، فأتتهم المرأة وطلبت منهم البقاء وأفصحت عن رضاها بهذا الزواج،فحّطوا رحالهم ،لكنّها عندما كانت مرتحلة مع زوجها إلى دوّاره التجأت إلى إحدى الزوايا وامتنعت عنه وقالت: كنت غير راضية فقيل لها كيف؟ وقد أفصحت أمام المرابطين بالقبول قالت:نعم ولكني كنت أنظر إلى أبي وبيده سكين[1].

إذن فالمرابطون لما عجزوا عن تغيير هذا المنكر عزموا على الرحيل لعدم قدرتهم على البقاء في مكان عمّ فيه المنكر وابتعد فيه الناس عن إقامة الشرع وهو أضعف الإيمان ، كما نلاحظ أن الأب لم يرد الكسر بخاطر هؤلاء المرابطين فأجبر ابنته على الإفصاح عن رضاها أمامهم تحت التهديد ودون علمهم .

كما كان للمرابطين دور في الجمع بين المرأة والرجل في حالة وجود ما يمنع ذلك خشية وقوعهما في الحرام، وكانوا لا يقومون بذلك إلا بوجود محرم للمرأة يكون بمثابة الولي في زواجها، فكانوا يرتبون للعقد ويجعلون بيوتهم مفتوحة لهم حتى يتم الزواج[2].

كما كان لهؤلاء المرابطين دور كبير في درء المظالم عن أهل البوادي والقرى، خاصة وأنّ عمال السلطان وشيوخ القبائل في هذه المجالات طالت أيديهم وأصبحوا يثقلون سكان المجالات الريفية من أهل الصنايع و الحراثين بالغرامات والفرائض على الزرع والنقود، وغيرها من المعاملات التي شقت على هؤلاء

[1] المازوني يحي ، المصدر السابق ، ج2، ص149-150.

[2]جاء في إحدى النوازل أنّ رجلا أراد الزواج بابنة عمه المتوفى والدها لكنّ أقارب أمها رفضوا وأرادوا تزويجها في قبيلة أمها،و علم أنها راضية به لكن ما بيدها شيء ،فاستعان ببعض الفرسان وحملها من دوّارها إلى دوّار بعض المرابطين ومكثت في بيت واحد منهم يومين أو ثلاث ثمّ بعث لأخيها فقدم إلى دوار المرابطين واستأذنها المرابطون فرضيت وعقد لهما أخوها برضاهما.أنظر: يحي المازوني ،نفسه ،ج2، ص150.

السكان، ممّا جعل أحد الرعية ممّن أثقله ذلك يلتجئ إلى أحد المرابطين ليتوسط له عند هذا العامل أو الشيخ ليتركه ويحرّره من دفع هذه الغرامة[1].

كما تولى المرابطون مهمة توفير الأمن في الأماكن التي كانت معبرا للمسافرين ، خاصة أمام تزايد خطر العرب الذين كانوا يجلسون للحرابة، وقد نهبت بسببهم أموال، وأخذ فيه ناس كثيرون ،ممّا جعل أحد مرابطي العرب ممن كان لهم جهد وقدرة يقوم بإنشاء عمارة في هذا المكان لقطع هذه المفسدة، وصدّ هؤلاء البغاة ، وبفضل هذا المرابط أصبح المكان مأوى للمسافرين والمشاة ،وقد انتشرت في أحواز هذا الموضع حراثات وعمائر و أسواق[2]، فبهذه العمارة وفّر لهم متطلباتهم من الزاد وما يحتاجونه في طريق السفر ، وقد أطلق الأستاذ بونابي على هذا النوع من العمائر أو الأربطة "رباط الإغاثة" باعتباره مكان لإغاثة الملهوفين الذين كانوا يعانون من اعتداءات قطاع الطرق[3].

من الأمثلة السابقة يتبين لنا الدور الاجتماعي لهؤلاء المرابطين ،حيث كانوا يمثلون دور الوسيط بين الرعية فيما بينهم، أو بين الرعية والسلطة ،ممّا وطّد العلاقات الاجتماعية بين سكان المجالات الريفية ، بالإضافة إلى دورهم الهام في صدّ قطاع الطرق وتأمين السبيل وإغاثة المتضرّرين من النشاط الحرابي، ممّا سهّل الحركة التجارية من جهة وحركة مختلف الفئات الاجتماعية من جهة أخرى .

هذا وقد عرفت أرياف المغرب الأوسط اجتماع المرابطين بعد صلاة الجمعة في مجلس على شيخ يختارونه، هو أقواهم وأكثرهم فهما للدّين واستنباطا لأحكام المريدين،حيث يجلس على يمين الداخل لمجلسهم ،ثم يجلسون على حسب تواردهم بعد مصافحة الشيخ صغيرهم وكبيرهم ، ثم يخرج خديم الشيخ سبحة فيقومون بالتسبيح والتهليل على حسب عددها ، وبعدها يصلون على النبي صلى الله عليه وسلم ،ثمّ يقرؤون كتاب الله ويختمون بالصلاة على رسوله صلى الله عليه وسلم ،ثم ينشد منشدهم في مدح النبي صلى الله عليه وسلم أو في المواعظ وفعل الخيرات، وما يكون عند الوقوع في الزلات والتي تضع الكثير منهم في خشوع تام يصل بهم إلى حد البكاء،ثم يأتي خديم الشيخ بالطعام ويكون من مال شيخه الخاص

[1] أبو زكرياء يحي بن أبي عمران موسى بن عيسى المغيلي ، الدرر المكنونة في نوازل مازونة ، مخطوط المدينة المنورة ، تحت رقم 30/ 2, 217 ، رقم الفيلم 79، النسخة الأولى ، الجزء 2، ورقة 61 و.

[2] المازوني يحي ، المصدر االسابق ،ج4 ،ص363-365.

[3] الطاهر بونابي ، الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين 8و9هجريين 14-15م،ج2 ،ص600.

فيأكل منه الحاضرون، ثم يتطيبون بطيب الشيخ الواحد تلو الآخر بدءا باليمين ،ثم يختمون بقراءة قصار المفصل إلى الفاتحة ،ثم يقرؤون بعض ما أُلِفَ في توحيد الله ،وبعدها يدعو الشيخ وهم يؤمنون ثم يصافحونه ويتفرقون[1]،ولم ينكر الفقهاء هذه التصرفات لما سئلوا عنها منهم الفقيه أبو الفضل العقباني و والده سعيد بل استحسنوها واعتبروها من المرغوب فيه كونها لم تخالف الكتاب والسنة.

لقد كان لهذه المجالس دور في نشر الثقافة الصوفية داخل المجتمع الريفي والحث على العبادة وذكر الله ،والدعوة إلى ترك المفاسد بالوعظ والتذكير بعواقب الوقوع في الزلات ، بالإضافة إلى الدعوة إلى نبذ الشرك والشعوذة، ويتجلى ذلك من خلال الاطلاع على كتب التوحيد خاصة أمام ظهور مدعي التصوف الذين استحوذ عليهم الشيطان فأملى لهم وزين لهم أعمالهم ، ويبدو أن هذه المجالس لم تنقطع وبقيت لفترة طويلة من الزمن، فقد سئل عنها أبو الفضل العقباني كما سئل عنها قبله والده سعيد وهذا ما يؤكد استمرارية هذه المجالس ودورها في نشر الوعي الديني داخل المجتمع الريفي،ورغم أنّ هؤلاء أثروا بشكل إيجابي في الوسط الريفي إلاّ أنّ المجالات الريفية لم تخلُ مدعي التصوف الذين استطاعوا أن يخدعوا الناس يجلبوهم إليهم بخزعبلاتهم بعدما أوهموهم بها وأقنعوهم بأنها كرامات وهو ما سنراه لاحقا.

[1] يحي المازوني ،المصدر السابق (مخ)، ج2 ،ورقة 274 و،ظ.

### 3-4 أشباه المرابطين بين ممارسة البدع واستغلال الناس في المجالات الريفية

رأينا الدور البنّاء لهذا الصنف من المرابطين ،لكن في المقابل نجد صنف آخر وهم أشباه المرابطين، فبينما وهب الصنف الأول نفسه لخدمة أفراد المجتمع الريفي، نجد الصنف الآخر يتظاهرون بالمرابطة خدمة لمصالحهم لا غير ، وهو ما أوضحته لنا العديد من النوازل .

فمنهم من ينسبون أنفسهم إلى الرباط لكنهم لا يؤدون دور المرابطين فلا يوفرون أمنا ولا يستضيفون عابر سبيل، وهو ما أفصحت عنه إحدى النوازل حيث سئل الفقيه محمد العقباني «عن أناس من سكان البوادي ينتسبون للرباط وتحرّر لهم الأزواج ويعملون دوارا ومداريس ويسمونها الزاوية، وقد تمس الحاجة من الخطار والمسافرين إلى السكون للتّحصن من شدة البرد والخوف على أنفسهم لبيوتهم، ولا يلتفتوا إليهم ويتركونهم متخوفين وجلين بساحة زاويتهم، لا يظهرون سماحة وجوبهم، وقد تفرغ أزودة المسافرين وتمسهم الحاجة إلى الطعام ولا يصلون إليه لشراء منهم ولا غيره، وتراهم يختلفون في بيوتهم ويتسللون لواذا...[1]» ،وقد أجاب الفقيه محمد العقباني عن هذه النازلة بقوله: أنّ ما يسمونه بالزاوية كان الأرجح أن يسمى حفرة الهاوية، وأهلها بالمتلصصين لا المرابطين ،كما أفصح عن تذمره لترك عابري السبيل جائعين خائفين، وأنّ الضيافة عموما واجبة في أهل الريف فكيف إذا كانت للمضطر والملهوف .

وفي نفس المنحى تذكر نازلة أخرى فقراء من أهل الرباط يعيشون من صدقات المسلمين وصرفات ذوي البغي، كما أنّ النصيب الأكبر لمعاشهم يأخذونه من الغاصبين وقطاع الطرق من العرب[2]، إذن فهؤلاء أخذوا الاسم فقط ، فقد تركوا مهمّة محاربة هؤلاء الغاصبين وصدِّهم، كما أنهم تماطلوا وتكاسلوا عن العمل متكلين في الكسب على الصدقات وهبات الغاصبين، وهذا يتنافى مع السلوك الحقيقي للمرابطين الذين يعتبرون الكسب الحلال كالرأس من الجسد.

كما أفصحت لنا بعض النوازل عن بعض المرابطين الذين جعلوا من الزكاة وسيلة لجمع الأموال فقد سئل الفقيه عبد الرحمان الوغليسي عن مرابطين يعدّون مقدار ما يجب من الزكاة المفروضة على

[1] يحي المازوني ، المصدر السابق(مخ) ، ج2 ،ورقة 192 ظ.

[2] «عن قوم من أهل الرباط يكونون فقراء يعيشون بصدقات الإسلام ونوافل خيراتهم لكن الأكثر مما يأخذون من ذلك من أيدي الغصاب والعرب الذين ينهبون أموال الناس إذا شنوا الغارات ويجورون في إخراج الأرض ويؤديهم ذلك إلى المداهنة مع الغصّاب ويكثر التكرار منهم إليهم لا ينفكّون عن المعاصي في كل وقت كالغيبة والنميمة ...».أنظر : يحي المازوني ،المصدر السابق(مخ) ،ج2،ورقة207 ،ظ.

صاحبها من قطيع أو ذهب، وبعد استخلاصها يعطيهم صاحب الزكاة نصيبا من المال[1]، وقد كانت إجابة الفقيه بأنّها غير جائزة وأنّها مَظْلَمة ،حتى أنه شبَّه من يقوم بهذا الفعل من المرابطين بأشياخ القبائل فيما يقبضونه من الرعية وأنّ ذلك إعانة على الظلم .

كما سئل عن صنف آخر من المرابطين الذين يستخلصون الزكاة خدمة لمصالحهم، ولكن بطريقة أخرى، وكان نص النازلة كالتالي:«...أنّ مرابطين يُقتدى بهم وعندهم في محلتهم من يستحق الزكاة ،وعلى بعضهم ديون كثيرة، وفيهم شخص فقير يعتقدونه ويستفتونه في المسائل وهو مستحق للزكاة، لكنهم يؤثرونه في إعطاء الزكاة وهو أيضا يأخذ من غيرهم، ويطلبون له بوجوههم ويرعونه غاية الرعاية، وغيره من الضعفاء ممن كان معه يعطونه اليسير من الزكاة، هل يضرهم حالة الضعفاء من أجل محاباة الفقيه[2]»،وقد أجاب بعدم جواز إعطائه هذه الزكاة لأجل الفقه والجاه، وضعفاء الموضع أولى بزكاة أهل الموضع، والأولى أن تصرف كما أمر الله للفقراء والمساكين وإن تساووا تعطى للأدين والأفضل[3].

كما استغل هؤلاء المرابطين توبة مستغرقي الذمة[4]، حيث كانوا يلتجئون إليهم بعد توبتهم ويعطونهم المال ليصرفونه في وجوهه المشروعة ،فيقوم المرابطون بصرف هذه الأموال ويقضون بها حوائجهم، ومع انتشار هذا النوع شدّد الفقهاء على ضرورة تحري صلاح من تُعطى له هذه المستحقات، فيجب أن يكون من أهل العلم والدين، وإلا فليصرفها التائب بيده[5].

---

[1] الونشريسي ، المصدر السابق ،ج1 ، ص 393 ،394.

[2] نفسه ،ج1 ، ص394.

[3] نفسه ،ج1 ،ص394.

[4] يطلق الفقهاء لفظ مستغرق الذمة على كل من جمع ماله بالغصب والظلم دون وجه شرعي ،واعتبروها أموالا محرمة من واجب الحاكم العادل ردّها لأصحابها،وإذا تاب مغتصبوها ولم يعلموا أصحابها تردّ إلى بيت المال وتنفق في مصالح المسلمين، ووضعوا قيودا لجميع المعاملات مع مستغرقي الذمة.أنظر:الشبلي أبو زكرياء يحي بن محمد بن الوليد ،التقسيم والتبيين في حكم أموال المستغرقين من الظلمة والغاصبين،تح:جمعة محمود الزريقي ، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، الرباط، 1414هـ/1993م ،ص101-140.

[5] المازوني يحي، المصدر السابق ، ج2، ورقة 65 و،ظ.

وأمام تزايد هذه المظاهر في هذه الفترة تعددت الكتب التي عالجت هذا المشكل وكان أشهرها كتاب الحلال والحرام للوليدي، وكتاب ابن الوليد الشبلي الذي صدر مؤخرا "بعنوان التقسيم والتبيين في حكم أموال المستغرقين من الظلمة والغاصبين"، بالإضافة إلى مؤلف الهواري التونسي حول التعامل مع مستغرقي الذمة.أنظر: حليمة فرحات ،"الصلحاء والسلطة بين الرفض والإغراء في المغرب الوسيط" ،تر:محمد الغرايب، مقال ضمن كتاب السلطة والفقهاء والمجتمع في تاريخ المغرب الائتلاف والاختلاف ،أعمال تكريمية مهداة للأستاذ أحمد عزاوي، تن:محمد الغرايب،عبد العزيز بل الفايدة،عبد العزيز عينوز،منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة ابن الطفيل،القنيطرة-المغرب، دط، 2013م،ص145.

إذن نلاحظ حياد وتجرّد المرابطين من صفة المرابطة سواء بالجهاد أو العبادة، حيث لم يبق لهم سوى الاسم الذي وظفوه لخدمة مصالحهم، كما نلاحظ اعتماد الزكاة كوسيلة ومبرّر لإضفاء الشرعية على نشاطهم الدنيوي وهو جمع الأموال.

لقد عرفت المجالات الريفية ظهور الكثير من البدع على أيدي هؤلاء المرابطين، فظهر منهم من يدّعي أمورا غيبية يعجز العقل عن تصورها وتصديقها، وقد سئل الفقيه محمد العقباني في أواسط عام 855هـ«...عن رجل من جبل ونشريس ينسب إلى الصلاح ويدّعي أمورا لا يدعيها عاقل ،يقول نرى جبريل، ويقول لي نسمع منه ونرى ميكائيل حين يكيل الماء، ويقول للظلمة من يشتري مني شياخته نشيخه ونعزل مضاده.... ويقول لمن يراه مريضا خذ هذه العشبة تداو بها فإنها كما أعطانيها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى غير ذلك[1]».

من خلال هذه النازلة يتبين لنا تمادي المرابطين في معرفتهم للغيب بأمور لا يمكن للعقل تقبلها ،حتى إنّ الكرامات لا تكون بهذا الشكل إنما هو استدراج من الشيطان، وقد أثر هؤلاء المرابطين على المجتمع الريفي حيث كان الكثير من الناس ينساق وراءهم، وكما هو معروف فإن ذهنية المجتمع الريفي بسيطة، وثقافتهم الدينية محدودة، فانساقوا وراء هؤلاء ظنا منهم أنها كرامات ، وقد كان لهذا النوع من المرابطين دور في تخلف المجتمع الريفي والنزول بمبادئ الدين الإسلامي ومعتقداته .

ومن البدع التي ظهرت على يد هذا النوع من المرابطين إيهامهم للناس بقضاء الحوائج، فكانوا يجتمعون مع شيخهم في بيت من يدعوهم لبيته ليُردَّ بذلك مالا من يد ظالم ظلمه فيه، أو للإصلاح بين الأقارب، أو الإصلاح بين قبيلتين متنازعتين ،أو لمنع جائر أجار عليهم، فيجتمعون للذكر ولا يقتصرون على ذلك، بل يزيدون على ذلك الرقص والتصفيق والشطح بعد أن يملئون بطونهم، وقد استنكر الفقيه عبد الرحمان الوغليسي فعل هؤلاء المرابطين واعتبره بدعة وضلالا، ولا يجوز ارتكاب أمر ممنوع لأجل مصالح موهومة، وإن كانوا يتشبهون بأهل الصدق من الصوفية فلا مجال للمقارنة ،فهؤلاء تخلصوا من مذام أنفسهم وقبائحهم وقدموها على منهاج الشريعة، ثم إنهم لا يملكون أنفسهم عن القيام والحركة لغلبة ما يرد عليهم

[1] الونشريسي، المصدر السابق،ج5،ص86.

فهي حالة صادقة من التواجد ،أمّا هؤلاء المرابطين فهم جهلة ،حتى أن الواحد فيهم ربما لا يؤدي فرضه ولا يجتنب محرما، ثم يملأ بطنه وبعدها يصفق ويتمايل[1] .

كما ذكر موسى المازوني صنفا آخر من مرابطي الأرياف أو كما سماهم الفقراء، الذين يجتمعون عند فقير معروف بضعف الحال وكثرة العيال، فيقترض ليوفر لهم من المأكل وعلف الدواب حشمة وحياء منهم ،وبعد فراغهم من المأكل يشرعون في تلاوة الأذكار، ويركلون الأرض ركلا، ويظهرون أمورا غريبة ،ويشاركهم النسوة في ذلك، وتعلوا أصواتهم وهم يصفقون ويشطحون، فإذا بلغ منهم الشيطان مأموله انطرحوا[2]، وأورد في ذلك شعرا لابن الحاج المالكي يقول فيه[3] :

ليس التصوف لبس الصوف تلبَسُه ولا بُكاؤُك إن غَـنَّى الـمُغَنونا

ولا صـياحٌ ولا رقـص ولا طـربٌ ولا تغاشٍ كأن قد صرتَ مجنونا

بل التـصـوف أن تصفو بلا كـدَرٍ وتـتـبعَ الحـقَ والبُرهـان والـديـنَا

وأن تُرى خـاضـعـا لله مكـتئـبا على ذنوبك طول الدهر محَزونا

وقد اعتبر موسى المازوني هذه التصرفات من المكاره والبدع الواجب النهي عنها، وتعريف من يقوم بها بالطريقة المثلى في ذلك ، فإن لم ينتهوا فالواجب على كل متدين هجرانهم، واجتناب مجالستهم وأكل أطعمتهم، لأنهم على ضلالة[4]، ثم ذكر الطريق الصحيح الواجب على الشيخ اتباعه في تعليم تلامذته فقال:«وينبغي على الشيخ أن يعرّف تلامذته بما يجب عليهم من أمور الديانة، ويحضهم على تصفية الأخلاق واتباع طريقة السلف وأهل الدين ويرتب لهم أورادا ،ويلزمهم الوفاء بها، ويربيهم ويؤدبهم ويجذب قلوبهم لسماع ما في كتب الرقائق، ويواخي بينهم ويحذّرهم من الشطح والقفز ،والتحامق والغيبة واستحقار الناس ولمزهم، ومن امتداد أيديهم لأكل أطعمة المخلطين ، وأن لا يشبعوا ويأكلوا في أنصاف البطون، ومن المداهنة والرياء والسمعة والتصنع، ويأمرهم بإخفاء أعمالهم وأن لا ينظروا لظهور الكرامة لئلا يستزلهم

[1] المازوني يحي، المصدر السابق ،ورقة 203 ظ ، ورقة204 و.

[2] المازوني موسى، المصدر السابق ،ص 251، 252.

[3] نفسه، ص245.

[4] نفسه، ص 252 ،253.

الشيطان[1]»، وفي هذا المنحى نجد الفقيه الصوفي ابن قنفذ يجعل خاتمة كتابه "أنس الفقير وعز الحقير" في تعريف المريد بكيفية التوبة والتعامل مع الأموال والعطاءات خاصة أمام انتشار هذه المظاهر[2].

إذن من خلال ما سبق نلاحظ شيوع ظاهرة الانخراط في المنظومة الدينية أو الصوفية عن طريق ما عرف بالتوبة ، ويتبين هذا من خلال كثرة النوازل الواردة في هذا الصّدد، والتي تحدثت كثيرا عن التحاق أشخاص أو مجموعات من القبائل العربية بصفة خاصة ومن غيرها بصفة عامة بالمنظومة الدينية وعزوفها عن النشاط الحرابي بصفة خاصة[3]، وإقلاعها عن مختلف المفاسد كالغيبة وعدم حجب النساء وعدم تحري الحلال والحرام[4]، وقد كان للمرابطين دور في هذا الالتفاف من خلال تصرفاتهم التي كانوا يقومون بها كالإصلاح بين المتخاصمين وتوفير الأمن وحفظ النفس، وتوفير المأوى و المئونة للمحتاجين، وإقامة مجالس للذكر ،ونشر الأفكار الصوفية ،هذه المعاملات جذبت إليها الكثير من التائبين حيث كانوا يتوجهون إلى الشيوخ والمرابطين ليتم الاستفسار عن كيفية هذا الاندماج.

لكن نجد بالمقابل ظهور المرابطين المبتدعين والذين راح ضحيتهم الكثير من أفراد المجتمع الريفي الذين أوهموا التائبين أن التوبة، والتكفير عن الذنوب، ودرء المفاسد، ومواجهة الظالم، تكون بالاجتماع للذكر بالتصفيق والرقص والتمايل، وهو ما لاقى إقبالا من المذنبين فهي بالنسبة لهم طريقة سهلة وبسيطة لتطهير أنفسهم من مذامها ، وصدِّ المعتدين ورد المظالم[5].

وقد أرجع الشيخ زرّوق ما ظهر من هذه الحوادث التي لم يكن لها أثر من قبلها إلى الغباوة والجهل وفي ذلك يقول:«....ويقولون إنّ قبولهم ذلك من قوة إيمانهم وتحقق إحسانهم، وإنّ ذلك هو عين الحقيقة ومنهاج سلوك السبيل والطريقة، وإنّما هي طريقة معوجة، وأمور ملبسة مروجة ،يغتر بها الجاهل فيتبع، ويحتج بها المتعصّب فيضل ويبتدع...[6]».

---

[1] المازوني موسى، المصدر السابق ، ص 279.

[2] ابن قنفذ، أنس الفقير،ص109-117.

[3] حول النوازل التي تطرقت للإقبال على التوبة :أنظر: المازوني يحي ،المصدر السابق(مخ) ، ورقة 55 ظ،ورقة 56وظ ، ورقة 57و.

[4] ورد في إحدى النوازل :«...قوم من أهل البادية لا يحجبون نساءهم ولا يتحرون من الغيبة ولا يميزون بين الحلال والحرام ،ثمّ تابوا فاعتزلوا بأنفسهم وحجبوا نساءهم وتركوا الغيبة وردوا التبعاتالتي كانت عليهم وقضوا الفوائت وردوا الكفارات....».أنظر: الونشريسي ، المصدر السابق ،ج12، ص49.

[5] يرى الأستاذ بونابي أن طرق التوبة التي اشترطها الفقهاء صعبة التطبيق بالنسبة لكل حرابي هذا ما جعل التوبة أمرا صعبا وجعل هؤلاء المحاربين ينفرون من المرابط الحقيقي للتوبة على يديه ويتجهون للمرابط المنحرف الذي يوهمهم أنّ مجرد الرقص والتصفيق يفي بالغرض.أنظر،الحركة الصوفية، ج1،ص357-358.

[6] أحمد زروق ، عدة المريد الصادق ،تح: الصادق بن عبد الرحمان الغرياني ، دار ابن حزم ،بيروت_لبنان، ط1، 1427هـ/2006م.ص38.

## الفصل الثالث: عوامل ومظاهر التغلغل الصوفي في المجالات الريفية

**1/ تأثير أبو مدين شعيب**

**2/ اعتزال الناس والبعد عن الدنيا وملهياتها**

**3/ تأثير الكرامة**

**4/ دور المؤلفات المنقبية**

**5/ تأثير الزاوية الريفية**

**5-1 مصطلح الزاوية الظهور والانتشار**

**5-2 تلامذة أبي مدين شعيب ودورهم في نشأة وانتشار الزوايا في الوسط الريفي**

**5-3 زوايا المجالات الريفية للمغرب الأوسط(الزوايا الريفية) من القرن السابع الهجري إلى القرن العاشر الهجري /13-15م.**

**5-3-1** زوايا القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي

**5-3-2** زوايا القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي

**5-3-3** زوايا القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي

**5-3-4** زوايا القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي

**5-4 أصناف الزوايا الريفية**

**أ/ الزاوية الريفية الصوفية**

**ب/ الزاوية الريفية الفقهية**

**ج/ الزاوية الريفية المتخصصة في الحفر في القبائل واستخراج الأموال**

**د/ زوايا ريفية جمعت بين وظيفتي التعليم وإضافة الواردين (الإطعام والإيواء)، وقضاء الحاجات**

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

هـ/ الزاوية الريفية الملجأ

و/ زاوية ريفية جمعت بين التعليم وإيواء الفارين

ز/ الزاوية الريفية المدرسة

## 5-5 الزاوية الريفية وتنظيم الحياة فيها

### 5-5-1 نزلاؤها وكيفية الانضمام إليها

### 5-5-2 تنظيم الحياة والعمل بالزاوية

أ/ الطلبة (المريدين)

ب/ أهل الولي(صاحب الزاوية)

ج/ الناظر والخدم

د/ المقدم

## 5-6 آليات تمويل الزوايا بأرياف المغرب الأوسط

### 5-6-1 الأحباس أو الوقفيات

### 5-6-2 هبات السلاطين

### 5-6-3 الفتوح والنذور

### 5-6-2 عائدات النشاط الفلاحي

## 5-7 الحرم الصوفي بين الوظيفة والقداسة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

## عوامل ومظاهر التغلغل الصوفي في المجالات الريفية للمغرب الأوسط

يعتبر القرن السابع للهجرة /13م منعطفا هاما في تاريخ التصوف، والذي ارتبط أساسا بظهور الولاية، والتي مثلت نقطة التحول الأساسية في هذا المسار،وقد اتصلت بها عدّة عوامل أبرزها اختلال التوازن الاجتماعي السياسي الذي قد يبدأ بالإكراه العقدي لينتهي بغصب الحقوق والإثقال الجبائي وخروج الحكام عن مبادئ الحكم، بالإضافة إلى عمليات الإغارة والنهب المؤدية عادة إلى النزوح وترك الأرض وتراجع العمران[1].

في ظل هذه الظروف التي أفرزتها السياسة الفاشلة للحكام، نجد المجتمع ينفر منها باحثا عن حل لأزماته، فلا يجد بديلا أحسن من الولي ليلتفّ حوله، فهو المقدس الملموس والوسيط المفضل، لأنه مشبع بقيم دينية ارتبطت بمسار طويل من العبادة والقرب من الله، ممّا جعله صاحب الكرامة والبركة الذي تبحث عنه الناس ،وفي ما يلي سنرى صدى هذه الحركة وتأثيراتها.

### 1/ تأثير أبو مدين شعيب

كان المذهب المالكي هو المذهب السائد في كافة الشمال الإفريقي، لكن سرعان ما ظهر وتزامنا مع سيطرة الموحدين شكل جديد من التدين وهو سيطرة التصوف السني أو ظهور حركة الولاية[2] ، حيث برزت ظاهرة التمجيد للنبي محمد وكذلك الولي الصالح الذي أصبح وكأنّه العنصر الثاني ضمن الثنائي الجديد (محمد النبي/ الولي الصالح ) ، وقد انتشرت هذه الظاهرة لدى العامة في الحواضر ولدى سكان الأرياف[3] .

---

[1] قسّم الأستاذ محمد القبلي مراحل تشكل الولاية إلى ثلاثة مراحل : مرحلة المخاض،مرحلة التصدروالاندفاع ومرحلة التنظيم والهيكلة ، للمزيد عن ذلك أنظر:محمد القبلي، حول تاريخ المجتمع المغربي في العصر الوسيط، مقدّمات أولية وقضايا ،نشر الفنك ، المغرب ،دط ، 1998م، ص22-30.

[2] يرى منصور بختي أنّ الذهنية الاجتماعية حول الانتماء الفكري تغيرت من طور المذهبية الفقهية إلى المذهبية الولائية ،فالمذهبية الفقهية هي الفترة التي اتبع فيها مجتمع المغرب الأوسط فقهاءه وعلماءه المالكية في مسائل الدين، هذا الاتباع الذي سرعان ما تغير إلى اتباع أولياء الله "علماء الحقيقة" والعزوف عمن صاروا يسمون "علماء الظاهر".أنظر: ظاهرة الولاية وتأثيراتها على مجتمع المغرب الأوسط ، فيما بين القرنين 6و9للهجرة ،/12و15للميلاد، صفحات للدراسات والنشر، الإمارات العربية المتحدة، دبي، ط1 ،2017م، ص69.

[3] صالح علواني ،المرجع السابق،ص114.

ومما زاد من تثبيت هذه الظاهرة وانتشارها ذياع صيت الشيخ سيدي أبي مدين شعيب دفين العباد بتلمسان (ت594)[1]، حيث تعتبر الطريقة المدينية أقدم طريقة صوفية بالمغرب الأوسط، حيث ظهرت في بجاية خلال عهد الخليفة الموحدي يعقوب المنصور (580هـ-595هـ/1184م-1199م)[2]، وقد استوحى أفكار طريقته السنية من المدرسة المحاسبية[3] و الغزالية[4]، واستلهم فكرة طقوس الطريقة وتنظيماتها من عبد القادر الجيلاني (ت560هـ/1165م)، ثمّ دمج هذه الأفكار وأخرجها في طابع سلوكي سني عمل على نشره من خلال نشاطه الصوفي بمدينة بجاية[5]، حيث كان يحيي مجالسه ودروسه ببيته[6] أو بمسجد أبي زكرياء يحي الزواوي بحومة اللؤلؤة[7]،«وقد كثر تلامذته وظهرت بركاته عليهم يقال أنه خرّج على يديه ألف تلميذ وظهرت لكل واحد منهم الكرامة والبركة[8]»، وكان يقرئ طلبته "رسالة القشيري"[9] و "المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى[10]".

لقد مهّد سيدي أبو مدين لبروز تصوف سنّي ولائي، وممّا زاد من التفاف الناس حول الشيخ أبي مدين جهوده في تبسيط مقولاته حتى يتسنّى لعامة الناس فهمها، وذلك من خلال كتابته لأشعار بسيطة اللغة، واضحة المعاني، ليسهل حفظها وتداولها ،وهي أشعار مستمدة من الواقع البدوي وقيمه السائدة التي تمجّد الفروسية والشجاعة وتحث على الصبر ، وقد لاقت تأثيرا مباشرا لدى سكان الأرياف على وجه

[1] ابن الزيات ، المصدر السابق ،ص319.

[2] هو أبو يوسف يعقوب بن أبي يعقوب يوسف بن أبي محمد عبد المؤمن بن علي القيسي الكومي صاحب بلاد المغرب ،تولى الحكم بعد وفاة والده بإجماع من شيوخ الموحدين وبني عبد المؤمن ،اختلف المؤرخون في سبب وفاته ،أمّا سنة ذلك فهي 595هـ بعد حكم دام 15 سنة.أنظر :علي محمد الصلابي ،المرجع السابق،ص392.

[3] لازم أبي مدين شعيب الشيخ ابن حرزهم وقرأ عليه رعاية المحاسبي وفهمها له .أنظر : ابن القنفذ ،أنس الفقير وعز الحقير ،ص14.

[4] يبدو تأثر أبي مدين بأفكار أبي حامد الغزالي واضحا وذلك في قوله«:....وطالعت كتب التذكير فما رأيت كالإحياء للغزالي».أنظر :ابن قنفذ،المصدر السابق،ص21.

[5] الطاهر بونابي ،الحركة الصوفية بالمغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين 14-15 ،ج1، ص82.

[6] ابن قنفذ ،أنس الفقير ، ص92.

[7] الغبريني ، المصدر السابق ،ص 27.

[8] ابن قنفذ ،أنس الفقير، ص16.

[9] الغبريني ، المصدر السابق، ص 26.

[10] ابن قنفذ ،أنس الفقير ، ص92.

الخصوص، حيث كانوا يعانون من ثقل الضرائب ومداهمات الأعراب والصراعات بين القبائل[1] ،وبالتالي وجدوا ضالّتهم في هذه الأشعار، لأنهم كانوا في حاجة إلى من يبعث فيهم الأمل واليقين باقتراب الفرج وثواب الصبر، ويزيدهم عزما وإرادة، ويبعدهم عن اليأس والقنوط[2].

**2/اعتزال الناس والبعد عن الدنيا وملهياتها**

لقد كانت الأماكن المعزولة والبعيدة عن مركز المدينة من أحبّ الأماكن إلى نفوس الأولياء، لذا نجد الكثير منهم يفضل الخلوة في الأماكن المهجورة أو قليلة السكان، وبالتالي فإنّ المجالات الريفية من أهم الأماكن التي تقصدها فئة المتصوفة، وبانتشار خبر الشيخ الصوفي في الريف يكون محل استقطاب لسكان الوسط الريفي أو القبلي في ذلك المجال الريفي، وبذياع صيته ينتشر خبره خارج منطقته ويصل للمجالات الريفية المجاورة وحتى البعيدة، مثلما حدث مع يعقوب ابن عمران البويوسفي ، فقد كان الناس يقصدونه من جهات مختلفة، فمنهم من يقضي حاجته وينصرف، ومنهم من يمكث عنده للأخذ عنه ثم يرجع لمنطقته حتى ينشر ما تعلمه من شيخه وهكذا.

وقد كان للشيخ سيدي واضح كهوف وغيران بجبل وافرشان–من جبال شلف– يتخلّى فيها للعبادة، حتى بلغ أعلى المقامات فازداد عبادة وخدمة للمولى عزّ وجلّ، وظهرت ولايته واعترف بها العام والخاص[3]،حيث كان يَرِد عليه الفقراء إلى جبل وافرشان ،وحدّث أبو عمران موسى بن عيسى المازوني عن حفدة الشيخ سيدي واضح أنه قال مرة لإمامه سيدي عزّوز :«سر بنا لكهوفنا بجبل وافرشان فإنّ الفقراء والواردين يردون هنا علينا وليس عندنا ما نطعمهم..... فاصعد بنا للغيران نقيم بها أيّاما فقال له:كيف يمكننا هنالك الثواء في هذا الزمان لا ماء ولا مرعى، ونحن مضطرّون للماء للوضوء والشرب، فمن أين نتوصّل إليه ؟فقال: سبحان الله ما أضعفك بيقين ....فمضى معه.....فصحبهما فقراء فقصدوا للمكان المعروف عند مكناسة بالعبّاد أي موضع تعبّد الشيخ ،فلمّا جنّهم الليل وصلّى كل منهم ما شاء الله، قام

[1] ذكرت العديد من النوازل ما كان يعانيه سكان الأرياف من قهر وظلم وثقل ضرائب.أنظر:المازوني موسى ،المصدر السابق،ج1،ص386. وذكر الوزان الصراعات بين قبائل جبال الجزائر وانعدام الأمن واستحالة المرور من هناك إلا بصحبة ولي القبائل أنظر: الوزان، المصدر السابق ،ج2،ص46.والأمثلة عن ذلك كثيرة جدا وسقت هذين المثالين فقط على سبيل الذكر لا الحصر.

[2] صالح علواني ، المرجع السابق ، ص114-115.

[3] المازوني موسى،المصدر السابق ،ص 124.

سيدي عزّوز وإذا بالسماء قد جادت برزقها.....فأصبح من الغد جميع ما حواليهم من الغدران مملوءة بماء السماء .....وبعد نزول المطر انتجع الناس بمواشيهم من الأوطية للجبل برعي ما فيه من اليبس وسقيها من ماء الغدران....[1]».

يتضح من قول سيدي واضح "ليس لدينا ما نطعمهم" أنّ الفقراء لا يأتون للزيارة و التبرك فحسب ثم ينصرفوا، فلو كانت الزيارة قصيرة لاستطاع تدبّر أمر الطعام، لكن التفكير في توفير الطعام والانتقال إلى الغيران من أجل ذلك يصحبه طول المدة التي سيقضيها الواردين عنده، وبالتالي فإنّ الفقراء والواردين يقصدونه للتعلم والنهل من أفكاره الصوفية، وعند انقضاء مدة التدريس يعودون لأوطانهم فيُعَلموا أهاليهم ما أخذوه عن شيخهم، ثمّ إنّ المكان الذي ذكره موسى المازوني باسم العباد كان بمثابة الزاوية حيث تعبّدوا فيه ،وبتوفير الماء والمرعى أمكنهم البقاء هناك ،ومن دون شكّ أنّ الناس الذين قصدوا الجبل للرعي يحملون زادهم من الطعام وبالتالي سيقدّمون منه شيئا للشيخ وفقرائه ،فاجتماع الفقراء مع شيخهم في مكان والاعتزال فيه عن الناس والتعبد شرط لحصول المراد وفي ذلك يقول موسى المازوني «من قام بخدمة مولاه في الغيران جاءه رزقه يسعى إليه من كل مكان[2]».

[1] المازوني موسى ، المصدر السابق ، ص113-114.

[2] نفسه ،ص114،113.

### 3/ تأثير الكرامة

لقد كان للكرامة الدّور الفعال في جذب المريدين ونشر التّصوف في الوسط الريفي، خاصة وأنّ ذهنية أهل الريف بسيطة ومعتادة على تقديس الأشياء والاعتقاد في قوى الخير والشر، لذا سيكون سهلا عليهم تقبل الكرامة والاعتقاد في الولي ،وقد كان أصحاب الكرامات يكتمونها حتى يكشفها الله لخدّامهم أو زوارهم ، فتتغير نظرتهم لذلك الشيخ ،ويحسن اعتقادهم فيه، ويكون سببا في توبتهم ومراجعتهم لأنفسهم ،ثمّ يرغب هؤلاء في أن يكون حالهم مثل هؤلاء الأولياء، فيرغبون بصحبته والنهل من علمه فيزدادون عملا وجهادا وخدمة لله عزّ وجل، حتى يصلون إلى ما وصل إليه شيخهم، ثمّ ينصرفون إلى أوطانهم فيكونون سببا في هداية خلق آخرين ، وتنتشر تعاليمهم بنفس الشكل ، وقد برّر موسى المازوني مكاشفة الله لعبده وتخصيصه بكرامات معينة بقوله :«حتى يعظم جلال الله في قلبه، وينبذ ما تعلق بقلبه من الدنيا، ويؤثر طريق الآخرة ،ولتتأكد عزائم التلامذة والمتردّدين إليه والمحدقين به من الجيران في اتباعه ومعرفة فضل الله عليه[1]»، وقد كان رجل بالمغرب يظهر الكرامة ويصرح بها ويقول:«أظهروا الكرامة ليرغب في الطاعة[2]»، ،ويذكر الورتيلاني أنّ الولي يحي العيدلي كانت له كرامات ثمّ ارتفعت في آخر عمره، فلما سئل عن ذلك قال:« فعل الله ذلك ابتداء ليعلم بحالي الخلق وليظهرني فلما حصل المقصود من الظهور والنفع للخلق وظهرت الخصوصية وثبتت ودامت ارتفع ذلك[3]».

إذن فللكرامة دور فعّال في التفاف الناس حول الولي و أتباعه ثم نشر طريقته ،وحسبنا في ذلك أنّه كان لسيدي أبي مدين خدم من الجن يتهيئون في صور الآدميين حيث كان يسلطهم على الظلمة بالبوادي فلا يزال الضعفاء ينتصفون بهم ببركته[4] ،لاشك أنّ هذه الكرامة ستكون ذات منزلة لدى سكان الوسط الريفي والقبلي، وستزيدهم اعتقادا فيه، وبالتالي ينجذب نحوه المريدون لتعلم طريقته ،والسير على خطاه ،ثم نشر طريقته في وسطهم الريفي.

---

[1] المازوني موسى، المصدر السابق ،ص 58،59.

[2] ابن قنفذ ، أنس الفقير،ص3.

[3] الورتيلاني الحسين بن محمد ، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار ، مطبعة بيير فونتانا الشرقية ،بعناية ابن أبي شنب، الجزائر ،1336هـ/1908م ، ،ص10.

[4] ابن الطواح عبد الواحد محمد ، سبك المقال لفك العقال ، تح ودرا: محمد مسعود جبران ، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ، طرابلس ، ط2، 2008م،ص74.

كما صور لنا موسى المازوني صورة أخرى لانتشار خبر الولي في مجال ريفي لمنطقة شلف وانجذاب الناس إليه بفضل كرامته، وهي أنّ الولي سيدي واضح قصد هو ومريديه المكان المعروف عند مكناسة بالعباد من جبال شلف، ولم يكن يتوفر لا على ماء ولا على مرعى، فلمّا حلّ بهم الليل هناك، قاموا وصلى كل واحد منهم ما شاء الله ،وإذا بالسماء تمطر، فأصبح جميع ما حولهم من الغدران تفيض ماء ، وقد أشرف عليهم الرعاء يوما فلمّا رجعوا إلى أهاليهم أخبروهم بمكان الشيخ مع الفقراء، ففرحوا وانبسطت للقياه أنفسهم ،وعزموا على التوجه إليه لالتماس الدعاء والتبرك برؤيته[1] ..

يتضح لنا من رواية موسى المازوني أنّ قدوم الرعاة للجبل كان صدفة، فمن المؤكد أنهم يعرفون المكان وما كان عليه من قبل ،فلمّا وجدوا الماء والمرعى والشيخ هناك مع مريديه عرفوا أنّ وراء هذا التغير فعل كرامي جعلهم يعتقدون في الشيخ ، ولغرابة التحوّل الذي طرأ على المكان زفّ الرعاة لأهاليهم خبر الشيخ وفقرائه والكرامة التي حصلت على يده، ونظرا لاعتقادهم في الشيخ تاقت نفوسهم للقياه ،كما نلاحظ ذياع خبر الولي بفضل الكرامة التي حصلت على يده وهي جلب الماء والمرعى إلى أرض جدباء في غير وقته ،ثمّ أن هؤلاء الأهالي لما عزموا على التّنقل إلى مكان الشيخ للتبرك به وطلب الدعاء ،من المؤكد أنّ فيهم من يقوده اعتقاده إلى البقاء عنده والتعلم على يديه ،ثم الانصراف من عنده بعد انتهاء المدة الكافية لجعله شيخا مؤهلا لنشر طريقة شيخه .

[1] المازوني موسى ، المصدر السابق ، ص 114.

**4/المؤلفات المنقبية**

لعبت المؤلفات المنقبية دورا هاما في نشر التصوف، حيث روّجت لنظرية نجاعة الولاية فجاءت حبلى بالنصوص التي ترفع الحرج عن الولوج في هذا الطريق، وترغّب في صحبة الفقراء والاعتقاد فيهم ،فمناقب الأولياء كفيلة بأن تقود إلى طريق التصوف لصحة أخبارها المروية من طرف رجال ثقات، وهو ما نستشفه في البيتين الذين أوردهما ابن قنفذ يقول فيهما:

للـصالحين مـناقب مـأثـورة يجلو مأثرها الطريق الأوفق

شاعت بألسنة الثقات وكلهم متحـقـق في ما رواه محقق[1]

ومن النصوص المنقبية التي رغّبت في اتباع التصوف والتحذير من سوء الظن في الأولياء، نص لابن قنفذ يقول فيه :«واعلم أنّ سوء الظن أساس الحجاب بين الناس والأولياء ، وحسن الظن فيه سلامة الدين وثبوت اليقين»[2] ،وفي موضع آخر يقول:«وإياك أن تذم من ترى منهم فإنّ ذلك سبب لحرمانك تذم هذا وتذم هذا فيخفى عليك الأفضل، فإذا أحسنت ظنك بهذا، ووقرت واعتقدت هذا ،وقع بيدك الأكمل»[3]، ثم يورد الحديث القدسي:«من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحبّ إلي ممّا افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبّه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ،ويده التي يبطش بها ،ورجله التي يمشي بها ،وإن سألني أعطيته، ولئن استعاذني لأعيذنّه[4]»، وقد استدلّ بهذا الحديث معظم كتاب المناقب.

وقد أورد المازوني نصا نستشف من خلاله دور المؤلفات المنقبية في الترويج للأولياء والترغيب في سلوك طريق التصوف ،حيث تحدّث المازوني عن محتويات كتابه مناقب صلحاء شلف والغاية من تأليفه فيقول:« وأدمجت له عند تقييدي له هذا مواعظ ذكية ،وأشعارا معنوية، ترقق القلوب وتذري الدموع ،

---

[1] ابن قنفذ ،أنس الفقير،ص94.

[2] ابن قنفذ، أنس الفقير، ص6.

[3] نفسه،ص89.

[4] البخاري محمد بن إسماعيل أبو عبد الله، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه:صحيح البخاري ،تح: محمد زهير بن ناصر الناصر ، شرح وتع: مصطفى ديب البغا ، كتاب الرقاق،باب التواضع،رقم 6502، **دار** طوق النجاة ،بيروت-لبنان ، ط1 ، 1422هـ،ج8، ص105.

وجلبت له شيئا من العجائب المأثورة عن القوم وبعض أسرار أهل التصوف، وأحاديث نبوية ومجاهدة القوم نفوسهم وكيفية أحوالهم تفيد بمجموعها رغبة في صحبة الفضلاء ، ونشاطا لزيارة الصلحاء والإخوان، وحرصا في حضور مجالسهم ...[1]».

[1] المازوني موسى ،المصدر السابق،ص53.

## 5/ تأثير الزاوية الريفية

### 5-1 مصطلح الزاوية الظهور والانتشار

ممّا تجدر الإشارة إليه أنّ الزاوية لم تظهر في تاريخ المسلمين كمركز ديني وعلمي إلاّ بعد مؤسسة الرباط، والرباط مصدر رابط بمعنى أقام ولازم المكان، ويطلق في اصطلاح الفقهاء على المكان الذي يجتمع فيه المجاهدون لحراسة البلاد ورد هجوم العدو عنها، أمّا عند الصوفية، فهو المكان الذي يلتقي فيه الصلحاء لذكر الله وعبادته والتفقه في أمور الدين[1]، ويشترط في ساكن الرباط «قطع المعاملة مع الخلق، وفتح المعاملة مع الحق، وترك الاكتساب اكتفاء بكفاية مسبب الأسباب[2]».

إنّ وظيفة التعبد والاحتراس هي وظائف اضطلع بها الرباط في بداية التأسيس، لكن ما لبث أن تطورت وظائفه لتشمل إيواء المسافرين ، وإطعام المحتاجين، وتأمين الطرقات، وهذا ما توضحه المصادر المتعلقة بنهاية القرن السابع الهجري/13م إلى غاية القرن التاسع الهجري/15م[3].

وبينما كان الرباط سباقا في الظهور على الزوايا فإنّ ظهور الرابطة كان متزامنا مع مؤسسة الزواية ، وما يؤكد هذا هو أنّ الغبريني ذكر رابطة أبي الحسن علي بن أبي نصر فتح بن عبد الله (ت652هـ) التي كانت خارج باب أمسيون[4] ، وذكر زاوية أبي زكرياء يحي المتوفى سنة (611هـ)[5]،وهذا ما يدل على استقلالية كل مؤسسة عن الأخرى.

أمّا الرابطة فقد وردت في المصادر بعدّة مفاهيم ، وعلى هذا الاعتبار أوجزت الأستاذة نللي سلامة العامري مصطلح الرابطة في أربعة مفاهيم وهي : أنّ الرابطة قد تكون مسجدا،أو مقر سكنى الولي، وقد تطلق على ضريح الولي أو الصالح ، كما يمكن أن تكون الرابطة المكان الذي يجتمع فيه الصالحون[6].

---

[1] محمد حجي ، الزاوية الدلائية ودورها العلمي والديني والسياسي ، نش المطبعة الوطنية ، الرباط ،دط ،1384هـ/1964م،ص 23.أنظرأيضا: فهد سالم خليل الراشد،الرباط والمرابطة ،تق: زعيم خنشلاوي،دار الجائزة، القبة-الجزائر، ط1، 1432هـ/2011م، ص44-46.

[2] ابن مرزوق، المسند الصحيح ، ص412.

[3] ذكرت العديد من النوازل تأسيس بعض المرابطين للأربطة وكانوا يقومون فيها بتوفير الأمن للقوافل وإيواء المسافرين وإطعامهم وتلبية حاجيات المحتاجين.أنظر: المازوني يحي، المصدر السابق، ج4،ص 364.كما تؤكد شهادة العبدري هذا التطور في الوظائف فعند وصفه لرباط سوسة قال: «وفيها رباط متسع عجيب مليح جدا ينزل به الحجاج والمسافرين» .أنظر :العبدري ،المصدر السابق،ص 154.

[4] الغبريني ،المصدر السابق،ص 137، 138.

[5] نفسه ،ص126، 129.

[6] نللي سلامة العامري ، المرجع السابق ،ص92، 93 ،94 .

وبالنسبة للزاوية فهي في اللغة من زوي:الزي مصدر زوى يزويه زيا وزويا فانزوى ،نحاه فتنحى، وزواه قبضه ،و زويت الشيء جمعته وقبضته ، وانزوى القوم بعضهم إلى بعض إذا تدانوا وتضاموا، والزاوية واحدة الزوايا ، وانزوت الجلدة في النار تقبضت واجتمعت، والزُوي: العدول من شيء إلى شيء وزاوية البيت ركنه ،والجمع زوايا ، وتزوّى صار في الزاوية[1].

أمّا من الناحية الاصطلاحية فهي بناية ذات طابع ديني وثقافي[2] يصلي فيها الشيخ الصوفي صلواته الخمس، ويعتكف فيها للعبادة والأوراد يخدمه متطوعون نذروا أنفسهم لخدمة الزاوية ، ويلتف حوله طلبة يأخذون على الشيخ طريقته في التصوف ، وتقوم الزاوية بتوفير ما يحتاجه المريدون من إيواء وإطعام[3] ،و تعتبر الزاوية أرقى أشكال الممارسة والتنظيم التي أفرزها الحقل الصوفي ببلاد المغرب، فهي تتويج تاريخي لصيرورة هذا الأخير وامتداداته التاريخية، لتتجاوز الحقل الديني وتأخذ خصائص التنظيم الاجتماعي والسياسي[4].

وخلال القرن الثامن الهجري/14م ، تغيرت وظائف الزاوية فلم تعد مقتصرة على التعليم فحسب وقد أعطانا ابن مرزوق صورة جديدة لوظائف الزاوية خلال هذا القرن في قوله:« وهذه الزوايا هي التي يطلق عليها في المشرق الربط والخوانق والخانقاه علم على الربط فهو لفظ أعجمي.....والظاهر أن الزوايا عندنا في المغرب هي المواضع المعدّة لإرفاق الواردين وإطعام المحتاجين من القاصدين ، وأما الربط على ما هو مصطلح عليه في المشرق، فلم أر في المغرب على سبيلها ونمطها إلاّ رباط سيدي أبي محمد الصالح والزاوية المنسوبة لأبي زكرياء يحي بن عمر بسلا..[5]».

من خلال قول ابن مرزوق نلاحظ أنّ وظيفة الرباط في المشرق أصبحت مشابهة إلى وظائف الزاوية في المغرب خلال القرن الثامن الهجري/14م ،حيث أضافت الزاوية إلى وظيفتها التعليمية الوظيفة الاجتماعية من إيواء وإطعام للمحتاجين والمسافرين ، وما يؤكد اضطلاع الزاوية بهذه الوظائف الجديدة هي

---

[1] ابن منظور ، المصدر السابق ، ج14 ،ص 363، 364 ،365.

[2] عبد العزيز فيلالي ، المرجع السابق ، ج1 ،ص 148.

[3] الطاهر بونابي ، التصوف في الجزائر خلال القرنين 6و7الهجريين/12و13 الميلاديين ،نشأته،تياراته،دوره الاجتماعي والثقافي والفكري والسياسي،دار الهدى ، عين مليلة،دط،دت، ص223.

[4] فحسب محمد جحاح فإنّ التصوف الإسلامي أفرز ثلاثة تنظيمات أساسية: **–الرباط**:وفي إطاره يندرج الصلحاء والمرابطون.

**–الطريقة**:وفي إطارها يمكن الحديث عن الزاوية والطائفة.

**–الزاوية**:وهي التجسيد التاريخي/ الميداني فهي دمج للأشكال السابقة وبالتالي تعتبر أرقى أشكال الممارسة والتنظيم.

أنظر:محمد جحاح، المرجع السابق ، ص 38-39.

[5] ابن مرزوق ، المسند الصحيح ، ص 411 ،413.

أن زاوية يعقوب بن عمران البويوسفي بملارة كانت إلى جانب تدريس الطريقة المدينية يقصدها المحتاجين لطلب المساعدة فقد «فرق جد ابن قنفذ على المحتاجين من أقاربه ومعارفه 1000دينار دراهم جديدة و 300 دينار ذهبا.....ولا يخرج الزائر المحتاج حتى يناوله بقدر حاله[1]».

وقد ورد في أحد مصادر القرن التاسع الهجري/15م أنّ رجلا من المرابطين بنى عمارة كبيرة في موضع كان خاليا ومرتعا للنشاط الحرابي، وجعلها لتأمين الطريق وإطعام المسافرين وعابري السبيل وإيوائهم[2]، إذن من خلال هذه الإشارة نلاحظ وجود رباط خلال القرن التاسع الهجري/15م على شاكلة ربط المشرق خلال القرن الثامن الهجري/14م ، وباعتماد تعريف ابن مرزوق نلاحظ تشابه وظيفة الرباط والزاوية، وبالتالي يمكن تسمية هذه العمارة إمّا رباطا وإمّا زاوية، ومن خلال هذا الطرح نلاحظ عدم الاندثار الكلي لمؤسسة الرّباط.

إنّ أقدم إشارة لكلمة زاوية كانت نهاية القرن السابع الهجري/13م وبداية القرن الثامن الهجري /14م ،وقد وردت في كتاب عنوان الدراية لأبي العباس الغبريني، وهي زاوية أبي زكرياء يحي بن يحي الزواوي (ت611)[3]، والتي تعود إلى بداية القرن السابع الهجري/13م ، هذا بالنسبة لأقدم إشارة حول الزوايا في المغرب الأوسط ، أما بالنسبة لأقدم زاوية فهي تعود إلى القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، وهو ما تؤكده وثيقة موجودة بزاوية قجال بسطيف، والتي تعود إلى القرن الثالث عشر الهجري، وهي وثيقة توضح تمتع هذه الزاوية بأوقاف أميرية، وفيها إشارة إلى وجود هذه الزاوية منذ القرن الخامس الهجري وهي كالتالي :«حامله السيد محمد الصغير،أراضي أقطعت له من أمراء القرن الخامس تمليكا وحبّست عليهم حبسا مؤبدا على أعقابهم ...[4]»،وبالتالي فإنّ أقدم نص لوجود الزوايا يعود إلى نهاية القرن السابع وبداية القرن الثامن الهجري ،أمّا من ناحية أول تواجد للزوايا بالمغرب الأوسط فهو القرن الخامس الهجري، حيث تعتبر زاوية قجال أقدم زاوية بالمغرب الأوسط، وباستثناء هاتين الزاويتين لم نعثر على إشارات أخرى، وهو ما يدل على حداثة المؤسسة وعدم شيوعها خلال الفترة الممتدة من القرن الخامس الهجري وحتى القرن السابع الهجري.

[1] ابن قنفذ ،أنس الفقير ،ص45.

[2] المازوني يحي ، المصدر السابق ، ج4،ص363، 364.

[3] الغبريني ، المصدر السابق ، ص129.

[4] وثيقة بمكتبة زاوية قجال غير مرقمة وغير معنونة.

### 2-5 تلامذة أبي مدين شعيب ودورهم في نشأة وانتشار الزوايا في الوسط الريفي

كان لأبي مدين الأثر البالغ في كافة الشمال الإفريقي ،وقد ذكر ابن قنفذ أنّ والد جدّه للأم يعقوب بن عمران البويوسوفي ارتحل إلى جبال شلف أين يتواجد أحد طلبة الشيخ أبي مدين شعيب وهو أبو مسعود بن عريف[1]، ويبدو أنّ هذا الأخير ارتحل إلى أبي مدين ودرس على يديه ثمّ عاد إلى جبال شلف وأسس رابطة أو زاوية للتعبد فيها واستقبال المريدين[2]، ويبدو أنّ عددهم لم يكن بالقليل، ومن الواضح أنّه كان ذائع الصّيت ليس في منطقته فحسب، بل في كامل المغرب الأوسط ،يؤكد ذلك ارتحال والد جد ابن قنفذ إليه من "ملارة بقسنطينة "إلى "جبل بيسة من جبال الشلف[3]" ،وعن أبي مسعود ابن عريف يقول ابن قنفذ: « وهو شيخ والد جدي للأم يعقوب بن عمران البويوسفي فإنّه ارتحل إليه في صغره فأدّبه وهذّبه وأحسن تربيته، وقرّبه وانتفع على يده وأمره بالانصراف إلى وطنه[4]»، وبعد رجوع الشيخ يعقوب إلى ملارة أقام بها زاوية[5]، ومع خبر وجوده بالمنطقة يلتفّ حوله المريدون .

إذن نلاحظ أنّ ما قام به أبو مسعود بن عريف في المجال الريفي وهو جبال الشلف، قد كرّره أحد مريديه وهو يعقوب بن عمران البويوسفي في أحد المجالات الريفية لقسنطينة وهي قرية ملارة ، وهكذا دواليك ، وبهذا بدأت الزوايا تنتشر شيئا فشيئا خاصّة مع تزايد الحاجة إليها بتزايد الأزمات .

يبدو أنّ والد جد ابن قنفذ يعقوب البويوسفي قد حافظ على مبادئ الطريقة المدينية التي أخذها عن شيخه أبي مسعود بن عريف وهي العلم و التوكل و الزهد و اليقين[6]، فقد رفض المال الذي سلّمه له الحاجب أبو عبد الرحمان وسمّاه "بالشوك"[7] ،وهذا يدل على زهده في الدنيا كما يدل على توكله في كسب الرزق وعدم الاتكال على ما يوهب له، وقد طبّق على ولده يعقوب (جد ابن قنفذ) مبدأ المجاهدات،

---

[1] يؤكد ذلك السند الذي ذكره ابن قنفذ بقوله: «وبه يتصل سند جدي للأم يوسف بن يعقوب البويوسفي شهر الملاري إلى الشيخ أبي مدين رضي الله عنه بمشيخته عن والده عن أبي مسعود هذا وهو أبو مسعود عن أبي مدين »أنظر ، أنس الفقير، ص43.

[2] حدّث ابن قنفذ عن جدّه عن والده :قال نمت ليلة قريبا من شيخنا أبي مسعود في خلوته فلا شكّ أنّ الخلوة هنا كانت مكان التعبد والتدريس على شاكلة الزاوية.أنظر : أنس الفقير، ص 40.

[3] المازونيموسى ، المصدر السابق،ص293.

[4] ابن قنفذ ،أنس الفقير، ص 40.

[5] نفسه ،ص40.

[6] نفسه،ص18.

[7] نفسه،ص40-41.

حيث أمره بالاعتكاف خلال شهر رمضان، وقد أعطاه في الليلة الأولى ثلاثين تمرة، وفي الثانية تسعة وعشرون تمرة ، ولا زال ينقص له تمرة من كل ليلة حتى انقضى الشهر ،وبهذا لقّنه مبدأ الطريقة حيث كانت تربيته علي يده[1]، وقد ألبسه الخرقة، وبينه وبين الشيخ أبي مدين في لبسها رجلان، فقد لبسها عن والده يعقوب عن ابن العريف عن أبي مدين[2] ،وقد أخذ الخطيب حسن ابن الخطيب علي ابن اللمعة (والد ابن قنفذ،694هـ-750هـ[3]) عن يوسف بن يعقوب البويوسفي، وكان يستعين بعارية كتبه في تدريسه للعلم ،وقد صافحه وعاهده وسلك طريقته[4].

كما كان الشيخ الصالح أبو هادي مصباح بن سعيد الصنهاجي مقصودا من طرف الطلبة لأخذ طريقته في التصوف وهي الطريقة المدينية ،وقد كان من أصحاب يوسف بن يعقوب البويوسفي وعاهده على طريقته «فقد وضع يده عليه يوما وقال لتلامذته من عاهدني فليجدّد عهده مع أبي هادي[5]»، ومن تلامذته الذين كان لهم الفضل في نشر الطريقة المدينية في الوسط الريفي المرابط أبو عبد الله محمد بن أبي بكر المغربي، الذي انتقل إليه إلى زاويته بقسنطينة وأخذ عنه تعاليم التصوف على الطريقة المدينية، ثمّ رجع إلى وطنه أغيل ،ومع أن ابن الحاج لم يخبرنا عن تأسيس المرابط أبو بكر لزاوية ما، إلاّ أنّه ومن دون شك اتخذ مكانا مناسبا لينشر ما تعلمه من شيخه في وسط قبائل المنطقة[6] ، إذن من النماذج السابقة نلاحظ كيفية انتقال الطريقة المدينية والتأثر بها وانتشار التعاليم الصوفية في الوسط الريفي.

إنّ ما رواه لنا ابن قنفذ ليس مثالا استثنائيا، فهناك حالة أخرى ذكرها الباديسي في مقصده، وهي أنّ الشيخ أبو داوود مزاحم بن علي البطيوي درس على يد الشيخ أبي مدين، ولما رجع من عند الشيخ أبي

[1] ابن قنفذ، أنس الفقير ،ص43-44.

[2] ابن قنفذ أبي العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب القسنطيني ، الوفيات ، تح وتع:عادل نويهض ، دار الآفاق الجديدة ،بيروت،ط4 ،1983م/1403هـ ،ص363.

[3] نفسه،ص7.

[4] ابن قنفذ ، أنس الفقير ،ص46.

[5] المصدر نفسه ، ص52.

[6] ابن الحاج النميري ،المصدر السابق ، ص 287، 288.

مدين إلى بلده بني واترد، بَنا على ساحل البحر رابطة كان يتعبد فيها مع أصحابه ويستقبل فيها تلامذته[1] ، فمن خلال هذين النموذجين يمكن لنا تصور الطريقة التي ينتشر بها هذا التيار في المجالات الريفية.

رأينا كيف كان الطلبة ينتقلون من أريافهم إلى المدينة ويأخذون عن شيوخها شتى العلوم بما فيها التصوف ثم يعودون إلى أريافهم لنشر ما تعلموه عن شيوخهم في وسطهم الريفي، وكان هذا ابتداء من القرن السابع الهجري/13م ، وقد سمحت هذه الطريقة بنفاذ التصوف إلى الأوساط الريفية ونشر التعاليم الدينية فيها، إلاّ أنّه وحتى القرن التاسع الهجري/15م بقيت بعض الأرياف دون معرفة بالدين الإسلامي[2]، فقد ذكر ابن مريم أنّ المتصوفة الثلاثة وهم :محمد بن يحي بن موسى المغراوي ومحمد بن يحي المديوني وعمر العطافي هم الذين أوصلوا التوحيد إلى بني راشد ، فبعدما تنقّلوا إلى تلمسان وأخذوا عن علمائها بما فيهم الشيخ السنوسي التصوف والفقه والعقيدة والحساب والفرائض، عادوا إلى وطنهم بني راشد لنشر ما تعلّموه في وسطهم الريفي[3].

وبعيدا عن تلامذة أبي مدين يروي الملالي على لسان شيخه محمد السنوسي أنَّ الولي الحسن أبركان لما عاد من رحلته العلمية بالمشرق وجد قرية الجمعة قد دثرت، وكانت دار سكنى أسلافه ،فنزل تلمسان ثمّ تردّد خاطره بالرجوع إلى القرية ليجدّد ما دثر فيها، فمن دون شك أنه لو وجد قريته عامرة لبقي فيها ليعلّم سكانها ما أخذه في رحلته العلمية وينشر فيها فكره الصوفي، فقد أقرّ أهل العبادة والصلاح بفضله، وشهدوا بتقدمه في العبادة ومقامات التوحيد والعرفان[4] .

وفي نفس المنحى يعطينا ابن صعد نظرة عن طرق الانتشار، حيث أنّ الولي أحمد الغماري ذو الأصول العربية وبالتحديد عرب رياح المستقرين ببطيوة من بلاد غمارة أين أخذ الفكر الصوفي عن الشيوخ

---

[1] الباديسي عبد الحق بن إسماعيل ، المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف،تح: سعيد أعراب ،د ن ،الرباط ، ط2،1993م/1414هـ، ص51.

[2] حول عملية الأسلمة في المغرب الأوسط أنظر:

Allaoua Amara ,"L'islamisation du Maghreb central (VII^e-XI^e)siècle,Islamisation etarabisation de l'Occident musulman médiéval (VIIe-XIIe siècle),p103-130 .

[3] ابن مريم ، المصدر السابق،ص276-278.

[4] الملالي أبو عبد الله محمد بن عمر، المواهب القدّوسية في المناقب السنوسية ، تح وتع: علاق بوربيق، دار كردادة، الجزائر ،طخ،2011م،ص 69.أيضا: ابن صعد محمد الأنصاري،روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين، تح ومر:يحي بوعزيز، عالم المعرفة، الجزائر ،ط خ، 2009م، ص117.

المحليين بها، منهم الشيخ الحاج موسى البطيوي ،كان يتردد على ندرومة وسواحلها كثيرا ،فإذا كان يوم الخميس قصد السوق الأسبوعي لندرومة لنشر الأفكار الصوفية بها علما أنّ هذا السوق ترتاده المجموعات القبلية للمنطقة [1].

ممّا سبق نخلص إلى أنّ تأثير أبي مدين شعيب كان بمثابة الإرهاصات الأولى لانتشار التصوف في المجالات الريفية، كما أنّ المسار الذي اتبعه أبو مسعود وأبو داوود واتبعه يعقوب ابن عمران البويوسفي يؤكد نجاح هذه التجارب في نشر التصوف داخل الأرياف و في الوسط القبلي بواسطة الزوايا، التي بدأت تحظى بإقبال كبير من طرف عامة الناس لما توفره لهم من تعليم و إيواء و إطعام وقضاء للحاجات خاصة مع تصاعد الأزمات، وهو الوقت المناسب الذي يوسع فيه الولي نفوذه ليعوّض عمل السلطة الغائبة والبعيدة عما يحدث في الوسط الريفي ،كما يتبين لنا الدّور الذي لعبته الزوايا وكذلك رموزها في كسر طوق الحدود الجغرافية وربط الصلة بين المجالات أو المجموعات المتنافرة من حيث الأنشطة أو الانتماء العرقي .

[1] ابن صعد ، المصدر السابق، ص213.

## 5-3 زوايا المجالات الريفية للمغرب الأوسط(الزوايا الريفية) من القرن السابع الهجري إلى القرن العاشر الهجري /13-15م.

و في ما يلي سأستعرض مجموعة من الزوايا الريفية التي وقفت عليها خلال فترة الدراسة، والتي توفرت لدي بعض المعلومات عن ظروف تأسيسها ومقوماتها ووظائفها، ودورها في نشر التصوف والعلوم الدينية ،وتعريب سكان المجالات الريفية، ورصد ما يمكن عنها باستعمال ما توفر لدي من مادة.

### 5-3-1 زوايا القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي

#### أ/زاوية قجال

وتعرف أيضا بزاوية سيدي مسعود[1]، تقع هذه الزاوية بقجال وتنسب إلى مؤسسها سيدي مسعود بن عبد الحميد الإدريسي الحسني، الذي يعود استيطانه بهذه المنطقة إلى القرن الخامس الهجري بعد رحلة قادته من فاس إلى قرية قجال ، وفي ظل غياب معلومات موثقة فإنّنا لا نعلم سبب اختياره لقرية قجال بالذات، إلاّ أنّ الروايات الشفوية المتداولة ترجعه إلى دعوة من سكان المنطقة[2].

ولا تتوفر لدينا معلومات عن شكل الزاوية وتصميمها أو الوظائف التي اضطلعت بها ،لكن من خلال الرواية المنقولة عن أجداد عائلة حمادوش الذين توارثوا الإشراف على الزاوية عن جدهم الأكبر سيدي مسعود الإدريسي، فإن الزاوية اضطلعت بمهمة التعليم ،ومن العلوم التي كانت تدرس بالزاوية: العلوم الشرعية واللغة العربية والفقه المالكي والإصلاح الاجتماعي، ودليل هذه الروايات في ذلك على حد قول الزبير حمادوش أحد القيمين على الزاوية، هو مخطوط عليه توقيع أبي بكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافري الإشبيلي[3] أحد أعلام الفقه المالكي ، ومن خلال بعض الوثائق المتوفرة لدينا يتضح أن الزاوية

---

[1] حسب سلسلة نسب عائلة حمادوش فإنّ سيدي مسعود هو الحفيد الثاني عشر في ذرية الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ونسبه كالتالي : سيدي مسعود بن عبد الحميد بن عمر بن محمد بن إدريس بن داوود بن إدريس الثاني بن إدريس الأول بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الإمام الحسن بن علي كرم الله وجهه.أنظر : الزبير حمادوش ، "قجال عبر التاريخ"، مجلة منبر قجال ،1-6 (2002م)، ص4

[2] نفسه ،ص4 ،5.

[3] هو الإمام العلامة الحافظ محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد المعروف بابن العربي المعافري من أهل إشبيلية يكنى أبا بكر ،وهو ختام علماء الأندلس وآخر أئمتها وحفاظها ،ولد سنة 468هـ بإشبيلية ، تأدب ببلده وقرأ القراءات وسمع به من عبد الله ابن منظور وأبي محمد بن خزرج ،كانت له عدة رحلات علمية إلى الشام وبغداد ومصر حيث أخذ عن علمائها أمثال :أبو حامد الغزالي وأبو الحسن الخلغي وأبو حامد الطوسي وغيرهم كثير، فأتقن الفقه والأصول والحديث والرواية ،له عدة مؤلفات منها:"القواصم والعواصم" ، "المحصول في أصول

كانت تتمتع باحترام وتبجيل السلطة الحاكمة ،حيث أوْلَوها عناية من خلال تحبيس الأراضي عليها و إصدار ظهائر أميرية تحمي أوقافها[1]، وهذا ما جعلنا نخمّن أن الزاوية إلى جانب التعليم اضطلعت بوظيفة الإطعام والإيواء نظرا لكثرة الأراضي الموقوفة عليها، وهذا حتى يتسنى لها تلبية حاجيات المريدين والزائرين.

وحسب الروايات فإن سيدي مسعود عند قدومه إلى قجال قام ببناء زاوية ومسجد وهذا ما يبين أنّ المسجد لم يكن داخل حرم الزاوية بل كان مستقلا عنها، وبعد وفاته قام أحفاده ببناء ضريح له أو كما يسميه أهل المنطقة مقام سيدي مسعود، ويوجد أمامه سبعة أضرحة وهي لسبعة إخوة قدموا من المغرب إلى قجال حيث ناموا ليلتهم هناك وفي الصبح وجدوا ميتين ،فصارت قبورهم إلى جانب قبر سيدي مسعود من الأماكن المقدسة لدى سكان المنطقة[2]، ورغم غرابة القصة واتسامها بالغموض إلاّ أنّ أحمد بن قاسم البوني في أحد أبياته يقول[3] :

(بالسبعة الشيوخ أهل الزاويه يجيرنا إلهنا من هاويه)

ومن الراجح أنه يقصد هؤلاء السبعة إخوة الذين هلكوا بزاوية قجال.

---

الفقه" ،"سراج المريدين" ،"القبس على موطأ مالك بن أنس" ،توفي سنة 543هـ ودفن بباب المحروق من فاس.أنظر:ابن فرحون المالكي ،الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب،تح وتع :محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث ، القاهرة، دط، دت، ص252- 256.

[1] توجد وثيقة بمكتبة قجال مؤرخة بتاريخ 808هـ من طرف الأمير الحفصي أبي زكرياء يحيى وهي عبارة عن ظهير يمنح لصاحب الزاوية وهو الشيخ أبي عبد الله بن إدريسبن محمد بن مسعود الإدريسي الحق في الانتفاع بعدة أراضي حبسها الأميرعلى الزاوية، ووثيقة أخرى تعود إلى القرن العاشر وبالتحديد إلى سنة 931هتحوي قرار تقديم الشيخ أبي عبد الله محمد بن الشيخ سيدي إدريس على الزاوية ،بالإضافة إلى ذكر أحباس موقوفة على الزاوية وحق الانتفاع بها وعدم المساس بها من أي أحد، وسأتطرق إليها بالتفصيل لاحقا.

[2] الزبير حمادوش ، المرجع السابق ،ص 3، 4.

[3]البوني أحمد بن قاسم ا ، الدرة المصونةفي علماء وصلحاء بونة ، تق وتح : سعد بوفلاقة ، بونة للبحوث والدراسات ، عنابة – الجزائر ، دط ، 1428هـ/ 2007م،ص70.

**ب/ زاوية العباد**

تقع هذه الزاوية بظاهر مدينة تلمسان في سند جبل العباد[1]، ومن الواضح أنّ الزاوية تأسست بعد وفاة الشيخ أبي مدين، لأنّه خلال الأيام الأخيرة من حياته كان بمدينة بجاية، وعندما كان في طريقه إلى بلاد المغرب وافته المنية بتلمسان، وفي ذلك يروي ابن قنفذ روايتين ،الأولى أنه عندما وصل إلى هذه المنطقة سأل عنها فقالوا له: يقال له العباد فقال :مليح للرقاد ،أمّا الرواية الثانية أنّه توفي بيسر وهو واد قريب من تلمسان وحُمل إلى العباد، وبالنسبة لظروف التأسيس فيبدو أنّه بعد تشريف هذه البقعة بجثمان الولي سيدي أبي مدين، قرّر أهل تلمسان بناء زاوية أمام قبره لتكون مكانا لنشر العلم والطريقة المدينية، ومن الراجح أن تأسيس الزاوية[2] كان خلال القرن السابع الهجري/13م ،لأن العبدري مرّ في رحلته بالعُبّاد وذكر الزاوية ،وكانت رحلته في بداية النصف الثاني من القرن السابع الهجري وبالتحديد سنة 668هـ/1289م[3]،وبالتالي سيكون تأسيسها في بداية القرن السابع الهجري/13م.

وقد ذكر ابن قنفذ الزاوية لكنّه لم يعطنا وصفا دقيقا ،باستثناء إشارة واحدة وهي أنّ قبر الولي أبي مدين كان داخل بيت ومعه عدة قبور،وقد كان خارج حرم الزاوية ويتجلى ذلك في قوله: «وزاويته قريب منه[4]»، أمّا العبدري في رحلته وعند وصفه للعباد فإنه لا يذكر الزاوية بهذا المصطلح ،ولكنه يذكر رباطا ولعلّه يقصد به هذه الزاوية، فقد كانت رحلته في النصف الثاني من القرن السابع هجري/13م حيث كان ظهور الزاوية لا يزال في بداياته والمصطلح ضيق الاستعمال ،هذا ما جعله يستعمل كلمة رباط بدل زاوية، حيث وصفه بقوله: «...وعليه رباط مليح مخدوم مقصود والدائر بالبلد كله مغروس بالكرم وأنواع الثمار، وسوره من أوثق الأسوار وأصحّها، وبه حمامات نظيفة .....[5]»،ونفس الشيء بالنسبة لعبد الرحمان ابن خلدون ففي حديثه عن محمد بن إبراهيم الآبلي يقول:« واستخدمه يوسف بن يعقوب قائدا على الجند

[1]فرق البلوي بين العباد الفوقي الذي كان بعيدا عن المدينة وهو الذي تقع به الزاوية وبين العباد السفلي والذي كان بباب الجياد من أبواب تلمسان.أنظر: البلوي خالد بن عيسى ،المصدر السابق،ج1،ص149.

[2]حسبما تبين لي من معلومات يبدو أنّ الأستاذ الطاهر بونابي قداشتبه عليه الأمر في تأسيس زاوية العباد ونسبتها إلى السلطان أبو الحسن المريني ،لأن صاحب المسند يذكر تأسيس السلطان أبي الحسن للمدرسة والجامع فقط،كما أن العبدري اجتاز في رحلته على هذه الزاوية وقد توفي سنة 720هـ فكيف يؤسسها السلطان المريني سنة 747هـ..

[3]العبدري ،المصدر السابق ،ص7 ،28.

[4]نفسه ، ص106.

[5]نفسه ، ص28.

الأندلسيين بتاوريرت فكره المقام على ذلك .....وسار قاصدا الحج وانتهى إلى رباط العبّاد مختفيا في صحبة الفقراء..[1]»،لكن الملفت للنظر هو عدم وصف ابن قنفذ والبلوي للمظاهر التي ذكرها العبدري، فربما يكون السبب في ذلك راجع إلى الفارق الزمني بين العبدري وبينهما(حوالي قرن ونصف من الزمن) ، ممّا أدّى إلى تغير في ملامح المعلم ، ولا شكّ أنّ ابن خلدون استعمل كلمة رباط بدل زاوية مستندا في ذلك إلى وظائفها التي تشبه وظائف الرباط في المشرق كما بينته سابقا في وصف ابن مرزوق.

وقد اضطلعت الزاوية بوظيفة التعليم حيث كان يتوافد عليها العلماء من خارج البلد للتدريس، وحسبنا في ذلك أنّ والد ابن مرزوق أخذ العلم عن رجل من الأولياء ،قَدِم مع أربعين من أصحابه من بلاد المصامدة ،وانتفع به كثيرا، حيث مكث نحوا من شهرين بزاوية العبّاد، وعنه أخذ الرسالة القشيرية[2] ، وهذا ما يؤكد التوجه المديني للزاوية، فقد كان أبو مدين يدرّس لطلبته رسالة القشيري، كما نرى كيفية انتشار التصوف في الوسط الريفي بفضل مؤسسة الزاوية .

ومن المعتاد أنّ من يقوم بأعمال الزاوية وخدمة فقرائها هم المريدين، أو أهل البيت، أو فقراء نذروا أنفسهم لخدمة الزاوية ، أما في زاوية العباد فقد وافانا ابن مرزوق بشيء جديد وهو إسناد المهمة لناظر الزاوية، فهو من يقوم بتلبية حاجيات المريدين من طعام وإيواء وترتيب، حيث تولى هذه المهمة في عهد محمد ابن مرزوق عمّه، كما كان لهذا الناظر خدَمٌ تحت مسؤوليته، يأتمرون بأمره وينفذون طلباته التي يطلبها منهم، وهذا ما يبيّنه قول ابن مرزوق:«ودخلت يوما إلى زاوية العباد وكانت لنظر عمّي رحمه الله عز وجلّ فقال لي الخدم...[3]»، فمهمة تسيير شؤون الزاوية خلال القرن الثامن الهجري/14م كانت للناظر بمساعدة الخدم المخصصين لذلك ،أمّا خلال القرن التاسع الهجري/15م فلم يبق الأمر على حاله ، وهذا ما توضحه رواية صاحب البستان من خلال ترجمته للولي أحمد ابن زكري (القرن9 الهجري/15م) ،حيث أرسله شيخ زاوية العبّاد محمّد ابن العباس"شيخه" مع بعض الطلبة إلى جبل بني ورنيد لشراء الفحم وجلبه

[1] ابن خلدون عبد الرحمان، بن محمد الحضرمي الاشبيلي،رحلة ابن خلدون،تح:محمد ابن تاويت الطنجي،دار الكتب العلمية بيروت-لبنان،ط1، 2004م/1425هـ، ص50.

[2] ابن مرزوق، المناقب المرزوقية،ص208.

[3] المصدر نفسه،ص211.

للزاوية[1]، فمن خلال هذه الرواية يتضح أنّ مهمّة النظارة والخدم لم تعد موجودة حيث أصبح الطلبة هم من يتولون أمور الزاوية وجلب المستلزمات اللازمة لها.

و إلى جانب وظيفة التعليم فقد اضطلعت الزاوية بوظيفة الإطعام و الإيواء، ويتضح ذلك من رواية ابن مرزوق «ودخلت يوما إلى زاوية العباد... فقال لي الخدم:طلب مني خديم الشيخ كذا من الدقيق وكذا من الإدام، فاستكثرت هذا وقلت: ألزمتني كلفة هذا الشيخ وأتباعه...[2]»، ويؤكد ذلك قول البلوي: «ثمّ زرت تربة ولي الله تعالى أبي مدين مرة أولى وثانية وأقمت بالمحلّة أيّاما ثمانية[3]»، وقول ابن قنفذ: «ولها أوقاف يجرى من ذلك على المنقطعين للعبادة[4]»

**ج/ الزاوية الملارية**

وهي زاوية يعقوب بن عمران البويوسفي والد جد ابن قنفذ من جهة أمه، وحسب هذا الأخير فإنّ تأسيس زاوية ملارة[5] كان بإيعاز من شيخه، فبعد أن أدّبه وهذّبه وأحسن تربيته وقربه وانتفع على يده«أمره بالانصراف إلى وطنه فأقام به زاوية ووجد ببركته مكانة سنية[6]» ، فبعد أن ورَّثَ الشيخ لتلميذه الطريقة[7]، ورأى فيه صفات الشيخ المربي أمره بالعودة إلى وطنه لنشر ما أخذه عنه عبر مؤسسة الزاوية، والتي أصبحت مكانا للإشعاع الصوفي السني خلال النصف الثاني من القرن السابع الهجري/13م .

هذا بالنسبة لظروف تأسيس الزاوية ، أمّا في ما يخص المعلم العمراني لها فإنّ ابن قنفذ لم يفدنا بأي معلومات تتعلق بهذا الجانب إلا بعض الإشارات التي جعلتنا نفترض كيف كان الجانب العمراني لها ،

---

[1] ابن مريم،المصدر السابق، ص40.

[2] ابن مرزوق، المناقب المرزوقية ، ص211.

[3] البلوي ، المصدر السابق، ج1،ص151.

[4] ابن قنفذ ، أنس الفقير،ص106.

[5] يقع ريف ملارة بمنطقة تسدان وهي بلدة تبعد عن فرجيوة بولاية ميلة بأكثر من 20 كلم ولا تزال آثار هذه الزاوية قائمة غير أنّها مهملة في ريف هذه البلدة.أنظر: عبد العزيز فيلالي، إبراهيم بحاز، مدينة ميلة في العصر الوسيط،دار الهدى، عين مليلة– الجزائر–،دط، 2017م ،هامش 1،ص78.

[6] ابن قنفذ ، أنس الفقير ، ص 40.

[7] حسب الأستاذين عبد العزيز فيلالي وإبراهيم بحاز فإنّ تجربة الملاري في التصوف كانت ثلاثية الأبعاد فهي مغربية من حيث الممارسة والمجاهدة ،وشرقية وأندلسية من حيث الأفكار ،ومدينية من حيث المنهج التربوي. وأنّ الاتجاه العام للتصوف بملارة كان سنيا متشبعا بالأفكار المدينية والغزالية والجيلانية ،بعيدا عن الأفكار الفلسفية والرقص والشطحات .أنظر:المرجع السابق،ص82 ،97.

فيبدو أنّها كانت تتوفر على عدة غرف منها غرفة لاستقبال المريدين وتلقينهم الطريقة المدينية ،بالإضافة إلى غرفة لاستقبال المحتاجين والزائرين، فقد كانوا يقصدونه لطلب الإعانة منه «فكان لا يخرج الزائر المحتاج من عنده حتى يناوله بقدر حاله[1]»،كما كانوا يقصدونه لقضاء حاجياتهم حتى عند الأمراء كتسريح المساجين[2] ،ومن دون شك أن هذه الزاوية كانت تحوي غرفة لإعداد الطعام، فقد كان إطعام الطعام من خصال يوسف الملاري وقد عبّر ابن قنفذ عن خصال جدّه التي عرفها عنه الخاصة والعامة «إفشاء السلام وإطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام[3]»، وما يدل على توفير هذه الزاوية الطعام للواردين ما نقله لنا الفقيه ابن رضوان في قوله:«فلمّا قضينا زيارتنا وأُحضِر لنا الطعام قرب لي الطعام الذي اشتهيته وحدي وهو يبتسم ورأيت في ذلك مالا كنت أظنّ أنّي أقف عليه[4]».، لكن ليست لدينا فكرة عن القيام بأمر الطعام هل كان يُحضر من طرف أهل البيت؟ أم كان هناك خدم نذروا أنفسهم لخدمة الزاوية بما فيها إعداد الطعام.

وبالنسبة للمبيت،فمن دون شك أنّ الزاوية كانت تتوفر على غرف خاصة بذلك،لأن المريدين والزائرين فيهم القريب والبعيد، لذا لابدّ من توفير الطعام والإيواء لهم ،وما يؤكد ذلك هو حديث ابن قنفذ عن الشيخ أبي الهادي مصباح الذي خرج مسافرا من قسنطينة فبات عند جده للأم بزاويته بملارة[5].

وحسب ابن قنفذ فإنّ جدّه يوسف دُفن بجنب أبيه يعقوب بزاويته، وهذا ما يجعلنا نفترض وجود ضريح للوليين بهذه الزّاوية ،ومن المتعارف عليه أنّ الزاوية تحوي مسجدا للصلاة ، لكن يبدو أنّ الزاوية الملارية لم يكن لها مسجدا ملحقا بها ،فعند حديث ابن قنفذ عن جدّه قال: «وأقام نحوا من خمسين سنة لا يطلع عليه الفجر إلاّ في المسجد أبدا إلاّ في الضروريات البدنية[6]» ، فمن خلال هذا القول يتضح أنّ المسجد كان على مسافة من الزاوية التي تتطلب المسير إليه، فعندما يكون جده مريضا لا يستطيع الذهاب إليه، ولو كان ملصقا بالزاوية لسهل عليه ذلك حتى وهو مريض.

[1] ابن قنفذ ، أنس الفقير ، ص45.
[2] المصدر نفسه ،ص44.
[3] المصدر نفسه ،ص 44.
[4] المصدر نفسه ،ص 43- 44.
[5] المصدر نفسه،ص50-51.
[6] المصدر نفسه ، ص44.

## 5-3-2 زوايا القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي

### أ/ زاوية سعادة الرياحي

تأسّست هذه الزاوية في بداية القرن الثامن هجري/الرابع عشر ميلادي بطولقة_قرب بسكرة_ على يد رجل من قبيلة رحمان من قبائل مسلم إحدى شعوب رياح يدعى سعادة[1]، والذي يعتبر أنموذجا شاذا للفارس البدوي الذي لم ينشأ متمردا ولم يمارس نشاطا حرابيا مثل أقرانه من الأعراب، ويعود الفضل في ذلك لأمه التي كانت من الصالحات ومشهورة بالعبادة والورع ،فنشأ على الزهد كوالدته ولم يكن كغيره من الشبان.

ثم انتقل إلى المغرب وأتمّ رحلته العلمية عند الشيخ إبراهيم التسولي ، وبعد رجوعه أخذ ينشر أفكاره في وسطه القبلي والذي لاقى التفافا واستجابة من شعوب رياح[2]، لكنّ الملفت للنظر أننا لا نعرف أين كانت تتم حلقات الذكر والوعظ ونشر الأفكار التي أخذها عن شيخه وكان يعلمها لعشيرته ، لأنّ تأسيس الزاوية جاء بعد ما تشبعت قبيلته بأفكاره وبعد معاهدته على إحياء السنة وتغيير المنكر.

إذن فتأسيس سعادة للزاوية جاء في سياق التحول الاجتماعي الذي عرفته القبائل الهلالية من تركها للنشاط الحرابي إلى جنوحها للتوبة والاستقرار، وحسب ابن خلدون فإن ظروف تأسيس الزاوية كان نتيجة لاشتداد ابن مزني على سعادة وأصحابه المرابطين، ممّا جعله يخرج من طولقة ويبني في أنحائها زاوية نزل بها مع أصحابه السنية[3]،وذلك للاحتماء من هجمات بني مزني ،والقدرة على إعادة ترتيب أنفسهم ،وبالتالي يمكن أن نسمي هذه الزاوية بالحصينة أو الملجأ ،حيث كان سعادة مرابطا بها مع أصحابه ومنها يقومون بمحاربة ابن مزني ،كما كانوا من خلالها يحمون الطرق ويُؤَمِّنُونَ السبل للمسافرين.

إذن نلاحظ أن سعادة لم يقم بالخطوة التي عادة ما يقوم بها المريد بعد العودة من عند شيخه، وهي تأسيس الزاوية لنشر ما تعلمه ، رغم أنه قام بنشر التعاليم الدينية التي أخذها واستطاع أن يغير سلوكيات قومه إلا أنّ هذا كان بعيدا عن مؤسسة الزاوية .

---

[1] ابن خلدون عبد الرحمان ،تاريخ ، ج6 ،ص 51.

[2] نفسه ،ج6 ،ص51.

[3] نفسه، ، ج6 ،ص52.

والجدير بالذكر أن ابن خلدون هو المصدر الوحيد الذي وافانا بهذه الأخبار عن سعادة وحركته ولكنه لم يعط لنا وصفا للمعلم العمراني للزاوية، لكن يبدو أنها كانت كبيرة نظرا لكثرة أتباعه ومن دون شك أنها كانت محاطة بما أنه استعملها للتحصن من عامل الزاب ابن مزني .

ويبدو أنّه بعد وفاة سعادة اضطلعت الزاوية إلى جانب الوظائف الأولى بنشر التعاليم الصوفية بقيادة أبو يحي بن أحمد شيخ أولاد عساكر، وعيسى بن يحي شيخ أولاد محرز، حيث استفحل أمر هؤلاء السنية بفضلهم وكثر أتباعهم ،ومما يدل على عدم ترك الزاوية لهدفها الإصلاحي والتعليمي، أنه بعد وفاة الشيخين أبو يحي بن أحمد وعيسى بن يحي تشاوروا بينهم فيمن يخلفهم في الأحكام و الفتيا والعبادات أي أن الزاوية لم تتخلى عن رسالتها الروحية.

ونلاحظ نمط من أنماط انتقال الطريقة أو مشيخة الزاوية من الأب إلى الأبناء، ويتجلى ذلك في قول ابن خلدون:« وبقي من عقب سعادة في زاويته بنون وحفدة يوجب لهم ابن مزني الرعاية وتعرب لهم أعراب الفلاة من رياح حقا في إجازة من يجيزون من أهل السابلة...[1]»، إذن من خلال هذا القول يتبين لنا مواصلة الزاوية لوظائفها و التي أطلقت عليها نللي سلامة اسم الزاوية المتخصصة في الخفر في القبائل واستخراج الأموال[2]، حيث أنّ سعادة و أصحابه كانوا مشدّدين على قطاع الطرق من شرار البوادي بالإضافة إلى مطالبته من عامل الزاب إعفاء الرعية من المكوس و الظلامات .

وبالتالي نلاحظ توارث الصلاح و إحياء السنة وتغيير المنكر بين أفراد القبائل العربية ،وهو ما يحيل إلى وجود رابطة روحية ومعنوية كان لها الأثر في انتشار الولاية في الوسط الأعرابي.

[1] ابن خلدون عبد الرحمان ،تاريخ ،ج6 ،ص53.

[2] نللي سلامة العامري ، الولاية والمجتمع، ص 148.

### 5-3-3 زوايا القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي

#### أ/ زاوية يحي العيدلي

وتعرف أيضا بزاوية ثمقرة ، ورغم ذياع صيت مؤسسها إلا أنّنا لا نعرف عنه إلاّ النزر القليل ، فالمصادر لم تتطرق له بإطناب سوى بعض الإشارات، فأمّا نسبه ومولده ووفاته حسب ما كتب على لوحة رخامية عند ضريحه وهي لوحة تعريفية به ،فهو يحي بن أحمد بن موسى ابن مغيث بن نوح بن عجيس ابن عبد الرحمان ابن سعيد ابن مالك ابن إدريس الأصغر ابن إدريس الأكبر ابن جعفر الصادق ابن محمد الباقر ابن علي زين العابدين ابن الحسين ابن علي ابن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ،ولد سنة 796هـ/1391م وتوفي سنة 881هـ /1476م، وبينما أكد السخاوي على اسمه ووفاته بقوله:« يحي بن أحمد العيدلي البجائي المغربي ، مات سنة ثمانين تقريبا وكان عابدا مشارا إليه[1]»، فإنّ تاريخ ولادته فيما يبدو مجرد ترجيح ،وكان بناءا على معاصرته للشيخ عبد الرحمان الثعالبي[2] ودراسته معه، والذي كان مولده سنة 786هـ، وبالتالي فإن مولد الشيخ العيدلي كان في أواخر القرن الثامن الهجري/14م[3]، وقد وصفه الورثيلاني «بالشيخ الولي الصالح والقطب الواضح رحمة وطننا وغيث بلدنا سيدي يحي العيدلي نفعنا الله به...[4]».

وحسب المتواتر من الروايات فإن مولد الشيخ كان بقرية ثقربث وهي إحدى قرى بني عباس، وهناك تربى وتلقى تعليمه الأول، ثمّ انتقل مع والدته إلى قرية وانعلي لأجل استكمال طلب العلم عند شيخ زاوية وانعلي وهو الشيخ المسعود أولحاج، حيث أجلسه مع طلبته بزاويته وقد لمح فيه الفطنة والذكاء وتفرس فيه الولاية والصلاح، وأنه سيكون ذو شأن عظيم، وهو ما كان بالفعل ، ثم انتقل إلى بجاية التي

---

[1] السخاوي شمس الدين محمد بن عبد الرحمان ، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ،دارالجيل ، بيروت ، دط،دت،ج10 ،ص222.

[2] يبدو أن الشيخين كانا على تواصل دائم وأن علاقتهما كانت وطيدة ، حتى أنّ الشيخ العيدلي بعث برسالة إلى الشيخ عبد الرحمان الثعالبي يستشيره في ثلاثة أمور :أحدها من يزوج ابنته ،وثانيها من يجعل وصيا على أولاده ،والثالثة أن يقوم بتأليف شيء لأصحابه..أنظر: الورتيلاني ، نزهة الأنظار،ص 8_9.

[3] نضيرة قاسمي ،"دور الزوايا في الإشعاع العلمي والحفاظ على المقومات الدينية والروح الوطنية _زاوية سيدي يحي العيدلي بثمقرة في منطقة بجاية أنموذجا _" ضمن كتاب الزوايا الصوفية ودورها في المحافظة على الشخصية الوطنية،فعاليات الملتقى الوطني العاشر (بسكرة عبر التاريخ)، ،أيام 20، 21، 22، 23 ديسمبر2015م،ص 142.

[4] الورتيلاني ،نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار،ص8.

كانت تعج بالعلماء حيث قصد الفقيه إبراهيم البجائي[1]، ويروي الورتيلاني قصة التحاقه بهذا الفقيه ،وهي أن الشيخ يحي العيدلي لما وصل إلى الجامع الأعظم إذ سيدي أحمد هناك مشتغلا بالعبادة، فدقّ الباب مستأذنا في الدخول فقال له الشيخ أحمد: ماذا تريد؟ فأجابه :أن تعلمني في أمر ديني، فأمره بالتوجه لشيخ آخر وبعد برهة لحقه وهو يقول:«آه آه إن الرجل من أهل الخير، وفتح للشيخ يحي الباب وأخذ النعل منه وأجلسه بين يديه»، وقد تعجّب الحاضرون لفعل الفقيه كونه شحيحا في وقته كثير الاشتغال بالعبادة ، ما يلبث أن يجيب أحدا في أمر ما حتى يدخل في عبادة أخرى...[2] .

وبعد أن نهل الشيخ من علماء بجاية وأتم تعليمه في علم الظاهر، أراد أن يكمل تعليمه الباطن بتدريب نفسه على التربية الروحية وترويضها ، فارتحل إلى الجبل المحاذي لقرية ثمقرة واتخذ من مغارة هناك مكانا للاختلاء[3]، ومكث فيها نحوا من عشر سنين[4]، ثم خرج من خلوته قاصدا ثمقرة وأسس بالمكان المعروف بالدشرة زاوية هناك على شاكلة زاوية شيخه المسعود أولحاج، لنشر ما تعلمه عن شيوخه وما درب نفسه عليه ، وبالتالي أسّس زاوية على شاكلة زاوية شيخه، وحسب الروايات فإن ما جعله يختار هذا المكان لإقامة الزاوية هو وجود منبع مائي والذي يعرف "بأقلميم"، لأنّه لا بد للزاوية من متنفس

[1] أحمد بن إبراهيم البجائي أبو العباس من أكابر فقهاء المالكية في عصره من أهل بجاية مات بعد الأربعين وثمانمئة:أنظر: عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية ، بيروت-لبنان، ط2، 1400هـ/1980م، ص 32 .أنظر أيضا : السخاوي ،الضوء اللامع ،ج1، ص209.

[2] علي أمقران السحنوني ، "هذا الشيخ المجهول ((الشيخ أبو زكرياء يحي العيدلي ))"، مجلة الدراسات التاريخية ،4(1988م)،ص40.

[3] تعني الخلوة الانقراض التام في ذكر الله، وهي تجسد طريقة الإدراك الروحي المكرسة في العملية التمهيدية (عملية البدء)،وتشير بعض التجارب الفردية إلى التطورات التي تجسدها الممارسة في عملية الإدراك الروحي، ونستشف ذلك من تجربة أبو حفص عبد الجبار بن خالد المسراتي (ت281هـ/894م) حيث يقول:«كنت أخلو لأسلم، فصرت أخلو لأغنم، ثمّ صرت أخلو لأعلم ،ثم صرت أخلو لأفهم » ،والفهم عند ابن عربي هو معرفة الشيء بالقلب ، ويشير هذا الاقتباس إلى تدرّج في المسار الروحي للصوفي ،وهي الطريق الموصى به لمن يريد الوصول إلى مرتبة عبد من أبرز فئات القديسين في التقليد الإسلامي ،كما أنّ الأهداف المختلفة المخصصة للخلوة أو الآثار التي يحق لهم توقعها بأنفسهم تعتمد على درجة التقدم والوفاء الروحي للشخص الذي يعتزل .أنظر:

Nelli Amri , "Khalwa et bayt al-khalwa dans le soufisme ifriqiyen du IV/X Siècle au X/XVI siècle :Quelque remarques sur la pratique , ses lieux et sa diffusion",Al.Sabil :Revue d'Histoire ,d 'Archeologie et d 'Architecture Maghrébines [ En ligne4](2017),p1-3 .

[4] الورتيلاني ،نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، ص10.

اقتصادي، فالمنطقة غنية بأشجار التين والزيتون بالإضافة إلى وجود هذا المنبع والذي سيساعد في سيرورة الحياة .

وفي ما يخص المعلم العمراني لهذه الزاوية فإنها صغيرة الحجم، حيث تتألف من غرفة كبيرة يتوسطها محراب كانت مخصصة للدراسة والصلاة والإقامة في نفس الوقت ،وبجنبها غرفة أقلّ منها كانت مخصصة لإعداد الطعام فهي بمثابة المطبخ أو كما يسميها أهل القرية "ثانوالت" ،ومن الغرفة يُخرج إلى فناء صغير ذو سقف يتسع لصفّين أو ثلاثة من المصلين، يبدو أنه كان أيضا مخصصا للصلاة[1] ،ومن خلال حجم الزاوية يبدو لنا أنّ عدد الطلبة لم يكن بالكثير ، فنفس الغرفة كانت بمثابة المسجد وغرفة النوم ومكان الدراسة ، وربما يرجع هذا إلى وجود عدة زوايا بجبال زواوة ،وبالتالي فالطلبة موزعون عليها ،لكن من دون شك أنه مع قلة عددهم إلا أنهم يمكثون مدة عند الشيخ، وهذا ما يفسر وجود المطبخ ،كما تحتوي الزاوية على ضريح للولي والذي يضيف هالة من القداسة على المكان، ومع صغر هذه الزاوية إلا أنها كانت ذائعة الصيت، فمن بين الذين درسوا على الشيخ يحي العيدلي المتصوف أحمد زروق البرنسي الفاسي[2] والذي ألّف بعض كتبه في هذه الزاوية، وهذا يدل على طول المدة التي قضاها بها .

ومن الملفت للانتباه أن زاوية سيدي يحي لم يوجد بها فضاء خاص بالولي وأهله أي داخل الزاوية، وبالتالي فإن بيته كان مستقلا عن الزاوية لأنه لا وجود حتى لبيت ملتصق بها ، ومن هنا يطرح التساؤل هل كان أهل البيت يأتون كل يوم للقيام بأمور الطلبة؟ أم أنه كان هناك مجموعة من المريدين يقومون بشؤون القادمين؟ وأمام ضحالة المعلومات نبقى عاجزين عن الإجابة عن هذا السؤال .

إنّ المعلومات حول الزاوية ومؤسسها ضئيلة جدا، حتى أنّ الإنتاج العلمي الذي تركه الشيخ سيدي يحي لا نكاد نقف على شيء منه ،وليس الملموس منه فحسب، بل مجرّد عناوين لمؤلفات كَتَبها لم تذكرها المصادر، فهل من المعقول أن شيخا بقدر يحي العيدلي والذي تخرج عليه طلبة بحجم عبد الرحمان

[1] مقابلة مع أحد القيمين على الزاوية ، يوم 2018/09/01. بمقر الزاوية الجديدة ثم قمت بزيارة المعلم القديم للزاوية وهو الأصل والذي تحدثت عنه.

[2] أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الشهير بزروق،أخذ عن الإمام القوري ،وابن زاغو وقاسم العقباني، وغيرهم جماعة كما ذكر ذلك في فهرسته،ولد سنة 846هـ، وتوفي بإيزليتن قرب طرابلس بين تاجورة وقصر أحمد ،سنة899هـ.أنظر:ابن القاضي، المصدر السابق،ج1، ص90.

الصباغ شارح الوغليسية و أحمد زرّوق ذو المؤلفات الشهيرة على غرار (قواعد التصوف) و(شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني) و(عدة المريد)، لم يؤلف شيئا في حياته باستثناء الوظيفة[1] التي دأب طلابه على ترديدها ؟وفي المقابل يجعلنا حديث الورتيلاني نشك في ذلك، فلو كانت له تصانيف لماذا يطلب من عبد الرحمان الثعالبي أن يؤلف له شيئا يتركه لأصحابه ؟ سؤال يبقى مطروحا في ظل غياب نصوص تشير إلى تآليف سيدي يحي.

**ب/ زاوية سيدي يحي المديوني**

أسّس هذه الزاوية الفقيه الورع الولي الصالح سيدي يحي بن محمد المديوني الشهير بأبي السادات ،وهو من تلامذة الشيخ السنوسي، حيث لازمه سنين عديدة وتأثّر به، وبلغ درجة عالية من الزهد، لدرجة أنه باع جميع ما عنده، حتى لم يبق عنده ما يسدّ به رمقه[2].

وبالنسبة لتأسيس الزاوية فإنها وحسب رواية ابن مريم كان نتيجة لرؤيا رآها في منامه[3]، وهي أنّ شيخه السنوسي أتاه بفرس مسرّجة وبغلة ثم أمره بركوب تلك الفرس وأن تركب زوجته على البغلة، وسار الشيخ السنوسي وهما يتبعانه حتى وصلوا إلى موضع من بني راشد فأمره بالنزول في ذلك الموضع والبناء فيه،

[1] هي التزام شيء من الطاعة غير الواجبة، وهي ما يلتزمه الإنسان على يد شيخ أو غيره ، وحكمها الندب ،وأما ما قصده الشيوخ بهذه الوظائف هو الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله وأحواله، وتعمير الأوقات التي عمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم بما به عمرها ،وأن تجري ألسنتهم فيها ما جرى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ،ومنها ما تقدم من افتتاح الدورة الربانية بعمل صالح وختمها بعمل صالح، ومنها إرادة الوقوف بباب الله عز وجل صباحا ومساء يسأل حوائجه منه إذ لا غنى له عنه ،كما يقصد بها الشيخ الترقي بالسالكين في المنازل والمقامات ،كما كلفوهم بها توطئة للنفوس على تركها لمألوفاتها واشتغالها بعبادة مولاها عز وجل ...أنظر: الحسين الورتيلاني ، مخطوط شوارق الأنوار في تحرير معاني الأذكار لوظيفة الشيخ العارف بالله النبراس المختار ،نسخة المكتبة الموهوبية للمخطوطات ببجاية ،غير مرقمة، متوفرة على مدونة برج بن عزوز بصيغة pdf، ورقة17، 18، 19 .

[2] ابن مريم أبو عبد الله محمد بن محمد ابن أحمد الشريف المليتي المديوني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، نشر محمد ابن أبي شنب ، المطبعة الثعالبية ، الجزائر ، 1326هـ/1908م، ص 305، 306.

[3] يرى الأستاذ بونابي أنّ ضعف عصبية قبيلة بني راشد الزناتية هو ما جعلها تحتمي بالولي يحي بن محمد المديوني، حيث أخذته إلى مضاربها وأنزلته بأرض فلاحية وبنت له مدشرا وحبست عليه أرضا، ويرى أن هذا العمل والإنتاج الفلاحي الذي أخذت القبيلة تنهجه كرباط يزيد في لحمة العصبية القبلية والعصبية الروحية ويوفر لها الأمن النفسي والغذائي من خلال المخزون الزراعي المودوع في المطامير لوقت الحاجة.أنظر الطاهر بونابي ، الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين 8و9هـ/14و15م، ج1، ص365، 367.

وقد ثبتت رءياه، فقد أتى إليه بنو راشد بعد أيام ومعهم فرس وبغلة، فارتحل معهم إلى الموضع الذي أنزله فيه شيخه، وبنوا فيه مدشرا وسمّوه بزاوية سيدي يحي أبي السادات[1].

من خلال رواية ابن مريم نلاحظ اتخاذ التدخل الخارق شكل منام، وهو من الأشكال الرائجة في البنية الخوارقية[2]، وكأنّ أمر شيخه له بالبناء في ذلك الموضع هو إشارة منه على نشر ما أخذه عنه في وسط قبيلة بني راشد ، ثم يقدّم لنا هذا المؤلَّف المناقبي ثبوت الرؤية والتزام التلميذ أمر شيخه، وهو المسير إلى بني راشد وبناء الزاوية التي حبسوا عليها أرضا وحرثوها، وفي فصل الصيف حصدوا زرعها وخزنوا منه مطامير كثيرة[3] ، وفي هذا القول إشارة إلى أنّ كثرة المردود الزراعي كان من بركة الشيخ سيدي يحي، ويبدو أنّ تخزين هذه المطامير كان له غاية وهي إطعام الوافدين على الزاوية من زوار و مريدين وهو ما يجعلنا نخمن باضطلاع هذه الزاوية بوظيفتي التعليم والإطعام .

[1] ابن مريم ، المصدر السابق،ص306.

[2] صنفت نلي سلامة أنماط تأسيس الزوايا بإفريقية إلى أربعة أنماط وهي : النمط المتورع ،والنمط المتوكل، والنمط الرسمي، والنمط الخارق، وفي هذا الأخير ضربت مثالا حول تأسيس زاوية الجديدي بالقيروان والذي كان لرؤيا رآها وهي أن قائلا أمره ببناء زاوية ومد السماط ووصفت هذا النمط بالخارق وهو ما جعلني أوظفه في زاوية أبي السادات .أنظر نللي سلامة العامري ، الولاية والمجتمع،ص166.

[3] ابن مريم ، المصدر السابق ، ص306.

### 5-3-4 زوايا القرن العاشر الهجري /السادس عشر الميلادي

#### أ/ زاوية سيدي أحمد بن موسى الشريف الإدريسي

أو كما أطلق عليها ابن مريم مدشر بني إدريس، ويقع في جبل بني ورنيد، ويعود تأسيسه إلى بداية القرن العاشر الهجري/15م ، وقد اضطلع هذا المدشر بوظيفة التعليم، ومن العلوم التي كان يدرسها سيدي أحمد بن موسى في هذا المدشر التصوف والفقه والعقائد، فكان يدرّس الرسالة وابن الحاجب الفرعي كما كان يقرئ الطلبة القرآن[1]، وقد كان هذا المدشر مقر سكنى الولي أحمد بن موسى، وهو ما يؤكده ابن مريم في قوله:« ودار سكناه في مدشر بني إدريس[2]»، وبالتالي فإن المدشر أو الزاوية كانت جزءا من الدار وغير مستقلة عنها، كما أن ابن مريم لم يذكر من كان يخدم طلابه، وبما أنّ سكنه كان جزءا من المدشر فمن الراجح أنّ أهله هم من كانوا يقومون بذلك.

#### ب/ زاوية سيدي أحمد بن يوسف الراشدي

مؤسس هذه الزاوية هو الولي أحمد بن يوسف المليانى الراشدي، وهو تلميذ الشيخ أحمد زرّوق في زاوية ثامقرة ببجاية[3] ، ويبدو أنّ فكرة تأسيس الزاوية ونشر الفكر الصوفي الذي أخذه عن شيخه زرّوق كان بإشارة من هذا الأخير، حيث يروي أحمد بن يوسف أنه قال له:« يا أحمد بن يوسف أصبت ووفقت قد أعطاك الله فهما وعلما لم يعطه لأحد من تلامذتي ودعا لي بخير وقال: اذهب ينتفع بك الناس»،فرجع الشيخ إلى وطنه ببني راشد وبالتحديد دوار رأس الماء بالقرب من أمّ العساكر وشيّد به **"نوالة"** وسط أهله وعشيرته[4].

---

[1] ابن مريم ، المصدر السابق ،ص26،27.

[2] نفسه ، ص26.

[3] يرى Marcel Bodin أنّ أصل أحمد من مرّاكش ،وقد أتى جدّ والده وهو عبد الله واستقر بقلعة بني راشد لأسباب مجهولة بالنسبة إليه ، ويعتقد أنّ اسم والد أحمد هو محمد بينما يوسف هو جده الأوّل ويطلق عليه أحمد بن يوسف اعتيادا ولكن اسمه هو أحمد بن محمد بن يوسف.أنظر:

Bodin Marcel ," Note et question sur Sidi Ahmed ben Youcef" ,Revue Africaine , v66(1925) ;p135 .

[4] الصباغ، المصدر السابق، ورقة 32و، ورقة3و.

وقد كان موقع دوّار رأس الماء موقعا ممتازا لنشر التصوف بين أكبر عدد ممكن من الجمهور وإيصاله إلى أكبر عدد من الدواوير التابعة لبني راشد وحتى خارجه، فقد كان قريبا من أم العساكر "معسكر"حيث السوق الذي يعتبر أكبر تجمع قروي بالقسم الشمالي من إقليم بني راشد[1]، وبالتالي فإنّ أم العساكر فرصة لأحمد بن يوسف للاتصال بجمهور أكثر عددا وتنوعا من جمهور الدواوير بهذا الإقليم، فسوق أمّ العساكر يعقد كل يوم خميس حيث يعتبر من أهم مراكز المبادلات التجارية ،وبالتالي يرتاده جمهور من مختلف القبائل والبوادي .

أخذ أحمد بن يوسف يتردد على سوق معسكر وصار يؤم الناس في الصلاة هناك، ثمّ أصبح يعقد مجلسا للوعظ والإرشاد جمع فيه بين الشريعة والحقيقة، حيث حرص على الجمع بين هذين البعدين الدينيين كشيخه زروق[2]، لأنّه يعلم أنّ المناكر المتمكنة من النفوس دواؤها التصوف المطهّر للقلوب والذي يحصل به الكمال في الدين والدنيا[3]، فاستقطب بذلك الناس من مختلف القبائل والبوادي التي كانت تأتي للسوق، فأصبحت تحضر مجلسه ،ويبدو أنّ تزايد عدد الملتفين حوله هو ما جعله يحوّل نوالته إلى زاوية[4] .

وبتأسيس الزاوية أصبح يتقاطر عليه جمهور غفير من الناس للنّهل من علومه، لأنّ الفئات التي كانت ترتاد على السوق وحضرت مجلسه العامر بالإيمان كان لها الفضل في الدعاية والترويج له في دواويرهم وقراهم، فلمّا تسامع الناس به صاروا يأتون إليه للأخذ عنه والتعلم على يديه، وبالتالي يكون أحمد بن

---

[1] يقسم الوزان إقليم بني راشد إلى قسمين :القسم الجنوبي وكله سهول ،والقسم الشمالي كله مرتفعات ،ولأهل المرتفعات قرى عديدة أهمها اثنتان: **قلعة هوارة** وتشمل أربعين دارا للصناع والتجار ، وهي مبنية على شكل قلعة في منحدر جبل بين الشعاب ،**والمعسكر** والذي يطلق عليه الراشديون أم العساكر ويقيم بها خليفة الملك مع فرسانه ويعقد فيها سوق كل يوم خميس ...أنظر: المصدر السابق،ج2، ص26.

[2] يرى الأستاذ بونابي أنّ الصورة غير المفهومة عن الطريقة الراشدية راجع إلى عدم قدرة الذين أرخوا له على فهم أدبيات الطريقة الراشدية وبالتالي عجزهم في التعبير عن محتواها مما أدى إلى غموض الفكر الصوفي عند أحمد بن يوسف، وقد خلص إلى أنّ طريقته جمعت بين التصوف العرفاني السني والطريقة الصوفية الإصلاحية .أنظر: الطاهر بونابي ، "طريقة أحمد بن يوسف المليانى الراشدي بين ثنائية التصوف العرفاني السني والطريقة الصوفية الإصلاحية 9هـ-10هـ/14م-15م" ،مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ،9(2014)، ص 391-400 .

[3] عبد الله نجمي ،التصوف والبدعة بالمغرب طائفة العكاكزة ق16-17م، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ،جامعة محمد الخامس، الرباط ،ط1، 1421هـ /2000م، ص85.

[4] الطاهر بونابي،الحركة الصوفية،ج2،ص537.

يوسف قد وُفّق في دعوته بفضل حسن تدبيره وتحركاته ،وسعيه لنشر الفكر الصوفي بين المجالات الريفية لإقليم بني راشد، بل تعداه إلى خارجه، فلو بقي بالزاوية لما وجد له دعاة بهذه الصورة[1]، ونحن بهذا لا ننفي دور الزاوية في الانتشار الصوفي لكن تحركاته جعلت النتائج أحسن ، فقد استغل موقع دوّاره وانعقاد السوق الأسبوعي، وهذا يدل على موهبته وحنكته في الدعوة إلى الله، ونشر الدين واللغة العربية وتثقيف أكبر عدد من سكان المجالات الريفية والقبائل .

لم يتوقف النشاط الدعوي لسيدي أحمد على تأسيه للزاوية في دوآره، فبعد مدة قضاها في التعليم بالزاوية، أخذ بالتنقل في المجالات الريفية والأوساط القبلية من الجهة الغربية للمغرب الأوسط، حيث كان ينشر أفكاره الصوفية بها، ومن المحطات التي كانت له بصمة بها "يلّل" من وطن بني وغد من وطن هوارة ، ومصراتة، وتناصريت بالقرب من مازونة، ثمّ شلف، ويبدو أنهّ أسس في كل من هذه الأماكن زاوية له[2].

وفيما يخص المعلم العمراني للزاوية فإنّنا لا نملك أي معلومات عنه ،لكن من خلال الجمِّ الغفير الذي كان يتوافد عليه يبدو أنّها كانت واسعة جدّا خاصة أمام تعدّد وظائفها، فإلى جانب اضطلاعها بوظيفة التعليم فقد كانت حرما ومفرًّا وملجأ للخائفين الباحثين عن الأمن «فقد شوهد عيانا أنّ نساء القواد والأشياخ وغيرهم...فتحصنوا من الخوف بزاويته المباركة وتمنعوا بحرمه وبجاهه عند الله وقد كانت الزاوية المباركة حصنا منيعا وحرما رفيعا يأتي الناس إليها رجالا وركبانا من كل قطر ...[3]» ،كما اضطلعت بوظيفة الإطعام والإيواء للطلبة وغيرهم من الزائرين، وهذا ما تبينه لنا سطور سيرته في سعيه لإطعام الجائع وإعالته، حيث يروي الصباغ عن ابن الحاج القلعي الذي ذهب مع خمسة عشر رجلا لزيارة الولي أحمد، وقد أضرّ بهم الجوع فلمّا وصلوا إليه وسلّموا عليه إلى الليل بعث لهم بقصعة طعام وكانت صغيرة،

[1] عبد الله نجمي، المرجع السابق،ص85.

[2] ونستشف ذلك من قول الصباغ عن عبد الله بن اقنيش« قال اذهبوا معي نزور الشيخ سيدي أحمد بن يوسف حين كان بالقرب من شلف فذهبوا إلى أن قربوا من زاويته ..»أنظر: المصدر السابق، ورقة35 ظ ،وعن الأماكن التي حلّ بها أنظر:ورقة21و، ورقة43و،ورقة 21و.

[3] نفسه، ورقة32و.

فاجتمع عليها هو وأصحابه الخمسة عشر وتلامذة الشيخ فأكلوا وشبعوا ببركته وكأنها لم ينقصها شيء[1].

لقد كان لسيدي أحمد عدّة مواجهات مع الأعراب الذين كانوا يتعرّضون لقوافله ،فقد همّ بعض أعراب سويد أن يأخذوا خيله وغنمه وبقره عندما كان في طريقه إلى يلل من وطن بني وغد من هوارة، لكنّه كوشف بذلك وأخذ حجرين صلدين وحكهما في يده فأصبحا كالدقيق فقال لهم: هكذا يفعل الله بكل من أراد بنا سوءا ،فنزلوا عن خيولهم وقبلوا رجليه وانصرفوا[2]، كما تعرّض مرّة أخرى للسّلب من طرف أعراب سويد وهو نازل بشلف حيث أخذوا إبله وكان رئيسهم آنذاك يوسف بن محمد الملقب بدقيش ، فأرسل أحد أصحابه ليردّها فرفض دقيش ذلك، فلجأ رسول سيدي أحمد إلى الشيخ أبي عبد الله بن واضح لأنّ هؤلاء الأعراب يعتقدون في ولايته وصلاحه ، فلجأ إليه لاسترجاع ما أخذ من أتباع سيدي أحمد[3].

لكن رغم هذه المعارضة إلاّ أنّ أحمد بن يوسف نجح في استدراج بعض الأعراب إلى التوبة بفضل نشاطه الإصلاحي الذي بدأه في سوق أمّ العساكر والذي كانت ترتاده القبائل ، حتى صار له خدّام من الأعراب، و يتجلى ذلك في رواية الصباغ :«ومنها ما حدثني سعيد أنه قال: بعثني الشيخ سيدي أحمد إلى رئيس سويد.....أن يرد إبلا كان أخذها لبعض الأعراب من خُدّام الشيخ سيدي أحمد بن يوسف...[4]».

كما سعى الشيخ أحمد بن يوسف إلى محاربة أشكال الانحراف التي لحقت بطريقته ،وتبرّأ ممن حمّلوه تُهَمًا هو بريء منها كنسبة النبوة إليه ،ويطلق على هذه الطائفة "اليوسفية" ،وقد ظهرت في حياة الشيخ[5] ، ولما بلغه ذلك قال:« من قال عنا ما لم نقل يبتليه الله بالعلة والقلّة والموت على غير ملّة[6]»، وقد كتب

---

[1] ابن الصباغ ، المصدر السابق، ورقة 32 و.

[2] نفسه ، ورقة11و.

[3] نفسه، ورقة21و، ورقة22ظ

[4] نفسه ،ورقة 21و.

[5] من المستبعد أن يقوم الشيخ أحمد بسلوكات تتنافى مع الشرع كيف ذلك وهو تلميذ الشيخ زروق بزاوية ثمقرة وهي المكان الذي ضبط فيه الشيخ زروق علم التصوف وألف فيه معظم كتبه على غرار قواعد التصوف وعدة المريد وغيرها من الكتب التي بينت الطريق السليم للتصوف وموقف الشرع من السلوكات والطقوس التي لحقت به.،«وقد صارت هذه الكتب حجة عند المتصوفين الملتزمين وعلماء الحديث والفقه في آن واحد ، حيث أجمع مترجمو زروق بأنه خاتمة الجامعين بين الحقيقة والشريعة ،وقد ساعده على أداء مهمته تضلعه في علوم التفسير والحديث والفقه » .أنظر: المهدي بوعبدلي،"عبد الرحمان الأخضري وأطوار السلفية في الجزائر"، مجلة الأصالة ،52 (1977م)، ص25.

[6] ابن عسكر محمد الحسني الشفشاوني،المصدر السابق، ص125.

تلميذه محمد العنتري شعرا يشيد فيه بالدور الإصلاحي للولي سيدي أحمد في وسط ساد فيه الفساد والجهل يقول فيه[1]:

أناديك يا منقذنا من فسادنا وعمدتنا في ديننا ومعادنا

فأنت السبب في منال رشادنا يا قطب زماننا وغوث بلادنا

ومذهب ظلماها إذا سار سناها

وها أنا قد شاع بقولي مديحكم وأرجو الإله في إنالة رضاكم

وهل يفتقر من كان يمدح مثلكم مدحتكم أولا فنلت الرضا منكم

وقد كان لتلامذة أحمد بن يوسف الفضل في نشر الفكر الصوفي الراشدي في المجالات الريفية الغربية للمغرب الأوسط، خاصة في إقليم بني راشد، وتثقيف سكان الأوساط القبلية ونشر التعاليم الدينية بينهم ،وهم بدورهم خرَّجوا على أيديهم تلاميذ، وهكذا ينتشر الفكر الصوفي في الأوساط الريفية ، ومن هؤلاء المريدين:محمد العنتري العربي ،محمد بن محمد بن بلوطة القلعي، سليمان بن حفصة القلعي، محمد أفنيش الهواري نسبا القلعي منزلا،قاسم بن سعيدة القلعي ،أحمد بن أبو معزى الراشدي ،موسى القديدي من مجشر قديدة أحد مجاشر قلعة هوارة ،وقد وصفهم الصباغ بالولاية و العلم والصلاح[2].

وفي ما يخص القيام بأشغال الزاوية، فمن الواضح أنه كان له خدّام مخصصين لذلك، وفيهم النساء والرجال وهذا ما تبينه لنا إشارتين لابن الصباغ ، الإشارة الأولى والتي ذكرتُها سابقا وذلك أنّ له خدام من الأعراب، والثانية قول الصباغ« ومنها ما حدّثني به علي بن زينا الدرجيني أنّ زوجته كانت من خدام الشيخ...[3]».

[1] الصباغ، المصدر السابق،ورقة6 و.

[2] نفسه ، ورقة 6و، ورقة108 و ظ ، ورقة 111و، ورقة 113 ظ.

[3] نفسه، ورقة20و.

**ج/زاوية سيدي محمد بن عبد الجبار**

تنسب إلى مؤسسها سيدي محمد بن عبد الجبار بن ميمون بن هارون المسعودي الفجيجي وتقع بحدّوش من وطن تاسّالة[1]، ليس لدينا معلومات عن ظروف تأسيس هذه الزاوية ولا عن معلمها العمراني، لكن يبدو أنّها لم تكن بالواسعة، وقد كانت مخصصة للتعليم حيث كان الطلاب بها«لا يفترون عن القراءة والذكر[2]»، وممّا لاشك فيه أنّ سيدي محمد كان يدرس طلبته التصوف على طريقة شيخه أحمد بن يوسف الراشدي، والفقه والحديث والورع والتوحيد على طريقة شيخه محمد بن عبد الرحمان الكفيف السويدي[3].

وقد كان سيدي محمد يأوي هؤلاء المريدين ويطعمهم ، وكما جرت عليه العادة في المعلم العمراني للزوايا فإنّها إذا اضطلعت بمهمة الإيواء والإطعام إلى جانب التعليم فإن هذا يكون داخل حرم الزاوية، لكن في زاوية حدّوش سنرى نمطا جديدا ،وهو أن سيدي محمد الفجيجي وفّر الإيواء والإطعام لكنه خصّص من أجل ذلك بيتا مستقلا عن الزاوية، حيث «بنى بيتا للفقراء المريدين ينفق عليهم ويموّنهم[4]»،وقد كان أهل سيدي محمد هم من يتولون إعداد الطعام للمريدين وخدمتهم، ويؤكد ذلك رواية ابن مريم، وذلك أنّ سيدي محمد أتاه ذات مرة زوار من بلاد المغرب وكان ذلك في عام مسغبة، ولم يجدوا عنده طعاما فقالت له زوجته :«ما عندنا ما نطعم الضياف وهم ركب عظيم[5]».

وبالإضافة إلى استقلالية بيت الإيواء فقد بنى الولي سيدي محمد مسجدا لإقامة الصلاة، وقد كان مستقلا أيضا عن حرم الزاوية ، ومن الواضح أنّ المريدين عند تأسيس الزاوية كانوا من مناطق قريبة منها وبالتالي كانت الزاوية للتعليم والصلاة، وما إن ذاع صيته وتكاثر عدد مريديه الذين أصبحوا يأتونه من كل

[1] ابن مريم ، المصدر السابق، ،ص 287.

[2] نفسه ، ص 287.

[3] من الشيوخ الذين تتلمذ على يدهم الولي محمدبن عبد الجبار الفجيجي:سيدي أحمد بن يوسف الراشدي ومحمد بن عبد الرحمان الكفيف السويدي وأحمد الحاج النميش العامري .أنظر: ابن مريم ، المصدر السابق ، ص 287، 288.

[4] ابن مريم ، المصدر السابق،ص 287.

[5] المصدر نفسه ،ص288.

بلد حتى بنى مسجدا لإقامة الصلاة وبيتا لإيواء الواردين، فالزاوية أصبحت لا تتسع للكم الهائل من المقبلين عليه ،وقد وصفت زوجته الزوار الذين قدموا عليه من المغرب "بالركب العظيم"[1].

**د/ زاوية بنطيوس**

تقع هذه الزاوية في بنطيوس من قرى نواحي بسكرة ، ويعود تأسيسها إلى بداية القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، وقد تأسّست على يد محمد عامر جد عبد الرحمان الأخضري[2] ، وهذا الأخير هو ما يهمّنا في هذا المضمار، فلنعرف من هو الأخضري ؟وما الدّور الذي قام به في نشر الثقافة الدينية في بلاد الزاب وريغ من خلال هذه المؤسّسة؟.

هو عبد الرحمان بن محمد الصغير بن محمد عامر الشهير بالأخضري، من قبيلة بني سليم من سلالة العبّاس بن مرداس، ولد سنة 920هـ/1502م، أخذ العلم عن شقيقه الزاهد الشيخ أحمد الذي يكبره سنّا، كما كان في صغره يحضر درس والده سيدي محمد الصغير، وهو أحد مشايخه في العلم، سيما الحساب والفرائض، فقد قرأه عن والده فقط ، ثم انتقل إلى تونس فمكث بمسجد الزيتونة مدة ، ثمّ رجع إلى بلده واعتكف على تدريس العلم في زاوية جدّه ، وآوى مجلسه رجال تفلفال إحدى قرى أحمر خدّو، والبعض من وادي ريغ ،والبعض من قسنطينة ونواحيها، والزّاب بأكثره، وقد كان يدرّسالبلاغة والفقه والتصوف والحساب والفرائض والفلك، وممّا ساعد على نشر الثقافة الدينية في بلاد الزاب وضواحيها عملية نسخ الكتب التي كان يكتبها، فقد كان من تلامذته رجل نسّاخ يرسل له مصنّفاته ينسخها له لينشرها على تلاميذه ، ومن دون شك أنّه كان يوزعها أيضا على سكان وسطه الريفي، وبالتالي تعميم الثقافة الدينية والعلم ، فقد كان هذا الناسخ من تِفلفل (إحدى قرى جبال أحمر خدّو بين بسكرة وباغاية)[3] .

وقد خرّج على يده تلاميذ منهم من وصل إلى درجات التدريس، ومنهم من ارتقى إلى التأليف كتلميذه أبي فارس عبد العزيز بن مسلم الفارسي، الذي جعل شرحا على منظومة شيخه المسماة بالسّراج

---

[1] ابن مريم ،المصدر السابق ،ص288.

[2] أحمد بن داوود الأخضري، العقد الجوهري في التعريف بالقطب الشيخ سيدي عبد الرحمان الأخضري، تق وتح وتع: لحسن بن علجية، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان، ط1، 1439/2018هـ ،ص41.أنظر أيضا: الحفناوي أبو القاسم بن أبي القاسم الديسي، تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة بيير فونتانا الشرقية ،الجزائر،1324هـ/1906م،ص63.

[3] الأخضري أحمد بن داوود، المصدر السابق،ص29-31.

في علم الفلك، وجعل له تلميذه سعيد قدّورة الجزائري شرحا على منظومته المسماة السّلم ،كما شرح تلميذ آخر له مختصره الذي ألّفه في الفقه وهو من بلد فرفار إحدى قرى الزّاب[1].

كان للأخضري التأثير البالغ في بلاد الزاب وضواحيها، كما وصل صداه إلى بلاد ريغ بفضل الطلبة الذين كانوا يرتادون على مجلسه ثمّ يعودون إلى وطنهم ريغ لنشر ما تعلّموه ، وقد كان لهم الفضل في استرجاع كتب شيخهم التي سلبت منه ،وفي هذا يروي لنا أحمد بن داود على لسان الأخضري في شرح الدرة آخر الجزء الثاني ما نصه:« وقد وضعنا قبله شرح جملتي الحساب والعمل بسنين متعدّدة، فلمّا أكملناها ابتُلينا في المقران[2]بالطائفة المرتدة لعنهم الله، فسلبوها مع شتى الكتب، فصرفتنا صوارف الأقدار بعد ذلك على الإعادة حتى ردّه الله تبارك وتعالى بفضله مع شتى الكتب بسبب مصادقة بعض الإخوان في أرض ريغ جزاهم الله خيرا[3]».

و أثّر الأخضري في الأوساط الريفية لبلاد الزاب و ما جاورها من القرى والمدن على غرار قسنطينة وريغ بكتبه وسلوكه، وذلك بفضل مصنّفاته التي شملت علوما مختلفة وخصوصا المتون التي نظمها وشرحها في المعاني والبيان والفرائض والمنطق والحساب والفلك والتصوف، و من حرصه على تبسيط المعلومة لطلابه وإيصالها لهم،لم يقتصر الأخضري على كتابة المتون فحسب، بل سعى إلى كتابة مختصرات وشروح لمنظوماته بنفسه حتى يتسنى للطلبة فهمها وحفظها بسهولة، وقد كان يقف عند رغبة الطلبة في تأليف هذه المنظومات، ونستشف ذلك من بعض الأبيات التي كتبها في منظومته في البلاغة وذلك في قوله:

وقـد دعـا بعض الطـلاب لـرجز يـهدي إلى الصواب
فجئتـه بـرجـز مـفيـد مـهـذب منـقـح سـديد
مـلتقطا من درر التـلخيص جـواهر بديـعة التخـليص

[1]الأخضري أحمد بن داود، المصدر السابق ،ص31، 37.
[2]وتسمى المغران وهي قرية صغيرة قرب بنطيوس، الأخضري أحمد بن داود،المصدر السابق، هامش 6،ص30.
[3]نفسه،ص30-31.

سلكت ما أبدى من الترتيب وما ألوت الجهد في التهذيب
سـميته بالجـوهر المكنـون في الصـدف الثلاثة الفنون[1]

كما يبدو منهجه الإصلاحي واضحا من خلال منظومته التي كتبها في التصوف المعروفة باسم "القدسية" والتي ضمّت حوالي ثلاثمائة وثمانية وثلاثين بيتا[2]، وقد ألّفها كنتيجة لظهور مدعي التصوف ،وما صحب تصوفهم من انحرافات وسلوكات وبدع وبُعدهم عن السنة النبوية، فجاءت هذه المنظومة لتصف متصوفة زمانه وتبين حقيقة طريقتهم البعيدة كل البعد عن منهج الشرع، ويبدو أنّ والده محمد الصغير كتب أيضا في التصوف واصفا ما وصل إليه في زمانه ،وذلك من خلال الأبيات التي ذكرها ولده عبد الرحمان يقول فيها:

قد أحسـن الـوالد في العبارة إذ قـال قـولا صـادق الإشارة
فـقال في أولئـك الدّجاجلة مـقالة صـادقـة وعـادلـة
وزنـتـهم بالـشـرع فهـو نائي مـشـاهم كـالأرض والسـمـاء
وزنـتـهـم بمـنـهـج الحـقيقة فـلـم أجـد لهـم منـها دقيقـة
بل هتكوا محارم الشرع القويم فنكبوا عن الـصـراط المـستقيم
فكـان دينـهـم إلى الـدّجـال فارحمه يا ذا الفضل والإحسان[3]

ومما لا شكّ فيه أنّ الأخضري كان متصوفا على الطريقة الزروقية ،فقد أخذ عن والده كما أخذ عن محمد بن علي الخروبي وهما بدورهما أخذا عن الشيخ أحمد زروق[4]، وقد تأثّر الأخضري بمذهب زرّوق ونشرَه في أوساط العامة، وقد جاءت منظومته لتميز بين ما هو تصوف حقيقي وما هو بدعي ضال ، ولعبد الرحمان الأخضري أبيات تدلّ على تأثره بالفكر الصوفي لزروق فيقول:

ومـن يـرد معرفـةً بالبـدع ومـا بنى عليه أصل المدعي

[1] الأخضري عبد الرحمان بن صغير،الجوهر المكنون في صدف الثلاثة فنون، تح: محمد بن عبد العزيز نصيف، مركز البصائر للبحث العلمي ، المدينة المنورة، دط،دت ،ص22.

[2] هناك اختلاف بين الباحثين في تحديد عدد أبيات هذه المنظومة وذلك راجع لتعدد النسخ .

[3] الأخضري أحمد بن داود،المصدر السابق، ص39.

[4] المهدي البوعبدلي،المرجع السابق ،ص 25.

ففي كتاب شيخنا الزروق فـوائـد بـديـعـة الـفـتـوق[1]

لقد جاءت القدسية لتوضح آداب السلوك وتفضح الكاذبين المخادعين، وتوجه النصح للمريد وطلاب العلم بالسلوك السوي في عبادتهم ومعاملاتهم ،فبيّنت مبادئ وأسس التصوف الصحيح على الطريقة الزروقية ، فتضمنت أبياتها أنواع المجاهدات ، وطرق إصلاح النفس وتطهيرها،والطرق الصحيحة للذكر وفضله، وما يجنيه الذاكر لله وغيرها، فيقول في أقسام المجاهدة وما يترتب عنها من كشف رباني:

وطـهّـر الـقـلـب من الأدغال إذ حـلّ في درجـة الـكـمـال
تـــقواه واسـتـقـامة وكـشـف وذاك مآبه الـــقلوب تصـفو
لكـن أنـواع المـجـاهـدات بحسب الـــــمقـام للسادات
فأي من شـدّ الـحـزم عـري وضل يرتاض النفوس مـؤثرا
حتى إذا صحت سماء القدس يطرد مـركوم سحـاب الحس
حينئذ تبدو شموس الـــغيب مـــشرقة بـعـرصات القلب
وانـطبعت في وسـط الـــمرآة صُـور الأمـــور المَلَكُوتِّيـاتِ
وانـخرفت حـــدائـق القلوب بثمرات الكشف والغيـــوب[2]

وفي طرق تطهير النفس والكيفية الصحيحة للذكر يقول:

واعـلـم بـأن طـرق الـتـطـهـير كثـــيرة عـنـد ذوي الـتـنـوير
أقـربها نـفـعا طـريـق الـذكـر بـــسـرعة يـزيـل كل ستر[3]
لكن بـشـرط الخـوف والحـضور مـــع إذكار هـيـبة المـذكور
فـــمـن تـكُ الـغـفـلة والأمان في ذكـــره حـجـبـه الـشيـطـان
وحـــال بـــيـنـــه وبـين ربـــه يـقـذفـه وساوساً في قـــلـبه
وأحـدقـت بـقـلـبه غشـاوة فلم يـــذق بـالـذكر من حـلاوة
كـم بـاذلا قـــواه في الأذكـــار ولم يجـد للـذكـر مـــن ثمـار
وذاك من وسـاوس الـشيـطـان يـهـيج بالـغـفلـةْ والأمـــان
فـعـــالج الخـواطـر الـرديـة بالـــدفع فهي حجب قوية

[1] المهدي البوعبدلي،المرجع السابق، ص27.
[2] الأخضري عبد الرحمان ، القدسية، مخطوط جامعة الرياض ،تحت رقم:218/م . أ،ورقة 3.
[3] نفسه، ورقة6.

هيهات أن يـطمع في الإبـصار مـــن قلبه في الـهذيان جاري
هـل يرتـقي بـســلم الـمـعالي من قـلـبه في عالـــم أخيالِ
لن يستـقيم القـلـب للتوجيـه مـادام هـــذا الهـذيـان فيه
كـيـف يصح فتحُ بـاب القدسِ مادام في القلب غـبـار النفسِ
لن يصل الـعـبـــد إلى مـولاه مـدة مالـيـلُ الهوى يـغـشاه
حـــتى إذا نهـــاره تجـلـــى يفتح بـــاب الملكوت الأعلى
فاجـعـل أخي همك هما واحـداً تكـن لما تـطـلبه مـــشاهدا[1]
ومن شروط الذكر أن لا يسقطا بعض حروف الاسم أو يفرطا
في البعض من مناسك الشريعة عـمـداً فـتـلك بـدعـة شنيعة
والـرقـص والصراخ والتصفـيق عـمـدا بـذكـر الله لا يـلـيـق
وإنمـا المـطـلـوب في الأذكـار الـذكـر بـالخشـوع والـوقـار[2]

ثم يورد أبياتا ترغّب القارئ في سلوك طريق التصوف ذاكرا أوّل الخطوات التي يسلكها المريد في هذا الطريق، وما يصحبها من زهد في الدنيا، وانعزال عن الخلق، مراعيا الالتزامات الاجتماعية و الانشغال في طلب الرزق الحلال وتحريه فيقول في ذلك:

ولـو تـركت العالـم الجـسـماني لـذقـت الـعـالـم الروحاني
وكل مـشغـول بـعـالـم الجسد فذاك محجوب عـن الله الصمد
فـلتشتغـل بالعالـم الـروحـاني واترك سبيـل العالـم الجسماني
واخرق حجاب النفس بعد الجسم ترى الكمـال في بساط العلم
فمن سعى في خدمـة المـوْضُـوع فـذاك مـحجوب عن الطلوع
إذ أول الســلـوك تـــترك ذالك وبـــعده يَسلكُ في المـسـالـك

[1] الأخضري عبد الرحمان، القدسية، ورقة7.
[2] نفسه ، ورقة8.

نعـم بقـدرة القوة النـفـسـيـة لـم تتصل بالحضرة الـقـُدْسِية

فابذلْ قُـواك في صلاح النـفـسِ مـن كل وصـمـةٍ بها ولـبـسِ[1]

ثم يقول:

عجبت من مسافر يشكو الظمآ وحـولـه عـذب فـرات أي ما

ما حـل وفد الراصـدين مرصدا ورام حـزب الـواردين مـوردا

إلا بأخماص البـطـون والسهـر والصمت والعزلة عن كل البشر

وزهد في الدنـيا وتـقصير الأمل وفـكرة القلـب وكثرة العمل

والخـوف والـذكـر بـكل حـال والصبر والـقـوت مـن الحلال

وفـعـل أنـواع المـعـامـلات وفـعـل أركـان المـجـاهـدات

من بعد تحصيل فـروض العين عِـلْمـاً وأعْمالاً من غير مَيْنِ[2]

ثم يصف متصوفة زمانه فيقول:

فـأيْنَ حـالُ هَـؤلَاء الـقوم من سـوءِ حَالِ فُقَرَاءِ اليوم

قـد ادعـوا مـراتب جلـيلة والـشـرع قـد تجـنوا سبـيله

لن يدخـلوا دائـرة الطـريقة فـضـلا عن دائرة الحـقيـقـة لم

يـقـتدوا بسيـد الأنـام فخـرجوا عن ملة الإسـلام

لم يعملوا بمقتضى الكتاب وسـنة الهـادي إلى الصواب قد

ملكـت قلوبهم أوهام فـالقـوم إبـلـيس لهم إمام[3]

ثم يفرق بين المتصوف الحقيقي والمخادع البدعي فيقول:

إذا رأيـت رجـلا يـطـير وفـوق المـاء قـد يـسير

ولم يـقف عند حدود الشرع فذلك مستدرج و بـدعي

[1] الأخضري عبد الرحمان ، القدسية ، ورقة18.

[2] نفسه،المصدر نفسه،ورقة9.

[3] نفسه، المصدر نفسه، ورقة9.

واعلم بأن الخـارق الـربـاني لِتابعي السـنـة والـقرآن
والفرق بين الإفك والصواب يعرف بالسـنة والـكـتاب

وقـال بـعض أولـيـاء الله السـالكيـن لـطـرق الله
من ادعى مـراتب الجمال ولم يـقـف بأدب الجـلال
فارفضـه إنّما الفـتى دجال ليس له التحقيق والكمال[1]

ولولا الإطالة لأوردنا المزيد من الأبيات التي تصف حالة البلاد، وتدهور العلم، والأعمال التي يقوم بها هؤلاء الدجاجلة، وهذا ما يدل على قيمة هذه المنظومة التي أصبح طلاب العلم آنذاك يُطالبون بحفظها سواء في المدن أو الأرياف، لأنها تميزت بطابعها الإصلاحي ورسمت الطريق السليم للمسار الصوفي.

لم يتوقف النشاط التعليمي للأخضري على بلاد الزاب، فقد كان يرتحل في فصل الصيف إلى زاوية قجال بسطيف فيمكث هناك للتبرد من ناحية، ويلقي دروسه هناك من ناحية أخرى ،حتّى أنّ المنية وافته وهو بزاوية قجال، لكن جثمانه نقل إلى زاوية والده ببنطيوس من طرف تلاميذه تنفيذا لوصية شيخهم ليدفن بجوار والديه وجده وأخيه ،وقد اختُلِف في سنة وفاته فمنهم من جعلها سنة 953هـ[2] ،ومنهم من جعلها سنة981هـ معتمدا على بيت للأخضري يقول فيه[3]:

في عام إحدى وثمانين سنة من بعد تسعمائة مستحسنة

ويرى الأستاذ سعد الله أنّ هذا الاستدلال ضعيف لأن البيت قد يكون فيه تصحيف من النساخ بقراءة "إحدى وثمانين" بدل "إحدى وثلاثين"[4].

لقد ترك الأخضري بصمته في الإصلاح الاجتماعي والثقافي ،فقد كان أكثر العلماء انتقادا لمجتمعه وما ظهر فيه من آفات، كالسحر والشعوذة والتدخين وما صحب التصوف من أمور بدعية، وقد انتقد هذه المظاهر في بعض مؤلفاته على غرار القدسية ، وقد سعى إلى إيجاد حلول لهذه المظاهر من خلال مؤلفات تتضمن النصح والإرشاد والتوجيه اعتمادا على تعاليم الدين الإسلامي ، ففي قصيدته "نصيحة الشبان" لخّص للشباب الطريق الذي عليهم أن يتبعوه للوصول إلى بر الأمان، وذلك بالابتعاد عن المحرمات، والمحافظة على الصلوات، واجتناب رفقة السوء واستغلال الصغر قبل الهرم، وغيرها من النصائح والتوجيهات وهذه بعض الأبيات من القصيدة:

---

[1] الأخضري عبد الرحمان ،القدسية،ورقة10.

[2] الأخضري أحمد بن داود، المصدر السابق،ص41.

[3] المهدي البوعبدلي، المرجع السابق،ص25.

[4] أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط1، 1998م ، ج1، ص501.

أوصيكم يا معشر الشبان علـــيكم بطـــاعة الرحمـان
إياكم أن تهملوا أوقاتكم فتندموا يوما على ما فاتكم
فـإنما غنيـــمة الإنسان شـبابه والـخسر في التواني[1]

ثمّ يقول:

ومن يـقل إني صغير أصـبر ثم أخـاف الله حين أكبر
فـإنّ ذاك غـــرّةُ إبـلـيس وقلبـه مُغَـفّلٌ مـطموس
واختر لصحبتك كل مهتد إن القـرين بـالقـرين مهتد
فصحبة الأخيار للقلب دوا تزيد للقلب نشـاطا وقوى
وصحبة الأشرار دَاْء وعمى تزيد للقلب السقيم سقما
فإن اتـبعـت سـنة النبيء فـلتـَجْـنـَبْ قرناء السوء[2]

ورغم نبوغه في علم الفلك إلاّ أنه لم يستعمله في معرفة الغيب أو السحر والشعوذة ،وهذا ما يدلّ على تمسكه بدينه وبُعدِه عن البدع والشبهات، واعتراضه على من يستعمله في معرفة الغيب، وقد وضح في قصيدته أزهر المطالب في هيئة الأفلاك والكواكب أنّ هذا العلم وسيلة لمعرفة جهة القبلة، وأوقات الصلاة ومواقيت الأهلة من صيام وحج وغيرها من الأحكام الشرعية، وهذه بعض أبيات القصيدة:

فالعلم بالأفـلاك والنّجـوم علم شـريف ليـس بـالمذموم
أعني الذي يفيد في الأوقات كالفجر والأسحار والساعات
لأنـّه يـلـيـق بالعـبـاد حـــين قيـامـهم إلى الأوراد[3]

وفي قصيدته السراج في الهيئة يقول:

[1] عبد الحميد عومري، عبد الرحمان الأخضري ودوره في حركة التجديد والإصلاح(920هـ-953هـ/1516م-1548م)،مذكرة ماجيستير في التاريخ الجتماعي والثقافي المغاربي عبر العصور،إشراف :محمد حوتية ،أدرار،2015م،ص174.
[2] نفسه،ص174.
[3] الأخضري عبد الرحمان، أزهر المطالب في هيئة الأفلاك والكواكب، تق و تح وتع:لحسن بن علجية، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان،ط1، 1439هـ/2018 م، ص116.

وبعد فاعـــلم أنّ علم الفلك علم عزيز من أجل مسلك

أعني الذي تدرى به الأوقات والفجر والقبلة والســاعات

ومـا به تـــطــرق للـغيب فـذاك الحـــرام دون ريـب[1]

**هـ/ زاوية سيدي سينا:**

تقع هذه الزاوية بسهل البطحاء الذي كان خاليا تماما من السكان إلى غاية قدوم أحد النساك وهو سيدي سينا مع عدد من أتباعه الذين يرون فيه وليا صالحا ،فأسّس به زاوية حيث كان لهذا المتنفس الاقتصادي دور في قيامها واستمرارها ،فقد أمر هذا الناسك أصحابه بحرث تلك الأراضي، فكانت عائداتها كبيرة وتكاثر بقره وغنمه وخيله ،واشتهر أمره، وأصبح يتوافد عليه كمّ هائل من المريدين والطلبة ، وأصبحت هذه الزاوية تقوم بعدة أدوار، حيث يقوم فيها بتعليم المريدين فكره الصوفي الذي كان بسيطا تماما، فهو لا يأمرهم بمجاهدات أو بتربية روحية قاسية، بل كل ما يطلبه منهم هو أداء الصلوات، كما يعلمهم بعض أسماء الله الحسنى ويوصيهم بذكرها في أورادهم عدة مرات في اليوم، فإذا ما أكملوا هذه التعاليم عادوا إلى أوطانهم[2].

وفي ما يخص الهيكل العمراني للزاوية فلا شك أنها كانت كبيرة وتتسع لجمع غفير من الطلبة، ويبدوا أنها كانت تحوي غرفا كبيرة للتدريس وأخرى لنوم الطلبة ،وقد أخبرنا الوزان أنّ عدد المريدين والأتباع الذين أصبحوا يعيشون تحت ظل سيدي سينا بلغ الخمسمائة مريد[3]، وهذا ما يجعلنا نخمّن أنّ الزاوية كانت تضم مسجدا للصلاة بجنبها أو في حرمها، لأنه لا يمكن لغرفة حتى ولو كانت كبيرة الحجم أن تسع عددا كهذا من المصلين.

[1] عبد الحميد عومري، المرجع السابق ،ص82.

[2] الوزان ، المصدر السابق، ج2 ،ص 28، 29.

وتحدث كاربوخال أيضا عن البطحاء وأنّ أحد المرابطين قدم إليها وقام بتعميرها حيث جاء الناس ليستقروا في حمايته وقال أنه منذ استقراره بهذا السهل صارت تسمى بلاد سينا.أنظر:مارمول كاربخال ،المرجع السابق ،ج2،ص326

[3] الوزان، المصدر السابق ، ج2 ، ص29.

وإلى جانب الزاوية قام سيدي سينا بتوفير 100 خيمة بعضها مخصص لإيواء الغرباء والبعض الآخر لرعاته والبعض الآخر لعائلته[1]، إذن نلاحظ أنّ الزاوية كانت مخصصة فقط للطلبة وشؤونهم من تدريس وإطعام وإيواء بينما جعلت الخيام للعامة من الزوار والخدام والعائلة.

إذن نلاحظ كيف استطاع سيدي سينا أن يشكل قبيلة صوفية متعددة الأجناس، حيث غابت فيها القرابة الدموية تاركة المجال للّحمة الدينية ،كما نلاحظ دور الزاوية في الحفاظ على هذه الكتلة القبلية ،فمؤسسة الزاوية هي التي تضفي الشرعية على وجود القبيلة، وممّا يدل على تمتع سيدي سينا بسلطة روحية جعلته مهابا لدى السلطة والأعراب على حدّ سواء، هو إعفاء السلطة الزيانية له وكذلك العرب الهلالية من دفع الإتاوة[2].

[1] الوزان ، المصدر السابق ، ج2، ص29.

[2] نفسه ، ج2 ،ص28.

♦ **جدول يلخص زوايا المجالات الريفية من القرن السابع الهجري/13م إلى القرن العاشر الهجري /16م**

| سنة التأسيس | اسم الزاوية | المكان | الوظيفة الرئيسية | الوظائف الملحقة | المصدر |
|---|---|---|---|---|---|
| القرن 5هـ/11م | زاوية سيدي مسعود | قجال –سطيف– | التعليم | | الزبير حمادوش، المرجع السابق،ص3 ،4. |
| القرن 7هـ/13م | زاوية أبو مدين شعيب | العبّاد –تلمسان– | التعليم | الإطعام الإيواء | ابن مرزوق، المناقب المرزوقية،ص211،208. وابن قنفذ،أنس،ص40. |
| | الزاوية الملارية | ملارة –قسنطينة– | التعليم | الإطعام الإيواء مساعدة المحتاجين | ابن قنفذ،أنس،ص40، 43،44،50، 51. |
| القرن 8هـ/14م | سعادة الرياحي | طولقة –بسكرة– | الحفر في القبائل واستخراج الأموال | التعليم | ابن خلدون،العبر، ج6، ص52-53. |
| القرن 9هـ/15م | يحي العيدلي | ثمقرة –بجاية– | التعليم | | الورثيلاني،نزهة،ص10. علي مقران السحنوني، المرجع السابق ،ص40. |
| | زاوية يحي المديوني (أبي السادات) | بني راشد –تلمسان– | التعليم | الإطعام | ابن مريم،المصدر السابق، ص305-306. |
| | أحمد بن موسى الشريف الإدريسي | جبل بني ورنيد –تلمسان– | التعليم | | ابن مريم،المصدر السابق، ص26-27 |

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| | محمد بن عبد الجبار الفجيجي | تاسالّة -مستغانم- | التعليم | الإطعام الإيواء | ابن مريم،المصدر السابق ،ص287-288. |
| القرن10هـ/16م | أحمد بن يوسف الملياني | رأس الماء -تلمسان- | التعليم | الإصلاح الديني والاجتماعي في الوسط القبلي | ابن الصباغ، المصدر السابق،ورقة، |
| | بنطيوس | بنطيوس -بسكرة- | التعليم | | الأخضري أحمد بن داود ،العقد الجوهري،ص27-42. |
| | سيدي سينا | البطحاء -تلمسان- | التعليم | الإطعام الإيواء | الوزان،المصدر السابق، ج2،ص28-29. |

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

♦ **جدول للزوايا الريفية التي لم نقف على معلومات كافية عنها**

| سنة التأسيس | اسم الزاوية | المعلومات المتوفرة حولها |
|---|---|---|
| القرن السابع هـ/13م | أبي البيان واضح | تقع بجبل آفرشان-شلف-،اضطلعت بمهمة التعليم يؤكد ذلك قول المازوني«..وجّه طالبين ليأتياه بكتاب روضة الحقائق»،كما اضطلعت بوظيفة إيواء الفارين فقد التجأ إليها الناس بخيامهم ومواشيهم واستجاروا به هروبا من أمير بني توجين[1]. |
| | أبي يعقوب بن محمد بن محيو الهواري | تقع بجبال شلف،واضطلعت بوظيفة التعليم فقد كان الشيخ أبي البيان واضح من تلامذة أبي يعقوب وقد كانت كثيرة العمارة لانضمام الناس إليها ،لانتشار الفساد في ذلك وبالتالي فقد كانت ملجأ للفارين تأويهم وتحميهم من كل سوء،ويبدو أنّ الزاوية كانت تحوي مسجدا وهو ما يبدو من رواية المازوني عن أمير بني توجين «ونزل بشلف وسار بجيشه للزاوية واستلبوا كل ما وجدوه وانتهك الحريم حتى جردوا النساء من داخل المسجد[2]». |
| القرن الثامن هـ/14م | أحمد بن إدريس البجائي | ارتحل سيدي إدريس من بجاية إلى أيلولة بعد الأحداث المتلاحقة التي عصفت بها (خاصة موقف الأمير الحفصي عند تخليه عنها لصالح أبي عنان سنة 753هـ وبإشهاد للأعيان والعلماء منهم مفتي بجاية) فقصد جبال زواوة نجاة بالنفس والعلم والدين والمال، وأسّس زاويته بأيلولة أومالو ،وما كان ذلك ليتم لولا مساعدة قبائل إيلولة وبني يعلى ،وبعد أن كان مدرسا ببجاية أصبح مدرسا بزاويته وقد اختصت بتدريس القراءات السبع والعشر واللغة والفقه...[3] |

[1] المازوني موسى ، المصدر السابق،ص107-145.

[2] نفسه ،ص175-198.

[3] أحمد ساحي ،" أحمد بن إدريس البجائي الأيلولي(ق8هـ/14م)ودور زواوة في التراث العربي الإسلامي" ، مجلة الدراسات التاريخية، 7(1993)، ص60-63.

| | | |
|---|---|---|
| | عبد الرحمان الوغليسي | أسس الفقيه زاويته في بني وغليس-بجاية- ، وقد كانت تنشد أطروحة التوفيق بين الشريعة والحقيقة،حيث كانت تختص بوظيفة الإفتاء وتدريس الفقه وإيواء الطلبة ،كما انتفت فيها مظاهر السماع والرقص وطقوس الانتساب[1]. |
| القرن التاسع هـ/15م | سيدي التواتي | كان الولي سيدي التواتي معاصر للشيخ يحي العيدلي،واضطلعت الزاوية بمهمة التعليم فقد كان للشيخ طلبة وخدام بالزاوية،وله عدة تآليف لم يوافينا الورثيلاني بعناوينها[2]. |
| | سيدي علي أويحي | أسس سيدي علي الزاوية تحت سفح جبل جرجرة في مكان يسمى بوشماخ، وليس للشيخ طريقة ولا مريدين إنّما أسسها لتحفيظ القرآن وتعليم العلوم الدينية والشريعة والحفاظ على اللغة العربية ومحاربة الجهل والبدع والخرافات[3]. |
| | أبي عبد الله بن فاتح | تقع بجبال شلف،لم يشر المازوني إلى اضطلاع الزاوية بوظيفة التعليم ويبدو أنّها كانت مكانا يعتزل فيه الولي فحسب ويتضح ذلك من قول هذا الأخير:«منقطع إلى الله بزاويته، معتكف على تلاوة القرآن، مواصل الأوراد، لا يكاد يُرى إلا في قراءة أو تنفل أو ذكر أو دعاء»، لكن هناك إشارة تدل على احتواء الزاوية على مكان للمبيت ويبدو جليا في قول المازوني :«ذكر لي غير واحد من أصحابنا ممن أثق به ممن مشى لزيارته أنه مكث عنده أياما فرآه لا يفتر عن ذكر الله...[4]»،هذا النص يجعلنا نتساءل هل كانت الزيارة للتبرك أم لأخذ العلم؟ ولو كانت للتعلم فهل أنّ أياما كافية لذلك؟ في ظل غياب تفاصيل عن هذا يبقى السؤال مطروحا دون إجابة |
| | زاوية أبي يحي | تقع بجبال بيسة – تنس-،يدير هذه الزاوية حفدة الولي أبي يحي وهنا نرى توارث خدمة الزاوية عبر الأجيال[5] . |

[1] الطاهر بونابي، الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين 8و9هـ/14و15م،ج2، ص617.

[2] الورتيلاني، نزهة الأنظار،ص27.

[3] محمد نسيب،زوايا العلم والقرآن بالجزائر،دار الفكر،الجزائر،دمشق-سورية، دط ، 1983م ، ص175.

[4] المازوني موسى، المصدر السابق،ص396.

[5] نفسه،ص419.

| | | |
|---|---|---|
| | يحي أبهلول | تقع بجبال شلف، قال المازوني:«وذريته..وزاويته إلى الآن ملحوظون محترمون منهم طلبة وحجاج ومرابطون موسومون بالخير والفضل»[1]،ولا توجد إشارة عن مهام الزاوية فالراوي يركز على ذكر الولي الصالح دون إعطاء تفاصيل، غير أنّها متوارثة عبر أحفاد سيدي يحي. معينة |
| | زاوية الشيخ أحمد بن علي | تقع بالرابطة –جبال المعاضيد–، وقد ارتحل سيدي أحمد من وطنه الساقية الحمراء ومعه 14طالبا، وكان خلال رحلته كلما مرّ بوطن تهافتوا عليه حتى ينهلوا من علمه فيمكث أياما ثم يواصل رحلته إلى أن وصل إلى قرية الرابطة حيث أسس زاويته وجعلها مكانا لنشر العلم والدين ، وقد كان الإشراف على الزاوية متوارثا بين أولاد الشيخ أحمد بن علي وهي ما توضحه سلسلة نسب المتعاقبين على خدمتها ويعود نسبهم الأخير إلى آل البيت[2]. |

♦ **التعليق على الجدولين:**

نلاحظ أنّ زاوية قجال تأسّست خلال القرن الخامس هـ/11م، حيث أنّ هذا القرن آنذاك لم يعرف وجود ما يسمى بالزاوية، فكانت الرابطة والرباط ، فمن الممكن أن يكون المعلم آنذاك على شاكلة الرابطة، ثم مع مرور الوقت ومع ظهور مؤسسة الزاوية حملت اسم زاوية سيدي مسعود ، والملفت للانتباه السكوت الغريب للرحالة على غرار البكري عن هذه المعالم رغم شهرتها ،فهل هذا راجع لبعدها عن مركز المدينة وعدم مرورهم عنها ؟ وإذا كان الأمر كذلك فعلى الأقل إشارة عن المعلم؟.

أمّا خلال المائة السابعة هـ/13م فقد وقفنا على أربعة زوايا وهذا لأنّنا في بداية انتشار الظاهرة، في حين لم نقف إلا على ثلاثة زوايا خلال المائة الثامنة اثنين منهما بجبال زواوة –بجاية– وواحدة ببلاد الزاب–طولقة–،وإذا ما قارنا بين حركة تأسيس وتشييد الزوايا في المجالات الريفية في كل من المائتين الثامنة هـ/14م والتاسعة هـ/14م فإننا نجد حركة التأسيس في القرن الثامن شبه معدومة ،في حين نشطت خلال القرن التاسع هجري /15م، حيث بلغ عددها 8 زوايا، وقد كانت موزعة بين المجالات الريفية للمغرب

[1] المازوني موسى،المصدر السابق، ص419-420.

[2] السعدي بن الطاهر بن أحمد بن علي بن البشير بن عبد الله بن السعدي بن....بن أحمد بن علي بن محمد بن مسعود بن عيسى بن.....بن عبد الله بنإدريس الأصغر بن إدريس الأكبر بن عبد الله بن محمد بن الحسين بن علي بن أبي طالب.مقابلة أجريت في بيت أحد القيمين على الزاوية بالرابطة وهو عبد الله بوزيان، بتاريخ:2019/08/27م.

الأوسط الشرقية والغربية، فهل قلة الزوايا خلال المائة الثامنة هـ/14م له علاقة بفئة الفقهاء وموقفهم من التصوف والزوايا؟ لكن إذا كان الأمر كذلك فإنّ زاويتين من زوايا المائة الثامنة الهجرية كان تأسيسهما على يد فقيهين، الأولى أسسها الفقيه أحمد بن إدريس البجائي (توفي بعد 760هـ) ، وكان هذا الأخير واحد زمانه في حفظ مذهب الإمام مالك ،وقد صنّف في الفقه المالكي ،حيث له تعليق على "بيوع الآجال" من مختصر ابن الحاجب وغير ذلك ،وكان ملتزما طريق السلف الصالح مُلِمًّا بالعلوم والمعارف كثير الصيام والصدقة كثير الصلاة حتى أطلق عليه فارس السجاد[1] ، أمّا الزاوية الثانية فقد أنشأها تلميذه عبد الرحمان بن أحمد الوغليسي (ت786هـ/1384م)، وكان هذا الأخير على منحى شيخه في العلم والدين ،وله مقدمة مشهورة في فقه العبادات تناول فيها مسائل الصلاة والطهارة والصوم وغيرها عرفت بالوغليسية نسبة إليه[2] ،أم أنّ المشكلة هي مشكلة مصادر فعلى العموم تعطي أهمية للحواضر دون البوادي؟.

أمّا القرن العاشر الهجري/16م فهو الآخر سجّلنا فيه 5 زوايا، وقد شملت المجالات الريفية الشرقية والغربية للمغرب الأوسط ،ثلاثة منها بأرياف تلمسان وواحدة بريف مستغانم ،وبالنسبة للجهة الشرقية فسجلنا واحدة بإحدى قرى بسكرة.

ممّا لاشكّ فيه أنّ هذا الانتشار الواسع للزوايا راجع إلى دور السلطة في العناية بهذه الفعاليات الدينية ،خاصة بعد الالتفاف الواسع من طرف المجتمع حول هذه الشريحة التي وجدوا فيها ضالتهم فأصبحت بديلا عن السلطة في قضاء الحاجات ، وبالتزامن مع تعدد الوظائف الاجتماعية للزاوية، بالإضافة إلى زوال الرقابة الفقهية عن هذه الفئة خاصة بعد ظهور الفقهاء الصوفية .

[1] ابن فرحون ،المصدر السابق،ج1،ص255-256.

[2] التنبكتي،كفاية المحتاج،ج1،ص267..أنظر أيضا :الطاهر بونابي،الحركة الصوفية،ج2،ص413.

**استنتاج**

•من خلال ما سبق نلاحظ أنّ المجالات الريفية خلال الفترة الزيانية– الحفصية شهدت أكبر درجات الديناميكية وأبرز التحولات الدينية والاجتماعية بفضل مؤسسة الزاوية، والتي لعبت دورا محوريا في كسر طوق الحدود الجغرافية وتمتين الروابط بين الحواضر والأرياف.

•إنّ توزع الزاوية الريفية على مختلف المجالات الريفية الشرقية والغربية للمغرب الأوسط يدل على وجود أرضية تاريخية ملائمة لهذا الانتشار، وقد ساهم وجود هؤلاء الأولياء في تثبيت السكان على هذه المجالات خاصة بعد الدور الذي لعبوه في حفظ الأمن، وهذا ما سمح بإعادة تنظيم المجالات الريفية للمغرب الأوسط.

•إنّ انتشار الزاوية الريفية سمح بتعمير هذه المجالات خاصة لما تم إحياء البساتين والأراضي المحيطة بها ،كما أن الاعتقاد في بركة الولي وقدسيته ولّد الطمأنينة في نفس السكان، وبالتالي ساهم ذلك في توطينهم واستقرارهم بهذه الأماكن.

لقد سمحت الزاوية بضمان انتقال المعرفة وتداولها، وبها تطورت نزعات التصوف في الأوساط الريفية وتمّ تعريب سكان الريف، وهذا لم يتم إلا بوجود نخب علمية أخذت على عاتقها مهمّة نشر الثقافة الدينية واللغة العربية في المجالات الريفية، ولم يكن لهذه المهمة أن تتم لولا وجود الزاوية الريفية، إنّ هذا الاستنتاج تؤكده الدراسة التي قام بها الأستاذ علاوة عمارة بمكتبة معهد اللغات الشرقية بباريس، وذلك أنّه خلال دراسته للمخطوطات التاريخية العربية بهذه المكتبة، وجد أنّ المخطوطات التي تم استقدامها من زاوية الشيخ الحدّاد بصدوق– قرب مدينة بجاية–كلها مكتوبة باللغة العربية، ولا وجود للغة المحلية (الأمازيغية )في أي مخطوط، وهذا دليل على أنّ قرّاء هذه المخطوطات كانوا متمكنين من اللغة العربية ، وهي دلالة واضحة على تعريب كامل للوسط العلمي و انتشار اللغة العربية كلغة عامة في المنطقة بفضل مؤسسة الزاوية[1].

[1]علاوة عمارة،" المخطوطات التاريخية العربية بمكتبة اللغات الشرقية بباريس"،مجلّة اتحاد الجامعات العربية للآداب،1(2009)،ص 50.

## 5-4 أصناف الزوايا الريفية

لقد شهدت مؤسسة الزاوية عدة تطورات على مستوى وظائفها وفي ما يلي سنقف على هذه الأصناف بالاعتماد على الوظائف:

### أ/ الزاوية الريفية الصوفية

وقد سميتها بالصوفية كونها تنتسب إلى طريقة صوفية معينة ،حيث يسلك الملتحق بها أو المريد آداب الصوفية ويتبع الطريقة التي يكون عليها صاحب الزاوية بواسطة عدد من الممارسات أو الطقوس كالمصافحة والمعاهدة ولبس الخرقة، وعلى هذا الأساس يمكن اعتبار كل من زاوية يعقوب بن عمران البويوسفي بملارة (ت717هـ) ،وزاوية أبو مدين شعيب بالعبّاد في المائة السابعة هـ/13م من النمط الصوفي ،كونها على الطريقة المدينية ، ففي حديث ابن قنفذ عن العلاقة التي كانت بين جده يوسف الملاري والفقيه أبي عبد الله محمد المسفر(ت744هـ)،«عاشره ورافقه وصافحه في الله تعالى وعانقه وزار معه الشيخ أبي مدين[1]» ،أمّا زاوية العبّاد فقد توارث خدمتها آل بن مرزوق حيث كان عند أبي العباس بن مرزوق عكاز الشيخ أبي مدين، وقد أعطى جزء منه لجد ابن قنفذ يوسف الملاري، كما كانت عند أبي العباس مرقعة الشيخ أبي مدين التي نزعت عنه بعد وفاته على حسب ظن ابن قنفذ[2].

### ب/الزاوية الريفية الفقهية

تعتبر هذه الزاوية نتاجا لانخراط فئة الفقهاء في سلك التصوف ضمن شريحة الفقهاء-الصوفية ،وفي إطار التوفيق بين الشريعة والحقيقة،كما هو الشأن بالنسبة لزاوية الفقيه أحمد بن إدريس البجائي الأيلولي وزاوية تلميذه عبد الرحمان الوغليسي، فرغم المنحى الصوفي لأحمد بن إدريس القائم على الزهد والعلم والعمل المستوحاة من الفكر الغزالي، والإخلاص على الطريقة المدينية ، والصدقة والإحسان على طريقة أبي العباس السبتي[3]، ومنحى تلميذه الوغليسي الصوفي الواضح في قوله:« ومن الجوارح القلب فيؤمر بالإخلاص في جميع العبادات، واليقين في كل ما يجب الإيمان به، والتقوى والصبر والرضا والقناعة

[1] ابن قنفذ، أنس الفقير،ص54.

[2] نفسه، ص94.

[3] الطاهر بونابي، الحركة الصوفية،ج2،ص 412.

والزهد ،وهو أن يطرح حب الدنيا من قلبه ويرغب في الآخرة[1]»، إلاّ أنّ زاوية كل منهما كانت زاوية فقهية تغيب فيها مظاهر السماع والرقص وطقوس الانتساب، واختصتا بإيواء الطلبة وتدريسهم الفقه والقراءات السبع والعشر واللّغة، كما كانت تقوم بوظيفة الإفتاء ...[2].

**ج/ زاوية ريفية متخصصة في الحفر في القبائل واستخراج الأموال**

وقفنا على واحدة خلال المائة الثامنة هـ/14م، وهي الزاوية التي أسّسها سعادة الرياحي (ت705هـ/1305م) بطولقة (بلاد الزاب)، والتي تعاقب عليها أبناؤه وأحفاده «حيث تعترف لهم أعراب الفلاة من رياح حقا في إجازة من يجيزونه من أهل السابلة[3]» .

**د/ زوايا ريفية جمعت بين وظيفتي التعليم وإضافة الواردين (الإطعام والإيواء)،وقضاء الحاجات**

أي اضطلاع هذه الزوايا بوظيفتي الإطعام والإيواء للواردين مهما كانت صفتهم، وليس فقط لنزلائها من المريدين (الماكثين فيها للتعلم)، وتجَسَّد هذا النوع في كل من زاويتي الملاري والعبّاد كما وضحت سابقا وذلك خلال المائة السابعة هـ/13م[4] ، وزاوية يحي المديوني "أبي السادات" ببني راشد-تلمسان- خلال المائة التاسعة هـ/15م،أمّا خلال المائة العاشرة هـ/16م فقد تجسّد هذا النمط في كل من زاوية سيدي سينا بالبطحاء[5]،وزاوية سيد محمد بن عبد الجبار بتاسالّة[6].

**هـ/الزاوية الملجأ**

ويدخل في هذا النوع الزوايا التي كان يُلجأ إليها للاحتماء زمن الغزو والنزاعات، وكذلك التي يلتجأ إليها هروبا من قطاع الطرق والنشاط الحرابي للأعراب ،وقد وقفنا على هذا النوع خلال المائة التاسعة

---

[1]الوغليسي عبد الرحمان،الوغليسية،مخطوط المكتبة الوطنية بالجزائر، رقم 590، ورقة17.نقلا عن الطاهر بونابي، الحركة الصوفية،ج2،ص413.

[2]أحمد ساحي ،المرجع السابق، ص63.أنظر أيضا، الطاهر بونابي،الحركة الصوفية،ج2،ص617.

[3] ابن خلدون عبد الرحمان، تاريخ،ج6،ص53.

[4]سبق وصنفت الزاويتين ضمن نمط الزاوية الريفية الصوفية وقد وضحت السبب في ذلك ، كما تنتمي أيضا لهذا النمط وفق الوظائف التي اضطلعت بها وقد وضحت ذلك في الحديث عن الزاويتين ضمن عنصر زوايا المجالات الريفية للمغرب الأوسط .

[5] مما تجدر الإشارة إليه أنّ سيدي سينا قام بتوفير 100 خيمة بعضها مخصص لإيواء الغرباء (أي قدومهم ليس للتعلم)لكن جعلتها ضمن هذا النمط لأنّ الخيام كانت كملحقة للزاوية فألحقت هذه الوظائف بالزاوية ربما للكم الهائل الذي كان يتقاطر عليه فلم تسعهم فلجأ للخيام.

[6]أنظر التفاصيل عن وظائف هذه الزوايا في عنصر زوايا المجالات الريفية للمغرب الأوسط.

الهجرية/15م ، وذلك أنّ موضعا كان خاليا وهو في قارعة الطريق وكان القبائل السوالون يقطعون فيه على المسافرين ويجلسون فيه للحرابة، فقام أحد مرابطي العرب ببناء عمارة كبيرة فيه[1]، وجعلها لتأمين الطريق وإطعام المسافرين وعابري السبيل وإيوائهم[2]، فقَطَع تلك المفسدة وأمن الناس شر هؤلاء المحاربين .

**و/ زاوية ريفية جمعت بين التعليم وإيواء الفارين**

وقفنا على هذا النوع خلال المائة السابعة هـ/13م، ويجمع هذا النوع بين وظيفة التعليم وإيواء الفارين من الحروب والفساد، وعلى هذا الأساس يمكن اعتبار زاوية أبي يعقوب بن محمد بن محيو الهواري- بجبال شلف- خلال المائة السابعة هـ/13م من هذا النوع ، فقد كان الولي أبي البيان واضح أحد تلامذة أبي يعقوب وربما يكون ذلك في أوائل المائة السابعة هـ/13م ،أي أن التعليم كان الوظيفة الأساسية للزاوية، كما التجأ إليها الناس بسبب انتشار الفساد فأصبحت كثيرة العمارة، وكان ذلك خلال النصف الثاني من القرن السابع هـ/13م[3]، أي أنّ الزاوية شهدت تطورا على مستوى وظائفها ، وكذلك زاوية أبي البيان واضح فإلى جانب وظيفة التعليم ،فقد كانت ملجأ للفارين ومأوى لهم ،وحسبنا في ذلك أنّ مغراوة فرّوا بخيامهم ومواشيهم إلى زاويته هروبا من أمير بني توجين محمد بن عبد القوي، الذي قدم للثأر منهم لقتلهم ولده زيان..[4]

**ز/ الزاوية الريفية المدرسة**

وهي الزوايا التي تشابهت وظائفها مع وظائف المدرسة من الناحية التعليمية وغابت فيها باقي وظائف الزاوية المألوفة كمساعدة المحتاجين وإضافة الواردين وحماية الفارين ، فارتأيت أن أطلق عليها الزاوية المدرسة ،كونها اضطلعت بوظائف المدرسة من تحفيظ للقرآن الكريم وتدريس للعلوم الدينية وليس فيها للشيخ طريقة معينة، إنّما أسّسها لتحفيظ القرآن وتعليم العلوم الدينية والشريعة والحفاظ على اللغة العربية ، وتنتمي إلى هذا الصنف كل من زاوية سيدي علي أويحي ببوشماخ -بجاية- (ق9هـ/14م)، وزاوية يحي

[1] يمكن أن نطلق عليها رباطا أو زاوية وقد فصلت فيها في عنصر تعريف الزاوية من هذا الفصل.

[2] المازوني يحي ، المصدر السابق ، ج4،ص363، 364.

[3] المازوني موسى،المصدر السابق،ص175، 196.

[4] نفسه، ص145،107.

العيدلي بثمقرة -بجاية-(ق9هـ/14م)،زاوية سيدي أحمد بن علي بالرابطة-جبل المعاضيد-(ق9هـ/15م) وزاوية أحمد بن موسى الإدريسي بجبل بني ورنيد (ق10هـ/15م)-تلمسان-[1].

**زوايا لم نتمكن من إيجاد تصنيف لها (نظرا لغياب المعلومات حولها)**

زاوية سيدي مسعود بقجال_سطيف- ،زاوية سيدي يحي أبهلول بجبال شلف ،زاوية أبي يحي بجبال بيسة-شلف-، زاوية أبي عبد الله فاتح بجبال شلف.

[1] من الصعب التمييز والفصل بين المؤسستين ووظائفهما بدقة .حول هذا أنظر:نلي سلامة العامري،الولاية والمجتمع،ص182-184وص238-243.

## 5-5 الزاوية الريفية وتنظيم الحياة فيها

### 5-5-1 نزلاؤها وكيفية الانضمام إليها

إنّ المقصود بالنزلاء هم الوافدين عليها بصفة دائمة أو لفترة زمنية طويلة ،ونستثني منهم الواردين عليها بصفة مؤقتة ، وبما أنّ الزوايا اضطلعت بوظيفة التعليم كوظيفة أساسية فإنّ أوّل النزلاء بها سيكون جمهور الطلبة أو المريدين، أو كما تطلق عليهم المصادر الفقراء، لكن يبدو أنّ كلمة فقير، تطلق على نزيل الزاوية سواء برسم الزيارة أو للبقاء بها بصفة دائمةّ ،فقد استعمل ابن خلدون في رحلته خلال القرن 8هـ/14م هذا المصطلح للدلالة على نزيل الزاوية «.. وانتهى إلى رباط العبّاد مختفيا في صحبة الفقراء[1]»، كما استعملها للدلالة على الفقهاء نزلاء المدارس والصوفية نزلاء الخوانق (الزوايا) وذلك عند حديثه عن مدارس وخوانق مدينة القاهرة: «فكثرت لذلك المدارس والخوانق بمدينة القاهرة وأصبحت معاشا للفقراء من الفقهاء والصوفية[2]»، أمّا خلال القرن التاسع الهجري/15م فقد استعمل المازوني كلمة فقير للدلالة على الصوفي أو الولي أو الصالح ،ويتجلى ذلك في قوله: «الفقراء صفوة الله من عباده بهم يصون الخلق وببركتهم ينبسط الرزق وبدعائهم تصلح الأحوال...[3]»، في حين استعمل ابن مريم كلمة فقير خلال القرن العاشر الهجري/16م أيضا للدلالة على طلبة العلم النازلين بالزاوية ،ففي حديثه عن الولي محمد بن عبد الجبار الفجيجي يقول:«وكان له زاوية.....وكان قد بنى بيتا للفقراء المريدين ينفق عليهم و يموّنهم وكان قد باع جميع ماله من الأرض أنفقها على المريدين الذاكرين الله لا يفترون عن القراءة والذكر[4]».

إذن من خلال قول ابن خلدون وقول ابن مريم نرى أنّ كلمة فقير لم تعد تطلق على الذي ينزل بالزاوية للتعلم ، وإنّما تشمل نزلاء الزاوية الذين يتخذونها مأوى لهم، ويتجلى ذلك في قول ابن خلدون:«وأصبحت معاشا للفقراء» ،وقول ابن مريم :« ينفق عليهم ويموّنهم »، والنفقة هنا تشمل المأكل والكسوة وغيرها من المتطلبات.

[1] ابن خلدون عبد الرحمان، رحلة،ص 50.
[2] نفسه، ص221.
[3] المازوني موسى، المصدر السابق،ص210.
[4] ابن مريم ، المصدر السابق،ص287.

لا نملك معلومات كافية عن عدد النزلاء بالزوايا لكن هذا مقترن بوظائف الزاوية وحجم المعلم العمراني لها واتساعها ،فإذا كانت للتعليم فإنها تقتصر على فئة الطلبة ، وإذا كانت متعددة الوظائف كالزاوية الملجأ والزاوية التي جمعت بين التعليم وإضافة الواردين فإن صنف النزلاء سيشمل الطلبة والمحتاجين وعابري السبيل وربما المشردين وغيرهم، ونظرا لتعدد وظائف زاوية سيدي سينا خلال المائة العاشرة هجرية/السادسة عشر ميلادية فقد بلغ عدد نزلائها الخمسمائة مريد[1]، ومما تجدر الإشارة إليه هو أنّها الزاوية الوحيدة التي وقفنا على عدد نزلائها، لكن هل كان فقراء الزوايا من فئة الرجال فحسب؟ أم أنها حوت فئات أخرى من نساء وأطفال وعائلات؟ .

جاء في ترجمة الولي أبي يعقوب محمد ابن محيو الهواري (القرن7هـ/13م) أنّ زاويته كانت كثيرة العمارة لالتجاء الناس إليه ،فكلمة "الناس" هنا لا تقتصر على الرجال فحسب، بل تشمل النساء والشيوخ والأطفال ،وما يؤكد أنّ الزاوية لم تكن حكرا على الرجال، حديثه عن مداهمة عبد القوي بن العباس التوجيني للزاوية « وسار بجيشه للزاوية واستلبوا كلّ ما وجدوه حتى جردوا النساء من داخل المسجد»،إذن فحتى الفئات النازلة بالزاوية تتحكم فيها وظائف الزاوية ، كما كانت النسوة تحضرن مجلس تلقين أسماء الله الحسنى الذي كان يعقده الولي أحمد بن يوسف الملياني الراشدي[2]، وهناك من النساء من كانت تخدمه ،فقد ذكر الصباغ أنّ زوجة علي بن زينة الدرجيني كانت من خدام الشيخ أحمد[3].

وبالنسبة لشروط الانضمام للزاوية فليس لدينا معلومات عن ذلك ،خاصة خلال المائة السابعة والثامنة والتاسعة الهجرية/15،14،13م ،فعلى ما يبدو أن الانضمام للزاوية آنذاك لم يخضع بعد للتقنين ،لأنّ معظم الزوايا الريفية كانت مرابطية ولم تكن طرقية ، وحتى وإن كانت تنتمي لطريقة معينة كالزاوية الملارية وزاوية العباد إلا أنّها لم تكن بالطرقية التي صارت عليها الزوايا خلال النصف الثاني من القرن العاشر الهجري/15م وما يتبعها من طقوس، لكن من دون شك أن الشروط الواجب توفرها في المريد هي التوبة إن كان عاصيا والسير على أحكام الشريعة وعدم مخالفتها.

[1] الوزان ، المصدر السابق،ج2،ص28.

[2] الطاهر بونابي، طريقة أحمد بن يوسف، ص400.

[3] الصباغ ،المصدر السابق،ورقة 20 و.

وحول شروط الالتحاق لدينا نموذج يعود لبداية القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي ويتعلق الأمر بزاوية أحمد بن يوسف الراشدي، حيث وضع نظاما سلوكيا طقوسيا خاصا للانضمام إلى طريقته تتمثل محاوره الكبرى في[1]:

**أولا**:إعلان التوبة من قبل المريد وإشهاره بالانتماء للطريقة وإقراره بأهمية الشيخ في الطريق

**ثانيا**: الزهد في الدنيا

**ثالثا**: الخروج عن قاعدة التحلية والتخلية

**رابعا**: التزام طريق الذكر

**خامسا**: الإيمان بتعدد الطرق إلى الله والقيام بواجب الإصلاح الديني والاجتماعي في الوسط القبلي

وللتأكد من استعداد المريد المقبل على الانخراط في سلك الطريقة وقدرته على مواصلة الطريق،كان الراشدي يرتب له مجموعة من المجاهدات ،ويُعَدُّ إعلان التوبة من قبل المريد على يد الشيخ والحاضرين في مجلسه أول خطوة في الانتساب إلى الطريقة الراشدية ، وفيها يعلن عن تركه للمعاصي والإقبال على الله ، ثم يدخل طريق المجاهدة الذي يعتمد على التجرد من ملذات الدنيا والزهد في المال وترك حب الدنيا، وتطهير القلب من الحقد، والعقل من الهوى، ويكون التغلب على هذا بالصيام والقيام ، والذكر بأسماء الله الحسنى لتشغيل اللسان والقلب والجوارح ، وقد اعتمد الشيخ مبدأ الصحبة مع المريد حتى يتمكن هذا الأخير من إتمام هذا الطريق بنجاح[2] .

[1] الطاهر بونابي، الحركة الصوفية ،ج2،ص538.

[2] الطاهر بونابي، "طريقة أحمد بن يوسف الملياني الراشدي بين ثنائية التصوف العرفاني السني والطريقة الصوفية الإصلاحية 9هـ-10هـ/14م-15م"،ص397-398.

### 5-5-2 تنظيم الحياة والعمل بالزاوية

تتطلب الحياة داخل الزاوية التنظيم وحسن التسيير سواء اضطلعت بوظيفة التعليم فحسب أو تعدّدت وظائفها ، لأنها حتى في حالة اضطلاعها بالتعليم فإنها توفر للطلبة الإطعام والإيواء وهذا يتطلب من يقوم بذلك ، وكلّما زادت الوظائف زاد عدد النزلاء ،وبالتالي تزيد الحاجة لمن يقوم بهذه المهام، وكما في كل مرة ليس لدينا معلومات كافية على خدام الزاوية والتخصص في المهام، لكن من خلال بعض الإشارات يمكن الوقوف على تنظيم الزاوية، وكيفية تسيير المهام بها وإلى من أُسنِدت حتى تقوم الزاوية بأدوارها على أكمل وجه .

**أ/ الطلبة (المريدين)**

وهذا ما توضحه رواية صاحب البستان من خلال ترجمته للولي أحمد ابن زكري (القرن9هـ/15م) ،حيث أرسله شيخ زاوية العبّاد محمّد ابن العباس"شيخه" مع بعض الطلبة إلى جبل بني ورنيد لشراء الفحم وجلبه للزاوية[1]، فمن خلال هذه الرواية يتضح قيام الطلبة ببعض أعمال الزاوية خلال المائة التاسعة الهجري/15م

**ب/أهل الولي(صاحب الزاوية)**

جاء في ترجمة الولي أبي يعقوب بن محمد بن محيو الهواري أنّه أتاه فقراء برسم الزيارة ولم يكن لديه ما يطعمهم، فذهب إلى مكان وحفر منه ترابا واقتلع بصل العنصل وأخذه لزوجته وطلب منها إعداد الطعام، فتحول الرمل إلى دقيق والعنصل لحما ففرحت وأعدّت الطعام وحمدت الله وشكرته...،إذن نرى أنّ مهمة الطبخ في الزاوية كانت من مهام الزوجة خلال المائة السابعة هـ/13م، ووقفنا خلال المائة العاشرة هـ/16م أيضا على قيام الزوجة بمهمة إعداد الطعام داخل الزاوية ، وذلك أنّ الولي سيدي محمد بن عبد الجبار الفجيجي محمد أتاه ذات مرة زوار من بلاد المغرب وكان ذلك في عام مسغبة، ولم يجدوا عنده طعاما

[1] ابن مريم،المصدر السابق، ص40.

فقالت له زوجته :«ما عندنا ما نطعم الضياف وهم ركب عظيم ما كان ما يغديهم[1]»، فعلم الزوجة بنفاذ الطعام دليل على أنّها هي الموكلة بمهمة الطبخ وإعداده للواردين.

**ج/الناظر والخدم**

وقفنا على هذه المهمة خلال القرن الثامن الهجري/الخامس عشر الميلادي،حيث يذكر ابن مرزوق(ت781هـ) أنّ زاوية العباد كانت لنظر عمّه، ويبدو أنّ مهمة النّاظر هنا تتعلق بتسيير شؤون الزاوية وما يتعلق بها من النظر في حاجيتها المادية، ومراقبة اللازم منها، والسهر على توفيرها، وبعد تحديد هذه المتطلبات يقوم بتكليف الخدم المخصصين لجلبها، ولا يقتصر دور النّاظر على التسيير المادي للزاوية فحسب، بل حتى التسيير المعنوي (الروحي) أو ما يمكن أن نطلق عليه اسم المشيخة كان من اختصاصات الناظر، وهو ما نستشفه من حديث ابن مرزوق:« دخلت إلى زاوية العبّاد وكانت لنظر عمي رحمه الله عز وجل، فقال لي الخدم: طلب مني خديم الشيخ كذا من الدقيق وكذا من الإدام، فاستكثرت هذا وقلت: ألزمتني كلفة هذا الشيخ وأتباعه[2]»، فالشيخ هنا هو "عمّه" أي ناظر الزاوية، وقد أخبر الخدم بالمتطلبات الناقصة الواجب جلبها ،وفي قوله" الشيخ وأتباعه" يعني أنه مكلف بمشيخة الزاوية وأتباعه هم المريدين، ومن هنا نرى أنّ مهام الناظر تجمع بين التسيير المادي و التسيير الروحي للزاوية .

كما كان بزاوية سيدي التواتي خدّام لكن الورثيلاني لم يوافينا بطبيعة الأعمال التي كان يقوم بها هؤلاء الخدّام[3]،لكن من دون شك أنّهم مكلفون بالتنظيف والطبخ وجمع الحطب، وشراء ما ينقص الزاوية، وغيرها من لوازم الزاوية.

**د/المقدم:**

وقفنا على هذه المهمة من خلال إحدى الوثائق التي تعود إلى بداية القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، وبالتحديد سنة 931هـ، وقد كتبت من طرف القاضي أبي العباس أحمد بن محمد والذي

[1] ابن مريم ، المصدر السابق ،ص288.

[2] نفسه،ص211.

[3] الورتيلاني، نزهة الأنظار،ص27.

اختار أبا عبد الله محمد بن إدريس ليكون مقدما على زاوية قجال، ويبدو أنّ المقدم يقوم بمهمة التعليم وفق الطريقة الصوفية للزاوية ،كما له حق التصرف وتسيير الممتلكات الموقوفة عليها وهذا ما جاء في الوثيقة:

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله علي سيدنا محمد هذا ظهير كريم و ( )( ) شرف الله قدره وأعز أمره وأسعد زمانه المبارك وعمره، يستقر بحول الله تعالى وقوّته بيد الشاب الخير والأسنى الأسمى الحضي المرعي أبا عبد الله محمد بن الشيخ الصالح البركة المقدسالمرحوم سيدي إدريس بتقديمه على زاوية قجال وما كان ( ) بقريتها ونسب إليها من الأحباس والشركاء و ( ) على( ) وتماجور المعروفة والطريقة المألوفة المتقدمة للشيخ سيدي إدريس المذكور وأوكله وذريته وأسلافه بحيث لا يخرق عليه خارق ولا ينازعه منازع ويستمر إلى الديس ومن قائله ذلك على الدّوام( )( )( )( ) الشركاء في العرض والحال والشأن والحال وعليه وهو يتقوا الله العظيم( )( ) والنسج على منوال الرسالة والله تعالى يوفقه ويسره ويحفل به ذكره وكتب عن أهل الإمام المجاهد أبي العباس أحمد بن محمد القاضي أيده الله بنصره وأمن بمعونته الله ويسمى بتاريخأواسط شوال بل ذي القعدة من عام أحد وثلاثين وتسعمائة عرفه الله( )[1].

[1] وثيقة بمكتبة زاوية قجال بسطيف غير مرقمة

## 5-6 آليات تمويل الزوايا بأرياف المغرب الأوسط

يتطلب صمود الزاوية واستمرارها وجود مداخيل قارة ومنتظمة تضمن عملها وديمومة نشاطها، لذا حرصت السلطة من جهة ،وعامة الناس من جهة أخرى على توفير ما تحتاجه هذه المؤسسة عبر عدة طرق تنوعت بين مصادر قارة كالأحباس، ومصادر متواترة أو منتظمة كهبات السلاطين وأعطياتهم[1]، أو عائدات النشاط الفلاحي، بالإضافة إلى هبات العامة من الناس والتي تعرف بالفتوح والنذور، وهي وإن كان الهدف الظاهر منها المساعدة في التمويل لضمان الاستمرار إلاّ أنّ الهدف الخفي هو التماس بركة الشيخ والاعتقاد والتسليم فيه.

### 5-6-1 الأحباس أو الوقفيات:

بدأ تطبيق إقطاع الأراضي والبنايات وغيرها من الأملاك وتحبيسها على المؤسسات الصوفية في المشرق الإسلامي خلال العصر الأيوبي، وقد شجع الأيوبيون هذه السياسة وأصبحت ممارسة منتظمة على عهد الدولة المملوكية[2] ،أما بالنسبة للمغرب الأوسط فإن هذه الظاهرة تعود إلى القرن الخامس هجري حسب ما تؤكده الوثيقة الموجودة في مكتبة زاوية قجال والتي تعود إلى سنة 1233هـ/1817م، وممّا احتوت عليه الوثيقة «...حامله السيد محمد الصغير بيده أراضي قطعت له من أمراء القرن الخامس تمليكا وحبست عليهم حبسا على أعقابهم وأعقاب أعقابهم ..[3]».

فالأحباس هي مجموع الممتلكات العينية والنقدية من _أراضي ،طواحين ،حمامات ،محاصيل زراعية ،كراء المنازل أو الحوانيت_التي يحبّس مالكها مدخولها الاقتصادي على زاوية أو خانقة، ويوقفه على المتصوفة ليتم الصرف عليها أو الاعتناء بها نظرا لأنّ المتصوفة يقيمون بها ،ويكتسب هذا الوقف صبغته القانونية من خلال تسجيله في وثيقة وقفية، حيث يتم جرد الممتلكات التي يتشكل منها الوقف

[1] إنّ الدعم الرسمي الذي منحه السلاطين للطرق الصوفية غير في البنية الاقتصادية المعتادة للمؤسسات الصوفية، ولعلّ الهدف من هذا هو رسم صورة ورعة للسلطان لإضفاء المشروعية على حكمه من جهة ،وتحويل جزء هام من الشعبية التي أوجدتها الطوائف الصوفية في وسط الساكنة لصالحه من جهة أخرى.أنظر:فرانسيسكو رودريغز مانياس ،"عودة إلى الجدل بين المتصوفة والفقهاء في العصر الوسيط انتقاء آليات تمويل الطوائف الصوفية "،تر:محمد الشريف،مجلّة المناهل،91،92(2012)،ص250.

[2] فرانسيسكو رودريغوز مانياس ،المرجع السابق ،ص256،257.

[3] وثيقة مخطوطة لصالح مكتبة زاوية قجال ،غير مرقمة ،كل الوثائق والمخطوطات الموجودة بالزاوية موضوعة عشوائيا .

والمساعدات المخصصة للشيخ والمريدين وللقيمين على الزاوية وغيرهم من المقيمين بالمؤسسة الصوفية (عابري سبيل، عجزة ،مسافرين)[1]، وقد تتضمن الوثيقة اسم الشيخ المفَوّض له تسيير شؤون الزاوية، بالإضافة إلى ذكر الأجيال التي لها حق الانتفاع من التحبيس، ويمكن أن تتضمن الوثيقة إشارة إلى عدم الاشتراك في منافع الوقف(لا يشاركه أحد في هذا الانتفاع) مثلما سنراه لاحقا في ظهير لصالح زاوية قجال يعود إلى القرن التاسع الهجري/15م.

وممّا لا شكّ فيه أنّ وثائق الأحباس لها أهمية بالغة في معرفة تاريخ المغرب الأوسط وفي إعادة تركيب مشاهده الجغرافية، إلاّ أنّ الموجود منها قليل جدّا بحكم عبث الزمن بها ،كما أنّ أوقاف الزّوايا بصفة خاصة لم تعرف تطورا ملحوظا في الوسط الريفي عكس ضواحي المدن والجهات القريبة منها، والتي تحوّلت معظم الأراضي بها إلى أوقاف خيرية .

ويرى الباحث ناصر الدين سعيدوني أنّ السبب الذي حدّ من توسع أوقاف الزوايا بالريف، هو كون المجتمع القبلي قائم على اقتصاد تكاملي معيشي، وكان يتكفل بخدمة الزاوية ويلبّي مطالبها، ممّا سمح ببقاء أغلب الأراضي الزراعية والأملاك العقارية ملكيات فردية لأفراد القبيلة، أو ساهم في ترك مساحات مشاعة بدون استغلال لتلبية الحاجات الجماعية للقبيلة من رعي وزراعة وجمع للحطب، بالإضافة إلى اعتبار الكثير من المرابطين أنّ الأراضي الزراعية الموقوفة على الزاوية ملكية خاصة للأسرة، هذا ما حوّل أملاك الزوايا وأصبح بمثابة (إقطاع لشيخ الزاوية وعقبه )، فقلّة الظهائر الوقفية وغيابها وقف حائلا دون معرفة أوقاف الزّوايا وأنواعها[2].

وكما سبق وأشرت إليه فإنّ أوّل تحبيس على الزاوية الريفية بالمجال الريفي للمغرب الأوسط يعود إلى القرن الخامس الهجري/11م، وهو تحبيس لصالح زاوية قجال بنواحي سطيف ،وهو ما يؤكده نص الوثيقة التي تعود إلى القرن الثالث عشر الهجري /التاسع عشر الميلادي، وبالتحديد سنة 1233هـ، ويتبيّن من نص الوثيقة أنّ السيد محمد الصغير كتب إلى الفقيه محمد المكي بن محمد الصحراوي لينظر له في مسألة

[1] فرانسيسكو رودريغوز مانياس ، المرجع السابق،ص 257.

[2] ناصر الدين سعيدوني، "مؤسسة الزوايا في الجزائر العثمانية (نموذج بلاد القبائل)"،بحوث المؤتمر الدولي حول العلم والمعرفة في العالم العثماني ،بمناسبة الذكر 700 على قيام الدولة العثمانية ،12_15أفريل/نيسان 1999، نشر مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باستانبول ،دط،دت، ص56.

صنع أرحية على واد ببقعة الأرض المحبّسة على الزاوية، حيث جاء قوله كالتالي: «...حامله السيد محمد الصغير،أراضي أقطعت له من أمراء القرن الخامس تمليكا وحبّست عليهم حبسا مؤبدا على أعقابهم وأعقاب أعقابهم، وكلّما أتى سلطان جدَّدَ لهم على مقتضى ما بأيديهم، وسلاطين محروسة الجزاير وأمراء قسنطينة وقضاتهم، ثمّ إنّ بعض سلفه منهم أبوه خصّص بعض زاويته بأراضي وكتب لبعضهم أنّه وضع يده على هذه البقعة ليصنع بها أرحية على وادٍ بها ،فمن خُصَّ بأرض سنين صار الآن يدعيها ملكا له كالأرحية وغيرها وبعضهم يدعي.... وبعضهم يدعي الشرا وبعضهم يدعي الحوز بعد الإقطاع، وبعدما تقرّر ما ذكرت أجبتُ بأنّ هذه الأراضي المحبسة على معنيين .....لا تباعُ ولا توهب وخصّ بن عرفة الحبس على أنّه ....إعطاء منفعة شيء مدة وجوُدِهِ لازِمٌ بقاؤه في ملك مُعطيه .....قال هذا وأعلم به كاتبه أواسط شعبان المعظم قدره من عام 1233 ثلاثة وثلاثين ومائتين وألف محمد المكي بن محمد الصحراوي وفقه الله بمنّه آمين[1]».

إذن نلاحظ تمتع الزاوية بظهائر أميرية تحمي أوقافها وتصونها منذ فترة مبكرة[2]، كما أنّ ظاهرة التحبيس لم تقتصر على أمير واحد ،بل تعاقبت بتعاقب الأمراء ،بالإضافة إلى توارث الأجيال الانتفاع بهذا التحبيس من جيل لآخر.

وقد لاقت هذه الزاوية اهتماما من طرف السلطة الحفصية هذا ما جعل الأمير الحفصي أبو زكرياء يحي يحبس عليها العديد من الأراضي من خلال إصداره لظهير نصه كالآتي:

بسم الله الرحمان الرحيم

كمل بحمد الله تعالى وقوته للمرابط المكرم المحترم الجليل والأحسب الأصيل المقرب الملحوظ أبي عبد الله محمد بن الشيخ الأقدس الأكمل الأفضل الأزكى المنعم المرحوم أبي علاء إدريس بن الشيخ الأصلح المبارك الأتقى العابد المتبرك به المرحوم أبي عبد الله محمد مسعود أكرمه الله أدام توفيقه ونهج إلى كل طريقة حكم ....الغني الذي بيده (البلاد) .....باسم والده (جميع الأملاك الموقوفة ) المسمّات بعد و هي :بوعنجة والداموس من الجرموع والبسيط (المحاذي لها) المعروفة بالعين البيضاء بوطن بني....و وادي مكة

[1] وثيقة بمكتبة زاوية قجال غيرمرقمة وغير معنونة.

[2] عبد المالك بكاي، المرجع السابق،ص 303.

التمتع بجميع المنافع والفوائد و الوظائف والعوائد والمغرم والأعشار والأحكار وجميع ذريته في التمتع بها ...له مع ذلك ولا يشاركه في هذا الإنعام أحد من العشر....ليأزر من جميع مطالبها ومغارمها وإجرائه على عادته في الزكاة الواجبة على الماشية والزكاة المذكورة وعشرها بإجرائه على عادته في ... ولا يخرق عليه في ذلك خارق ولا ....عليه...محمولا في جميع ذلك على كاهل البر الجزيل و.....الجميل(المطرد) في كثير من شؤونه والقليل.....على كاهل المحمول الأسنا ويلحظ من أجله على درجات الأكمل والسنا بحول الله تعالى وقسمه وكتب عن إذن الأمير العلي المطاع أبو يحي زكرياء أيّد الله أوامره وخلد مفاخره وجمع له بين حياة الدنيا والآخرة بتاريخ ذي القعدة عام ثمانية وثمانين وثمانمائة.

**تحليل الوثيقة:**

**1_ تقديم الوثيقة:**

الوثيقة عبارة عن ظهير مكوّن من صفحة واحدة وهي النسخة الأصلية مؤرخة بتاريخ ذي القعدة عام ثمانية وثمانين وثمانمائة هجري ،كتب بإذن من الأمير الحفصي أبو يحي زكرياء .

ل اشك أنّ هذه الوثيقة تتضمن معطيات جديدة عن ريف المغرب الأوسط الحفصي وبالتحديد منطقة قجال ،كما تطرح تساؤلات حول مؤسسة الأحباس وعلاقة السلطة الحفصية بها، وتمثل هذه الوثيقة الإشارة الوحيدة حاليا عن تحبيس عقار من طرف السلطة الحفصية على معلم ديني بأحد المجالات الريفية للمغرب الأوسط.

**2_ محور التحبيس:** بوعنجة، الداموس من الجرموع والبسيط (المحاذي لها) المعروفة بالعين البيضاء ووادي مكة.

ويعتبر نص تحبيس هذه المناطق أقدم إشارة إلى اسم هذه الأماكن.

**3_ما ينتفع به من هذه الأراضي:**

أي وجوه الانتفاع التي قصدها صاحب الوثيقة وهي محدّدة بمصطلحات متداولة آنئذ في قوله: (المنافع والفوائد والوظائف والعوائد والمغرم والأعشار والأحكار)، ونلاحظ هنا أنّ بعض هذه المصطلحات قد تكون مفهومة لكن بعضها الآخر قد يستند إلى معاني قديمة كانت متداولة.

### 4_ الجهات المستفيدة

الجهات التي قصدها صاحب الوثيقة بأنها الجهة التي ستستفيد من المنافع والفوائد والوظائف والعوائد والمغرم والأعشار و الأحكار، منصوص عليها بدقة متناهية في شخص أبي عبد الله محمد بن الشيخ أبي علاء إدريس بن أبي عبد الله محمد بن مسعود وجميع ذريته.

### 5_ علاقة سلاطين بني حفص بشيوخ الزاوايا:

من دون شك أنّ الوازع الديني كان وراء اهتمام السلطة بعملية التحبيس على المؤسسات الدّينية بما في ذلك الزوايا ،لكنه لم يكن الدافع الوحيد فقد كان السلاطين بحاجة إلى كسب ولاء أهل هذه المنطقة أين تنتشر القبائل المتقلبة والمناوئة للسلطان تارة والمعارضة تارة أخرى، كونها تتوسط كل من سطيف ونقاوس كما أنها مدخل بلاد الزاب، فكان السلاطين بحاجة إلى من يضفي الشرعية على حكمهم، «فالأمير أو السلطان أو الخليفة بالرغم من أنه زعيم ديني لكنه لم يكن أبدا شخصا مقدسا فهو لا يتمتع بأي كاريزمية تذكر ، هذا ما جعل سلطته ضعيفة وقابلة للجرح[1]» .

من خلال الظهير نلاحظ أن الأمير الحفصي حبّس عدّة أراضي لصالح هذه الزاوية وأعطى لشيخها ولذريته حق الانتفاع بها حيث لا ينازعه في ذلك أحد ،وهذا ما يؤكد انتقال مشيخة الزاوية وتوارثها بين الأجيال، فتحبيس هذه الممتلكات وجعلها تحت سلطة دينية مقدّسة وهي سلطة الولي سوف يحميها من جميع أشكال تداول الملكية سواء بالميراث أو بالبيع والشراء.

[1] حليمة فرحات ، "السلاطين والأولياء والفقهاء ومسألة السلطة" ،تر:عبد العزيز بلقايدة ، محمد الغرايب ، ضمن كتاب السلطة والفقهاء والمجتمع في تاريخ المغرب الائتلاف والاختلاف، أعمال تكريمية مهداة للأستاذ أحمد عزاوي،دط، 2013م،ص61، 63.

وقد كلف الأمير الحفصي شيخ الزاوية وأعطاه الحق في جباية الزكاة الواجبة على الماشية وزكاة العشر، ومن هنا تبرز مؤسسة الزاوية كظاهرة اجتماعية ودورها في تنظيم المجال الريفي ،كما يتبين لنا دور الإقطاع في تثبيت الزاوية الريفية .

يبدو أنّ هذه الزاوية كانت بالغة الأهمية وهو ما يفسره تمتعها بظهائر تحمي أوقافها منذ القرن الخامس الهجري كما أشرت سابقا وحتى القرن العاشرال هجري/16م ،وهو ما توضحه لنا وثيقة أخرى لكن في هذه المرة ليست موقعة من طرف أمير أو سلطان بل من طرف قاضي المنطقة ونصها كالتالي:

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله علي سيدنا محمد هذا ظهير كريم و ( )( ) شرف الله قدره وأعز أمره وأسعد زمانه المبارك وعصره يستقر بحول الله تعالى وقوّته بيد الشاب الخير والأسنى الأسمى الحضي المرعي أبا عبد الله محمد بن الشيخ الصالح البركة المقدس المرحوم سيدي إدريس بتقديمه على زاوية قجال وما كان ( ) بقريتها ونسب إليها من الأحباس والشركاء و ( ) على( ) وتماجور المعروفة والطريقة المألوفة المتقدمة للشيخ سيدي إدريس المذكور وأوكله وذريته وأسلافه بحيث لا يخرق عليه خارق ولا ينازعه منازع ويستمر إلى الديس ومن قائله ذلك على الدّوام( )( )( )( ) الشركاء في العرض والحال والشأن والحال وعليه وهو يتقوا الله العظيم( )( ) والنسج على منوال الرسالة والله تعالى يوفقه ويسره ويحفل به ذكره وكتب عن أهل الإمام المجاهد أبي العباس أحمد بن محمد القاضي أيده الله بنصره وأمن بمعونته الله ويسمى بتاريخأواسط شوال بل ذي القعدة من عام أحد وثلاثين وتسعمائة عرفه الله( ).

**تحليل الوثيقة**

**1-تقديم الوثيقة**

الوثيقة عبارة عن نص مكوّن من صفحة واحدة وهي النسخة الأصلية وقد كتبت بتاريخ أحد وثلاثين وتسعمائة هجرية من شهر ذي القعدة، وذلك بإذن من الإمام أبي العباس أحمد بن محمد القاضي.

**2-محور الوثيقة:**

تتمحور الوثيقة حول نقطتين: النقطة الأولى تعيين الشيخأبا عبد الله محمد بن الشيخ الصالح سيدي إدريس وتقديمه على زاوية قجال أي تخويل مهام الزاوية إليه ،أمّا النقطة الثانية فهي إعطاء شيخ الزاوية وجميع ذريته حق الانتفاع بجميع الأحباس الموقوفة على الزاوية حيث لا يحق لأحد منازعته في ذلك .

**3-محور التحبيس** نظرا للوضعية الرديئة للوثيقة فإنّه تعذّر علينا قراءة الأماكن المحبسة على الزاوية ،وأمكننا قراءة مكان واحد وهو منطقة تماجور.

وكذلك أولى بنو مرين اهتماما بالأحباس فقد أمر السلطان المريني أبو الحسن ابن مرزوق أن يشتري موضعا يعرف بأوعيشة برسم التحبيس على زاوية العباد[1]، وبالنسبة لسلاطين بني زيان فلم يهملوا هذا الجانب أيضا، فقد كان للسلطان أبي العباس أحمد العاقل عناية بالولي الزاهد أبو علي الحسن بن مخلوف، فكان يكثر من زيارته وبنى بزاويته المدرسة الجديدة و أوقف عليها أوقافا جليلة ،ووجد كثيرا من ربع أحباسها قد دثر ،والوظائف التي بها انقطعت، فجدّد عليها الأحباس ،وأجرى الوظائف على أحسن ممّا كانت عليه قبل ، والجدير بالذكر أنّ الزاوية والمدرسة التي تحدث عنهما التنسي لا أثر لهما اليوم على حدّ قول محقق الكتاب ،لكن من الراجح أن تكون القرية المعروفة اليوم باسم قرية سيدي الحسن بن مخلوف حسب المتواتر عند سكان القرية هي المكان الذي كانت فيه الزاوية والمدرسة لكن لا يوجد أي أثر لهما اليوم[2] ، هذا على حد قول محقق الكتاب.

ولم تكن ظاهرة التحبيس على الزوايا الريفية مقتصرة على السلاطين فحسب ،فقد حبّس بنو راشد أرضا لصالح زاوية سيدي يحي بن محمد المديوني الشهير بأبي السادات ،بل حتى الزاوية كانت من بنائهم لكن ابن مريم لم يعطنا صورة واضحة عن هذا التحبيس ،فقد ذكر أنّ الأرض ببني راشد لكن لم يحدد المكان بالضبط ،كما أنّنا لا نعلم إذا كان ما تنتجه هذه الأرض لصالح الزاوية فقط أم أنّه يتم تقسيم المنتوج بينهم[3].

[1] محمد ابن مرزوق، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن،ص306.

[2] التنسي، المصدر السابق،ص 248،249.

[3] ابن مريم ، المصدر السابق ،ص306.

### 5-6-2 هبات السلاطين

شكلت هبات السلاطين وعطاياهم مصدرا من المصادر التمويلية في إطار الرعاية والإشراف حتى تتمكن مؤسسة الزاوية من ممارسة وظائفها ،وقد اختلفت هذه المساعدات فكانت إمّا عينية، أو نقدية أو إعفاءات من أداء الضرائب ،لكن هذه الهبات كانت تُقابل بالرفض من بعض المتصوفة[1] ،فقد دفع الحاجب الرئيس أبو عبد الرحمان لبعض تلامذة الشيخ يعقوب بن عمران البويوسفي ألف دينار دراهم في اليوم الذي بويع فيه السلطان وقال له: «أعط هذا السيد يعقوب ولا تدفعها له إلا بعد سفره ووصوله إلى زاويته» ،فلحق التلميذ الشيخ والمال معه ،فتغير وجه الشيخ وقال لتلميذه: «ما هذا الشوك الذي معنا في الطريق» ،فقال له:وما الذي معنا :فكرر الشيخ ذلك مرار: فأخبره التلميذ بالمال فأمره بردّه فورا للحاجب فنفّذ التلميذ أمر شيخه ورجع فقال سيدي يعقوب:الطريق الآن نقي[2].

وقد رفض المتصوفة هذه الأعطيات لاعتبارهم أنّ أموال السلطان أموالا مغصوبة وجُمِعت من مصادر لم يُتحرّ شأنها ،وقد اتفق رأيهم مع رأي الفقهاء في هذا المنطلق ،وهو أنّ مال الحكام مال مشبوه بإطلاق، لكنهم تجاوزوا الفقـهاء في توخي الحيطة والحذر من الحرام ولو تعدّدت وسائطه وبعُدَ مصدره[3] ،عاملين بحديث الغزالي في إحيائه « العبادة عشرة أجزاء تسعة أجزاء منها في طلب الحلال[4]»، وفي المقابل هناك من المتصوفة الذين لم يجدوا حرجا في قبول هبات السلاطين للاستعانة بها في تسيير أمورهم ،فقد كانت زاوية سيدي سينا تستغل سهل البطحاء بخيراته دون أن ينازعها في ذلك أحد ،كما أنّ السلطان أعفى سيدي سينا من أداء الإتاوة والضرائب، فهو لا يعطيها لا للملك ولا للأعراب على حد قول الوزّان[5].

---

[1] لم يقتصر رفض المتصوفة على الأموال فحسب بل حتى الطعام المقدم من طرف السلطان ردّه المتصوفة وحسبنا في ذلك أنّ السلطان الزياني أبي حمو موسى بن عثمان قدّم طعاما للولي سيدي أبي عبد الله محمد بن يحي فامتنع من أكله فقال له :أتتورّع عن أكل طعامي ؟ تقول إنّه حرام ،فقال له: ومن أين جاءك الحلال ؟فطلب السلطان من خدمه أن يعلفوا حمارة الولي من شعير المخزن فامتنعت ،فأمرهم بشعير آخر من بعض الأفاضل فعلفته .أنظر : المازوني موسى ، المصدر السابق،ص398.

[2] ابن قنفذ ،أنس الفقير،ص 40،41.

[3] محمد المغراوي ،المرجع السابق، ، ص410.

[4] الغزالي أبو حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين ، دار ابن حزم ،بيروت، ط1426،1هـ/2005م، ص536.

[5] ا الوزان ،المصدر السابق ،ج2، ص28.

وقد كان لجد ابن قنفذ يوسف بن يعقوب عائدات كبيرة للزاوية ،جعلها أكداسا تحت فراشه،حيث فرّق منها في مرضه على المحتاجين من أقاربه ومعارفه ألف دينار دراهم جديدة، و ثلاث مائة دينار ذهبا ،ولم يقتصر على الأقارب فحسب ،بل حتى الزائر له لا يخرج من عنده حتى يعطيه بقدر حاله[1]، ولا شكّ أنّ هذه الثروة كانت من هبات السلاطين وعطاياهم ، فيوسف بن يعقوب الملاري كان عكس والده الذي كان يرفض إمدادات السلاطين وهباتهم كما أشرت إليه سابقا.

### 3-6-5 الفتوح والنذور

شكلت الصدقات أو كما يطلق عليها الفتوح والنذور نوعا من أنواع المساعدات التي كان الناس يتقدمون بها إلى الزوايا، وكانت إمّا عينا أو نقدا، ولم تقتصر هذه المساعدات على الأمور المادية فقط، بل كان الناس وخاصة الضعفاء منهم يقدمون يد العون بخدمة شيخ الزاوية فيقومون بأمور الطلبة وما يحتاجونه.

ومن الأمثلة عن الزوايا التي كانت تتلقى هذا النوع من الدعم زاوية سيدي سينا والتي كانت ترد إليها الصدقات والنذور من مختلف الجهات، حتى أنّه كان يجمع مابين أربعة أو خمسة آلاف مثقال في السنة ، وهذا ما كان يكفيه لإيواء مريديه الذين توافدوا عليه من مختلف الأقطار كآسيا وإفريقيا ، وهناك من يأتي إلى الزاوية طلبا في المؤونة وفي مقابل ذلك كانوا يساعدونه في أشغال الزاوية[2] .

كما كانت زاوية سيدي منصور الجنادي في القرن التاسع الهجري/15م، والتي تحمل اسم مؤسسها بدشرة تميزار تلقى الدعم من طرف عرش آيت جناد، حيث كانوا يخدمونه في أمور الزاوية ولا يخالفونه أبدا[3]، أمّا زاوية سيدي أحمد بن إدريس بأيلولة فهي الأخرى يأتيها الناس بالصدقات التماسا لبركة الشيخ[4] ،وبعد وفاة سيدي أحمد بن إدريس سنة 760هـ تحوّلت الزاوية إلى إشراف أسرة أوّاقون والتي أقرّت نظاما محكما بها ،قُسِّم بها الطلبة وفقا لهذا النظام إلى مجموعتين الأولى مواظبة على التعلم والحفظ وقراءة القرآن

---

[1] ابن قنفذ ، أنس الفقير، ص45.

[2] الوزان، المصدر السابق، ص 28،29.

[3] ناصر الدين سعيدوني ، المرجع السابق ، ص 58.

[4] مفتاح خلفات ، العلاقة بين الصوفية والمجتمع ببجاية خلال العصر الوسيط ،أعمال الملتقى الدولي حول بجاية مدينة التاريخ والحضارة (بجاية 30و31أكتوبر 2012)، جامعة عبد الرحمان ميرة ،بجاية ،2013م،ص53.

وتفسيره عرفت باسم "طلبة اللوح" ،أمّا المجموعة الثانية فكانت مهيأة لخدمة الزاوية وموجّهة لتوفير الماء والخشب و المؤونة، وهذا نوع من المساعدات لضمان السير الحسن للزاوية واستمرار نشاطها[1].

### 5-6-4 عائدات النشاط الفلاحي

هناك العديد من الزوايا الريفية التي ارتبط تمويلها بالأراضي التابعة لها ،والتي كانت تضمن لها تغطية حاجياتها دون اللجوء إلى مصادر أخرى[2]، فقد كان لزاوية سيدي يحي المديوني عائدات كثيرة من الأرض التي حرثها له بنو راشد «حيث حرثوا له تويزة كل مضمد يأتي بثوريه و زريعته وخمسمائة مضمد أو أزيد إلى زمان الصيف فحصدوا له ذلك الزرع وخزنوا منه مطامير كثيرة[3]»،فبالإضافة إلى المساهمة المادية فإنّ خدمة الأرض كانت من طرفهم حرصا منهم على استمرارية الزاوية ،كما أنّ عمليّة التخزين كانت احتسابا لأي طارئ كزمن القحط أو الحروب، وبالتالي الحرص على استكمال الوظائف مهما كانت الظروف ، ومن هنا يتضح لنا ما وصلت إليه مؤسسة الزاوية من استقلال زراعي والذي يضمن لها استكمال مسارها دون أي عراقيل .

و قد كان للولي عبد السلام التونسي أرض يعمل بها قرب رابطته بالعبّاد، ولا شكّ أنّ هذه الرّابطة كانت تسيّر أمورها من هذه الأرض والتي كان واقفا عليها بنفسه[4].

وبالنسبة لزاوية سيدي سينا فقد ساهم سهل البطحاء الخصيب كثيرا في دعم هذه الزاوية، بل كان أساس بنائها وثباتها، فبعدما أمر سيدي سينا أتباعه والذين كان عددهم قليل بحرث هذه الأراضي، كثرت ثروته وتزايدت ماشيته وأبقاره، وأصبحت هذه الأراضي تعطي كميات هائلة من القمح وصلت إلى 8000كيل (رودجي) من القمح في السنة، وهو ما يلبي حاجيات المريدين الذين تضاعف عددهم، وقد كان هؤلاء هم الذين يخدمون هذه الأراضي .

---

[1] ناصر الدين سعيدوني ،المرجع السابق ،ص57.

[2] يرى الأستاذ بونابي الطاهر أنّ هذا العمل الزراعي الجماعي في العقود الأولى من القرن التاسع هجري لم يخرج عن دائرة التويزة ثم ما لبث أن صار الإطار المفضل لتوفير متطلبات العيش لهؤلاء المزارعين في إطار حرم يكفل لهم عدم ضياع جهدهم تحت طائلة النشاط الحرابي ،والذين سيرضون بقاعدة الخمس المضمون والمحمي من طرف الزاوية ويفضلونه على ممارسة الزراعة في أطر أخرى.أنظر:الطاهر بونابي، الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين 14-15م،ج2، ص630.

[3] ابن مريم ، المصدر السابق ، ص306.

[4] نفسه، ص 108.

أمّا زاوية سيدي يحي العيدلي بثمقرة فكان مصدر تمويلها زرع له "بأمالو"[1]، ومن دون شك أنه كان له مزارعين يتولون خدمة هذه الأرض بحكم أن أمالو بعيدة عن ثمقرة، وبالتالي لا يمكنه تولي شؤون الزاوية وخدمة الأرض في نفس الوقت.

من خلال هذه النماذج يتضح لنا مدى بسط مؤسسة الزاوية لنفوذها على جموع المزارعين[2]، والذين كانوا من فقراء الزاوية أو من خارجها، كما هو الحال لزاوية سيدي سينا والذي يوضحه الوزان في قوله: «...يتقاطر عليه جمهور غفير من النّاس يطعمهم جميعا لكنّهم يساعدونه في أشغال الزاوية[3].

[1] الورثيلاني، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، ص10.

[2] محمد حسن ،المدينة والبادية، ج1،ص377.

[3] االوزان ، المصدر السابق ، ج2، ص28، 29.

### 5-7 الحرم الصوفي بين الوظيفة والقداسة

عرفت المجالات الريفية للمغرب الأوسط انتشار ظاهرة حرمة الأماكن المقدسة ،فقد أصبحت لها وظيفة الحماية والإنقاذ، حيث أنّه لا يجرؤ أحد على المساس بها والتعرض لها وإلا تلحقه العقوبة لا محالة ،وقد استغل المجتمع هذا المعتقد في خدمة مصالحه وتسيير أموره، ومن المظاهر التي تعكس لنا هذا: هروب تجار تلمسان من دفع الضريبة ،وذلك أنّهم كانوا يُودِعون سلعهم بالعباد قرب ضريح أبي مدين ثم يتحايلون في إدخالها إلى تلمسان من غير ضريبة ، كما أنّ البساتين المجاورة لضريح سيدي أبي مدين كانت من البساتين الحُرم التي رفع عنها الخراج[1].

وامتدت هذه الحرمة لتشمل كل ما تعلق بالولي وأملاكه كالأراضي الزراعية ،وكذلك أهل الزاوية ومريديها[2] ، وهو ما نستشفه من الرواية التي ساقها لنا الورتيلاني، وذلك أنّ الشيخ يحي العيدلي كان له زرع "بأمالو" ،فبات فيه جماعة من الناس بخيلهم من غير علمهم بأنه للولي ،فلمّا أطلّ الصباح وجدوا خيولهم ميتة ، فرغم أنّ الولي كان بعيدا عن مكان الزرع إلا أنّ المساس بشيء يخصه جعل العقوبة تحل فورا ، ونفس الشيء نقله لنا ابن مرزوق حيث أنّ أحد السّراق دخل إلى جنان جدّه محمد فالتصقت يده بالفاكهة ،ولم يستطع الخلاص وبقي على ذلك إلى أن ارتفع النهار وأتى الشيخ وأعلن توبته أمامه[3]، كما أورد رواية أخرى عن عامل تلمسان يحي بن العطار الذي أراد أن يهدم العباد بدءا بروضة سيدي أبي مدين ، فمات شر ميتة حيث قذفه السلطان أبي تاشفين في المنجنيق أثناء الحصار المريني لتلمسان، فحلت به العقوبة لتجرئه على حرم الولي أبي مدين[4].

ومن النصوص التي صوّرت لنا امتداد الحرمة لكل ما تعلّق بالولي وحلول العقوبة بانتهاكها، ما نقله لنا ابن مريم على لسان شيخ بني ورنيد حيث قال له:«ثلاثة قبائل من بني ورنيد من تعدّى عليهم في مال أو أرض أو زرع أصابته عقوبة عاجلة وهم أولاد سيدي حمزة المغراوي وأولاد عدّو وأولاد بليسغ (أولاد

---

[1] ابن مرزوق، المناقب المرزوقية ،ص228.

[2] أكّد موسى المازوني عن امتداد هذه الحرمة بقوله:«وكثير من الفضلاء نصبهم الله لقضاء حوائج المخلوقات وصان بسببهم الدّماء والحريم وكفّ بسببهم أيديهم عن أخذ أموال الناس ،وبسط حرمتهم على قرابتهم و ذراريهم وجيرانهم وتشرّف لأجلهم مماليكهم ،فيقال:هذا مملوك سيدي فلان أو جاره أو خديمه ....و يستصحب وقاية ستره وبره وإنعامه على عقبه وأهل محلته ولا يسلبه شيئا من ذلك مالم يأخذوا في المثالب ويتلبسوا بالنقائص و المعايب....وقد تبقى حرمة الولي بعد موته على ذريته فضلا من الله ونعمة مثل الجدار الذي أقامه الخضر صانه الله ببركة صلاح أبيهما ». أنظر: المصدر السابق، ص203.

[3] ابن مرزوق، المناقب المرزوقية،ص163.

[4] نفسه، ص229.

سيدي أحمد بن الحاج)[1]»، وفي رواية أخرى له أنّ عجولا صغارا من دوّار الولي محمد بن عبد الرحمان المعروف بالأدغم السويدي دخلوا زرع أحد العرب، فلمّا وجدهم قتلهم جميعا ،فحلّت العقوبة بالأعرابي فورا حيث أنه صار ينتفخ ويصيح ارفعوني للأدغم حتى خرجت روحه[2]، وذكر ابن الصباغ عن الولي أبو عمران موسى وهو من قرية لواتة أحد مداشر هوارة، وقد كان معاصرا للولي أبي مدين شعيب ،أنّ حرمته على ذريته باقية مستمرة ما قصدهم أحد بسوء إلاّ عجّل الله عقوبته في الحال ،على الرغم ممّا هم عليه من سوء الحال إلاّ أنهم يُحترمون لأجله[3].

لقد نقلت لنا كتب المناقب وظيفة الأماكن المقدسة ودورها في صدّ العدوان وحلول العقوبة عند انتهاكها، منها الرواية التي أوردها موسى المازوني، وذلك أنّ عبد القوي بن العباس أمير بني توجين سار بجيشه إلى زاوية الولي أبي يعقوب بعدما علم أن ذخائر مغراوة صارت هناك، وأخذ كل ما فيها، وما إن كان في طريق عودته حتى أصابه وجع شديد ومات[4]، ونفس الشيء حدث لابنه محمد مع الولي أبي البيان واضح ،فقد نزل بوادي رهيو فارعوى الناس منه وفرّوا إلى زاوية الشيخ أبي البيان بخيلهم ومواشيهم مستجيرين به لائذين بحرمه، فدعا الله أن يصرف سوءه عنهم، فأصيب أمير بني توجين بوجع كاد يموت منه لولا أنه تراجع عن هذه الإغارة[5]، ويذكر الصباغ أنّ زاوية شيخه أحمد بن يوسف كانت مقصودة للتحصن من الخوف وطلب الأمان، وفي هذا المضمار نقل لنا كلام شيخه أحمد بن يوسف وهو قوله: زاويتنا مثل سفينة نوح من دخلها كان آمن[6].

كما شملت هذه الحرمة قبور الأولياء حيث أصبحت سلاحا فعّالا في صدّ العدوان في أوقات النهب والخوف، فقد ذكر المازوني أنّ الناس في منطقة شلف كانوا يعتصمون بقبر الولي أبي البيان واضح في أوقات النهب والخوف بحرمه فلا يرون ما يسوؤهم،كما ذكر أنّ أهل مازونة يتبركون بقبر أبي يعقوب بجبل بني حلوان ويلجئون لحِماه في أوقات النهب والفساد وشنّ الغارات على أهل هذه البلاد، فلا يريهم

[1] ابن مريم، المصدر السابق، ص94.
[2] نفسه،ص289.
[3] ابن الصباغ، المصدر السابق، ورقة 54 و،ورقة55ظ .
[4] المازوني موسى، المصدر السابق، ص197، 198.
[5] المصدر نفسه، ص145-146.
[6] ابن الصباغ، المصدر السابق،ورقة 32و، ورقة 79ظ .

الله سوءا[1]، وفي هذا المنحى يقول:« وممّا وجدت صحّته بالتجربة أنّ كثيرا من المكروبين والملهوفين إذا استغاثوا بصالح ولو كان ميتا في دفع ما أهمهم من المصائب يذيقهم الله برد الإجابة[2]».

ومن الأماكن التي كانت حاضرة بقوة في ثنايا النصوص المنقبية واتسمت بالقداسة نجد الجبل، فقد تموقع كمعلم بارز في المشهد العام للعمل الصوفي،حيث يؤدي دورا أساسيا في العملية الدينية و التمظهر الصوفي[3]، وقد كان أحمد بن الحسن الغماري «كثيرا ما يتردّد في الساحل وجباله متبتلا فيها للعبادة [4]».

ويكتسب الجبل صفة القداسة من خلال حلول الولي به ، سواء استقر به من خلال بناء زاوية أو نوالة أو غيرها ،أو من خلال جعله مكانا للاعتزال والخلوة يتعبد فيه ثم يعود لبيته ،أو من خلال دفنه به بعد موته، فقد بنا الولي أبي البيان واضح خويمة بآزور قبلة جبل وافرشان فكان يتعبّد فيها وفي كهف هناك إلى أن اشتهر أمره، وتسميها قبيلة مكناسة تاعشوشت[5] ،كما كان أبو زكرياء يحي بن علي الزواوي «كلما أهَلّ هلال رجب انقطع في جبل رجراجة إلى أن ينصرم شهر رمضان [6]»، وقد اكتسى جبل العُبّاد صفة القداسة وذياع الصيت من خلال تشريفه بجثمان الولي أبي مدين شعيب، فقد أصبح مزارا للتبرك وطلب الدعاء حيث يستجاب عنده، وقد جرّب ابن قنفذ ذلك خلال عودته من رحلته من المغرب إلى قسنطينة[7].،كما أنّ جبل فوّة أخذ نفس منزلة الولي سيدي عبيد الذي كان مقيما به ،فالأهالي يحترمونه ويحترمون حتى الغابات والحيوانات التي تعيش هناك على حدّ قول فيرو[8].

[1] المازوني موسى، المصدر السابق،ص286،175،174.

[2] نفسه،ص204.

[3] أمال لدرع، الحركة الصوفية،ص249.

[4] ابن مريم ، المصدر السابق، ص31.

[5] المازوني موسى، المصدر السابق، ص107-108.

[6] ابن الزيات ، المصدر السابق، ص428.

[7] ابن قنفذ، أنس الفقير ، ص105.

[8] Charles Fereau ,op:cit , p466 .

أنظر أيضا: Trumelet Corneille ,op:cit ,p238 .

## الفصل الرابع : مجتمع الأولياء في المجالات الريفية: العلاقات والأدوار

### 1/الإنتاج المنقبي في المغرب الأوسط

### 2/الخطاب المناقبي وسلطة أولياء ريف المغرب الأوسط

#### 2_1 الولي ودوره في نصح وإرشاد السلاطين

#### 2_2 الولي مستشار سياسي

#### 2_3 الولي وسيط "دبلوماسي"

#### 2_4 الولي وسيط و شفيع بين الناس والسلطة السياسية

#### 2_5 الولي ودوره في تثقيف سكان المجال الريفي

#### 2_6 الولي ودوره في التأمين ضدّ اللصوص وقطع الطرق

### 3/ الحضور الكرامي للأولياء في أرياف المغرب الأوسط

#### 3_1 تقويم السلوك الأخلاقي

#### 3_2 محاربة الابتزاز الجبائي

#### 3_3 نبذ الظلم ومحاربة الاستبداد

#### 3_4 تسريح المسجونين والانتصاف للمظلومين

#### 3_5 تحقيق الأمن

أ/ إفشال الغزو

ب/استرجاع الأشياء المسلوبة

#### 3_6 نزول الغيث وسقاية الزرع

#### 3_7 توفير الطعام

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

3_8 التوسعة على المكروبين

4/ آليات السيطرة الكاريزماتية

4_1 الدعاء

4_2 المكاشفة

4_3 الخوف

5/علاقة متصوفة الأرياف بالسلطة السياسية والدينية

5-1- علاقة المتصوفة بالسلطة

أ/ أوجه المعارضة السلمية للمتصوفة

ب/ سياسة السلطة تجاه المتصوفة

5-2- علاقة المتصوفة بالفقهاء

أ/ أوجه التقارب والتضامن النفعي

ب/ أوجه الصراع وأشكاله

6/ الطقوس والممارسات في الأوساط الريفية

6_1 الطقوس والممارسات الشفائية

أ/ المسح

ب/ التنقل

ج/ الرقية

6_2 طقوس وممارسات تعظيم الأولياء

أ/ زيارة القبور

ب/ تقديس آثار الأولياء والاعتقاد فيها

ج/ تقبيل اليد أو الرأس أو الرجلين

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

## مجتمع الأولياء العلاقات والأدوار

### 1/ الإنتاج المنقبي[1] في المغرب الأوسط

لا يمكن للباحث في تاريخ الغرب الإسلامي بصفة عامة والمغرب الأوسط بصفة خاصة خلال الفترة الوسيطة أن يقتصر في كتابته على المؤلفات التاريخية التقليدية ،سواء الإخبارية (التراجم ،الطبقات البرامج والفهارس..)، أو الوصفية (الرحلة والجغرافيا)، أو الفقهية (النوازل، الفقه والحسبة)،كونها غير كافية وتغيب فيها سلسلة من الأحداث التاريخية على غرار الأزمات السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي عصفت بالمجتمع بصنفيه المدني والريفي، حتى وإن تطرّقت لها فإنها لا ترصد المشاهد من الداخل، بل تورد الأحداث بنوع من التحفظ، هذا ما جعل الباحث يبحث عن مصادر أخرى تساعده على فهم الوقائع وانعكاساتها، وقد وجد ضالته في ما يعرف بأدب المناقب، كون هذه المادة المصدرية لها دور في كشف زوايا مهمة من الأحداث التاريخية في جوانبها وحيثياتها الاجتماعية، فكتب المناقب كما عبّر عنها محمد العمراني «أقرب إلى قاعدة المجتمع من كتب الإخباريين[2]»، فهي ترصد أوضاع المجتمع والأزمات التي يمر بها من الداخل، وتبحث في عمقها ،كما تعطي حلولا لتجاوزها والتخفيف من حدّتها.

---

[1] لغة :النقب، والمنقب والمنقبة والمناقب وهي طرق الجبال، ورجل نقاب أي نافذ في الأمور ، وذو مناقب وهي المخابر والمآثر، وميمون النقيبة محمود المخير ،وفلان ذو مناقب جميلة أي أخلاق،والنقيبة يمن الفعل ، ورجل ميمون النقيبة مبارك النفس،والمنقبة كرم الفعل، يقال إنه كريم المناقب ،أمّا المنقبة اصطلاحا فهي سيرة شخص مقدس دورها تمكين من يعنيهم أمر الصالح أو الولي أو شيخ طريقة من جزئيات حياته وأخبار سيرته وتجليات تصوفه و إشراقات طريقته.يقول الأستاذ عبد الله بن عتو:« أنّ المناقب في تحديدها العميق فن بلاغي ،لأنها حكايات للنموذجي والمثالي ،فهي تلجأ إلى"أفعال الكلام المعروفة بما تحدثه من أثر على السامع /القارئ ،وهو عموما الإقناع والإفحام والاعتقاد والتخويف أو الترغيب والترهيب والحمل على التحرك والعمل...فقوة هذه الأفعال هي إقناع القارئ بالحقيقة الجوهرية (الواحدة) والعمل على تغيير سلوكه عند الاقتضاء»أنظر على التوالي: الزمخشري أبو القاسم جار الله محمودبن عمر بن أحمد، أساس البلاغة ، تح:محمد باسل عيون السود،)، دار الكتب العلمية ،بيروت-لبنان،ط1419،2هـ/1998م،ج2،ص296.أنظر كذلك: ابن منظور، المصدر السابق،ج1،ص766، 769. أنظر أيضا:عبد الله بن عتو ، أدب الكرامات من ميثاق الثقة إلى خطاب التماهي،دار الأمان ، الرباط، دط ، 2014م، ص49،47.

[2] محمد العمراني ،"كتب المناقب وترسيخ الاعتقاد في الكرامة الصوفية"، مجلة المصباحية، 9(2012م)،ص44.

كما أنّ المناقب تختلف عن السير والتراجم العادية، فهي لا تؤرّخ لشخصيات عادية فحسب، بل إنّها تكرس مقاربة الذات الجمعية لصنف من الأشخاص غير الطبيعيين في نظر الجماعة، ألا وإنّهم الأولياء والعبّاد والمتصوّفة[1]، وقد أُلّفت لتعكس هموم وقضايا فئات اجتماعية اتخذت من الزهد والنّسك والتّصوف منهجا في الحياة ، فكانت كتب المناقب إحدى المتون المصدرية التي تعكس رصيدا لا يُستهان به من المعطيات الجزئية التي تتطلب التراكم والمقارنة والتحقيق لأجل ملامسة واقع الظواهر الاجتماعية والتاريخية[2]، ولم تكن الغاية من تدوينها إثبات أحداث تاريخية معينة، بل غايتها إبراز الأحداث التاريخية ، حيث تعمل على تسجيل الحدث التاريخي في إطار عنايته بسيرة الولي، أي من خلال تدخله وإقحام فاعليته الاجتماعية في بناء هذا الحدث[3].

وتعدّ الكتابة المنقبية في المغرب الأوسط في عصره الوسيط من الإنتاج الفكري الذي بدأ مع نهاية القرن السابع الهجري/13م، ثمّ بلغ درجة من التطور خلال القرن الثامن الهجري/14م، ليزداد الاهتمام به خلال القرنين التاسع والعاشر الهجريين/15و16 الميلاديين ،حيث لا يمكن عزله عن السياق العام لتطوّر الكتابة المنقبية في المغرب الإسلامي، ويمكن أن نفسر هذا الاهتمام بالكتابة في هذا اللون الأدبي ب:

- تراجع الرقابة المفروضة على الصوفية، فقد أولت الدولة الزيانية اهتماما لهذه الشريحة الاجتماعية على عكس الدولة الموحدية التي طالما لاحقتهم[4].
- أصبح التصوف علما متداولا بين الفقهاء والقضاة، الذين سعوا إلى التعريف بشيوخهم وكتابة مناقبهم واعتبروها واجبا من واجباتهم نحوهم، وفي هذا يقول مؤلف المناقب المرزوقية:« ورأيت بحول الله أن أصل بذكر الجد، رحمه الله من عاصره وعاشره من صلحاء وقته، وعلماء زمانه، على

[1] محمد سعيد ، "الإمكانيات ومحدودية النص المنقبي في الكتابة التاريخية ،مناقب أبي إسحاق الجبنياني نموذجا"،مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية ، 5 ؛ 6 (2015/2014) ، ص143.

[2] لمياء لغزاوي ، "وقفات تاريخية في كتب المناقب ،أنموذج المستفاد للتميمي" ، مجلة عصور ، المجلد 10، 20(2013) ، ص 159.

[3] أمال لدرع، الخطاب المنقبي وصياغة الحدث التاريخي"غياب الأمن"غزو تلمسان وحصاراتها خلال العهد الزياني أنموذجا، مجلة منتدى الأستاذ ،18(2016م) ، ص166.

[4] مثل ملاحقة والي فاس للمتصوف أبي عبد الله محمد بن موسى الأزكاني بعدما تابت على يديه جموع كبيرة ،واستدعاء أبي مدين شعيب من طرف السلطان لقدومه من بجاية إلى مراكش ,أنظر ابن الزيات ،المصدر السابق،ص 365-366 و319.

و يرى الأستاذ محمد المغراوي أنّ تخوّف الموحدين من التفاف الناس حول الزعامات الروحية كان مبرّرا لأنّهم ينطلقون من تاريخ دولتهم التي بدأت على يد فقيه وتلاميذه.أنظر:محمد المغراوي،المرجع السابق،ص406.

سبيل الاختصار، وكذلك لمولاي الوالد رحمه الله، ذكرا جمليا، لأنّ معرفة المواليد والوفيات وتعيين الأشياخ وغير ذلك ممّا يجب ذكره[1]».

- نظرا للبدع التي دخلت على التصوف فإنّ كُتَّاب هذا النوع من الفن الأدبي لم يقتصروا في كتاباتهم على ذكر شيوخهم وسيرهم فحسب، بل ضمّنوها بمواعظ وعبر وأشعار تليّن القلوب وتحارب التصوف البدعي و تحث على صحبة الصالحين ،وهو ما يبدو جليا في قول مؤلف مناقب صلحاء الشلف: «وأدمجت له عند تقييدي له هذا مواعظ ذكية وأشعارا معنوية ترقق القلوب وتذري الدموع ، وجلبت له شيئا من العجائب المأثورة عن القوم، وبعض أسرار أهل التصوف وأخلاق نبوية ،ومجاهدة القوم نفوسهم وكيفية أحوالهم [2]».
- نظرا للأزمات التي عصفت بالمجتمع على جميع المستويات، فإنّ الخطاب المنقبي صوّر معاناتهم، والتجائهم إلى الأولياء، الذين كان لهم الدور البارز في التخفيف عليهم ،وإيجاد الحلول لهم ،حتى وإن كانت مؤقتة ،هذا ما ساهم في انتشار كتاباته والترويج لها.

[1] ابن مرزوق، المناقب المرزوقية، ص143.

[2] المازوني موسى، المصدر السابق،ص53.

ويحتوي الرصيد الفكري الصوفي في المغرب الأوسط على جملة من المؤلفات يوضحها الجدول التالي:

| تاريخ التأليف | المؤلف | عنوان المصدر | المجموع |
|---|---|---|---|
| **القرن السابع الهجري/13م** | الغبريني أبو العباس (ت714هـ) | عنوان الدراية في من عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية | 1 |
| **القرن الثامن الهجري/14م** | ابن مرزوق(الخطيب) (ت781هـ) | المناقب المرزوقية | 3 |
| | ابن قنفذ القسنطيني (ت810) | أنس الفقير وعز الحقير | |
| | المازوني أبو عمران موسى بن عيسى (ت833هـ) | مناقب صلحاء الشلف | |
| **القرن التاسع الهجري/15م** | ابن مرزوق(الحفيد) (ت842هـ) | مناقب الولي إبراهيم بن محمد المصمودي[1] | 4 |
| | ابن صعد أبو عبد الله بن أحمد (ت901هـ) | روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين<br>النجم الثاقب في ما لأولياء الله من مفاخر المناقب | |
| | الملالي محمد بن عمر (كان حيا 897هـ) | المواهب القدوسية في المناقب السنوسية | |

[1] ذكره التنبكتي أنّه تأليف في مناقب شيخه إبراهيم المصمودي وهو في كراريس .أنظر:التنبكتي أحمد بابا، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، تح:محمد مطيع، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية،دط، 1421هـ/2000م، ج2، ص143.

| | | | |
|---|---|---|---|
| **القرن العاشر الهجري/16م** | ابن الصباغ محمد بن محمد القلعي | بستان الأزهار في مناقب زمزم الأخيار ومعدن الأنوار سيدي أحمد بن يوسف الراشدي النسب والدار | 3 |
| | ابن مريم محمد بن محمد المليتي(ت1020هـ) | البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان | |

**جدول يوضح الإنتاج المنقبي في المغرب الأوسط من القرن السابع الهجري إلى القرن العاشر الهجري/13-16م**

ويشهد هذا الإنتاج المنقبي على السيطرة التي تمارسها المجموعات الصوفية، عدة عناصر من هذا الإنتاج تسمح لنا بفهم تكون الشبكات الصوفية ونشاطها في رقابة الأماكن والحصول على فكرة إعادة تنظيم المجال الريفي للمغرب الأوسط[1] .

[1]Allaoua Amara ,La mer et les milieux mystique d'aprés la production hagiographiques du Maghreb occidental (XII$^{e}$-XV$^{e}$siècle),REMMM(130),p36.

## 2/الخطاب المناقبي وسلطة أولياء ريف المغرب الأوسط

إنّ ما شهدته بلاد المغرب الأوسط بصفة عامة، والمجالات الريفية لها بصفة خاصة كما رأينا سابقا من انعدام للأمن نتيجة للحروب المتكررة مع الحفصيين والمرينيين ،والثورات القبلية، زد إلى ذلك النشاط الحرابي و اللّصوصية التي كانت تمارسها المجموعات العربية على الطرق ،بالإضافة إلى الكوارث الطبيعية التي مرت بها هذه المجالات من جفاف وقحط ،وما رافقه من تراجع للفلاحة ، وانتشار للأوبئة والمجاعات، وما رافقها من غلاء للأسعار، ضف إلى ذلك ما كان يعانيه السكان من إثقال بالضرائب والإتاوات،كل هذه العوامل ساعدت على تدخل الأولياء وتحملهم مسؤولية مواجهة الأزمات والتخفيف منها، هذا في ظل غياب السلطة التي وقفت عاجزة أمام هذه الأوضاع ، وفي ما يلي سنرى ما صوّرته لنا كتب المناقب من اكتساح الأولياء لمختلف الميادين وتأثيرهم على العامّة والسلطة.

فهل ما تصوره لنا كتب المناقب لسلطة الأولياء لها علاقة بالحقيقة التاريخية أم أنّها مجرّد أوهام وخيال هدفه وضع الولي ورسمه في صورة الإنسان الخارق المتفوق الذي لا يقهر؟ و هل أنّ كتابة هذه الأخبار من طرف فئة مثقفة كالفقهاء وتعدّد ورودها في أصناف أخرى غير المناقب كالتراجم والرحلة والتاريخ يضفي لها المصداقية والشرعية التاريخية؟.

### 2_1 الولي ودوره في نصح وإرشاد السلاطين

أورد المازوني نصا يتحدّث فيه عن زيارة السلطان يغمراسن للشيخ الولي أبي البيان واضح[1] في جبل آفرشان–من جبال شلف–، فكوشف الولي قبل وصول السلطان، فتعمّد عدم الخروج إليه وتركه ينتظر أمام بابه وكان يوما حارّا ،ومكث طويلا مع خاصته حتى يئسوا من خروجه إليهم ، فلمّا خرج قال :«يا يغمراسن أما تعلم وقوف الضعفاء والمساكين وذوي الحاجات ببابك وما يجدونه في قلوبهم من الانكسار ومدافعةحرّاس الأبواب بطول احتجابك عنهم، وإنّما فعلت ذلك بك لتستيقظ من سنة غفلتك وتتذكر أحوال القاصدين إليك[2]».

[1] هو الشيخ أبو البيان واضح بن عاصم المكناسي دفين خنق رهيو كان شيخا فاضلا قاهرا لأحواله مجتهدا في العبادة دائم التوجه إلى الله ولد في بداية القرن السابع وكانت وفاته في أواخر هذا القرن وهذا ثابت كونه حضر وفاة السلطان يغمراسن أنظر: المازوني موسى، المصدر السابق ، ص 101.

[2] المازوني موسى، المصدر السابق،ص134، 135.

من هذا النص تبرز سلطة الولي ومكانته عند السلطان حيث انتظر إلى غاية خروجه ،كما يبرز دوره في التأديب لأنه يعلم أنّ السلطان يتماطل في قضاء حاجات الرعية، فجعله يجرّب نفس الشعور الذي تحسّ به الرعية أمام باب السلطان كي لا تسمح له نفسه مرة أخرى بتأجيل أمور الرعية وجعلها تنتظر لتُقضى حاجاتها ، فنلاحظ بروز فاعلية الولي الاجتماعية بعيدا عن الفعل الكرامي .

تحدّث المازوني في موضع آخر عن قصة الأمير الصنهاجي وهو يحي بن يوغان[1] الذي أراد أن يكون تلميذا عند الولي عبد السلام التونسي، فاشترط عليه مقابل تعليمه الذهاب إلى الجبل والاحتطاب والدخول إلى القصر والحزمة على ظهره،فنفذ الأمير ما طُلب منه فكافأه الولي عبد السلام وذلك أنه أصبح مجاب الدعوة[2].

نلاحظ هنا تأديب الولي للأمير بطريقة غير مباشرة ومواجهته بهذا الشرط بكل شجاعة ، وهنا تبرز مكانة الولي وقوته داخل المجتمع ،فلو لم يكن يحظى بمكانة عالية ومشهور بولايته وكراماته لما واجه هذا الأمير بهذا الطلب الذي لو أمره به شخص عادي لاعتبره إنقاص له من قيمته، إذن تبرز هنا فاعلية الولي في الحدث ضمن إطار دور طبيعي وهو الطلب، وطابع كرامي وهو منحه للأمير خاصية استجابة الدعوة.

### 2_2 الولي مستشار سياسي

نتبيّن هذا الدور من خلال الرواية التي وافانا بها ابن قنفذ، ذلك أنّ محمد بن يوسف الهمداني الأندلسي المعروف بابن الأمير ظهر عصيانه على الأمير أبو البقاء خالد، حيث تولىّ قيادة قسنطينة وزاد على المعتاد في القيادة ،ككتابة اسمه في ما يصنع من عُدّة، وهو ما جعل الأمير أبو البقاء يحاصره أشهرا حتى قبض عليه وأجلسه للمحاكمة، وكان يعقوب بن عمران البويوسفي وهو والد جد ابن قنفذ حاضرا، وصار الأمير يعاتب وجوه البلد لما وقع من ابن الأمير من نفاق وخيانة ، فأجابه الولي يعقوب البويوسفي:« أنتم نصركم الله تمكّنون بلدكم لمن تغفلون عنه وتتركونه يزيد في الرجال والعدّة وفي جمع المال واختزان الطعام ولا تغيرون عليه فإذا أعجبته نفسه وزيّن له الشيطان عمله وقع فيما وقع فيه، وتعلمون أنّه

[1]هو أبو زكرياء يحي بن يوغان الصنهاجي من تلامذة عبد السلام التونسي ، كان ابتداء أمره بهذه القصة ، وقد كان ملكا زاهدا مجاب الدعوة توفي بتلمسان سنة 537هـ.أنظر: ابن الزيات،المصدر السابق ، ص123-125.

[2]المازوني موسى ، المصدر السابق، ص 306.

لا قدرة للحضري في مدافعة من هذه صفته[1]»، فوافق السلطان على ذلك وانفصل المجلس على رضا منه[2] .

يتضح من خلال هذه الرواية مكانة الولي عند السلطان حيث أجلسه في مجلسه الذي عقده مع وجوه البلد ، كما نلاحظ أهمية رأي الولي عند السلطان، حيث حضر في قضية هامّة تتعلق بخيانة الدولة ليأخذ برأيه، ثمّ نرى معاتبة الولي للسلطان وكأنّه يقول له: هذه الخيانة هي نتيجة لتهاونك وتواطؤك في مراقبة عمّالك وولاّتك وبالتالي جنيت ما زرعت.

### 2_3 الولي وسيط "دبلوماسي"

من الروايات التي صورت لنا الولي كمبعوث سلطاني ووسيط دبلوماسي رواية لصاحب الأنس على لسان جدّه للأم الولي يوسف بن يعقوب الملاري (ت764هـ/1362م) ،يتحدّث فيها عن مهمة صلح كلّفه بها السلطان الحفصي إلى نظيره الزياني بقوله: «كلّفني السلطان أمير المؤمنين أبو يحي أبو بكر أن آخذ في الصلح بينه وبين أبي حمّو صاحب تلمسان[3]».

إذن نلاحظ من خلال هذا النص دور وساطة الولي في إبرام الصلح بين السلطان الزياني والسلطان الحفصي ،حيث تمّ استبدال السفير أو المبعوث السلطاني بالولي لنجاعته ،لأنّه شخص لا ترد مطالبه وله قيمته عند الخاصة والعامة، وهنا تبرز فعالية الصوفي الاجتماعية بعيدا عن الكرامة.

### 2_4 الولي وسيط وشفيع بين الناس والسلطة السياسية

نتبين هذا الدور من الرواية التي أوردها صاحب مناقب صلحاء شلف، ومختصر هذه الحادثة أنّ السلطان أبي حمو موسى جهّز جيشا قاصدا مكناسة الذين ضربوا خدّامه ومزّقوا أثوابهم عليهم وجرحوهم، فلمّا علمت مكناسة[4] بذلك اتجهت إلى الولي الصالح سيدي عزّوز والتفّوا حوله صغارا وكبارا يبكون، وأخبروه بحركة السلطان إليهم، فأمرهم بالانصراف وأنه سيتوجّه إليه لينظر لهم في الأمر، ولما حل الغد ووصل الجيش لخناق رهيو اتجه سيدي عزوز إلى السلطان وهو راكب فصعد إليه وخنقه ، وأبى أن

---

[1] ابن قنفذ ، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، ص157، 158.

[2] نفسه ، المصدر نفسه،ص158.

[3] ابن قنفذ ، أنس الفقير ،ص53.

[4] كانت قبيلة مرسومة الحدود وقائمة كدوار ، وهي تابعة للبلدية المختلطة عمي موسى بواد رهيو، وحسب أحد الباحثين في تاريخ المنطقة أن قبيلة مكناسة موجودة شرق عين طارق الواقعة شرق مدينة عمي موسى دائرة وادي رهيو –ولاية غيليزان–أنظر : المازوني موسى، المصدر السابق ، هامش4 ، ص 402.

يتركه حتى يقضي حاجته، فوعده السلطان بقضائها وهي الرجوع بجيشه وترك سبيل مكناسة،فخلى سبيله ونزل ،وقفل السلطان راجعا، وعندما انزعج الجيش بالرجوع وكثر كلامهم قال لهم:«اتقوا الله فينا وأبعدونا من دعوة سوء والله ما حسست روحي إلا قريب تخرج من هيبته..[1]».

في النص إشارة واضحة على اعتقاد الناس في الأولياء وأنّهم ملاذهم الوحيد عند الأزمة ،فكما سبق وقلت أن الأزمة هي المكان الخصب للفعل الكرامي، وفيها تبرز فاعلية الولي الاجتماعية ، فنلاحظ تعاطف الولي معهم بطمأنتهم والتهدئة من روعهم وذلك بالتوسط لهم مع السلطان، وهو ما حدث فعلا حيث وافق السلطان على التراجع بعدما أحس أنه مشرف على الهلاك بخنق الولي له وهيبته منه ، إذن فموقف السلطة تجاه الأولياء نابع من نفوذهم و فعاليتهم داخل المجتمع التي مارسها هؤلاء انطلاقا من كرامتهم الاجتماعية ، و هنا يبرز دور الولي كشفيع أو وسيط من أجل الإصلاحات وتهدئة الأوضاع بين المتخاصمين ، كما يبرز اعتقاد السلاطين في الأولياء والخوف من دعائهم وغضبهم والوصول إلى ما لا يحمد عقباه.

## 2_5 دور الولي في تثقيف سكان المجال الريفي

لقد كان للأولياء الدور البارز والفعال في نشر الثقافة الدينية بين سكان الوسط الريفي، خاصة وأنهم ذوو معرفة بسيطة بالدّين ،كما يرجع إليهم الفضل في تتويب القبائل العربية وإبعادها عن النشاط الحرابي لتندمج في المنظومة الدينية بصفة عامة والصوفية بصفة خاصة ،وكانت هذه الدروس تتم عبر مؤسسة الزاوية والتي لعبت الدور الأساس في ذلك ومن خلالها تمّ تزايد نفوذ الأولياء، ومن الأمثلة على ذلك أنّ الولي يعقوب بن عمران البويوسفي كان يلقي دروسه في زاويته بملارة[2]، كما كان سيدي محمد بن عبد الجبار الفجيجي يقرئ الفقه والحديث والتوحيد بالإضافة إلى التصوف على طريقة شيخه السنوسي بزاويته بحدّوش من تاسالّة[3].

وهناك من الأولياء من كان يلقي الدروس في المسجد أو في بيته ،فقد كان الولي سيدي أبو مدين يحيي مجالسه ودروسه ببيته أو بمسجد أبي زكرياء يحي الزواوي بحومة اللؤلؤة من بجاية[4]، وكان يقرئ الرسالة القشيرية والمقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى[5] ،كما أنّه يعتبر من بين الأوائل الذين ساهموا في إدماج

[1] المازوني موسى ، مناقب صلحاء شلف، ص402، 403.

[2] ابن قنفذ ، أنس الفقير،ص40.

[3] ابن مريم ، المصدر السابق ،ص 288.

[4] ابن قنفذ ،أنس الفقير، ص92. والغبريني،المصدر السابق ،ص27.

[5] الغبريني ، المصدر السابق ،ص26. وابن قنفذ ، أنس الفقير ،ص92.

القبائل الهلالية في المنظومة الاجتماعية والصوفية من خلال تدريسه لشخصيات عربية أمثال أبو يوسف الدهماني[1] وأبو مسعود بن عريف والذي أسس زاوية بجبال شلف لنشر ما أخذه عن شيخه أبي مدين وسط قبائل سويد العربية[2]، كما يرجع الفضل للأولياء الثلاثة وهم : محمد بن يحي المديوني ومحمد بن يحي بن موسى المغراوي التلمساني وعمر العطافي في إيصال التوحيد لبني راشد[3] .

إذن نلاحظ دور الأولياء في نشر التصوف في المجالات الريفية من خلال التنقل إلى المدن ثمّ الرجوع إلى مواطنهم الريفية لنشر ما تعلموه، كما كان لهم الدور في ملأ الفراغ الروحي الذي كان يعانيه أصحاب الأرياف بفضل ولايتهم وبركتهم وتبسيطهم للتعليم وجعله في متناول الفئات الشعبية.

## 2_6 الولي والأمن الاقتصادي والاجتماعي

لعب الأولياء دورا هاما في حراسة الطرق وتأمين القوافل التجارية خاصة أمام تزايد خطر الأعراب،لذا نجد توزع الأولياء عبر الطرق التجارية والنقط الحساسة وهذا لهشاشة الأوضاع بهذه المجالات، وحسبنا في ذلك أنّ جبال الجزائر كانت في غاية الصعوبة حتى أنه لا يجرؤ أحد على العبور فيها بسلام لشدة انتشار الأعراب فيها إلاّ إذا كان مصحوبا بولي[4]، أمّا المازوني فقد حدّثنا في نوازله عن موضع كان خاليا وهو في قارعة الطريق ،وكان القبائل يغيرون فيه على المسافرين ويجلسون فيه للحرابة، وقد أخذت فيه أرواح وانتهبت أموال وهو مشهور بذلك حتى لا يقدر أحد على جوازه ،وقد نزل فيه أحد مرابطي العرب وأقام فيه عمارة كبيرة لقطع تلك المفسدة، فقطعها وصار الموضع المذكور مأوى للسافرين والمشاة وانتشرت فيه حرثات وعمائر[5]،إذن نلاحظ دور المرابط في حفظ النفس وتأمين مال القوافل .

كما أورد ابن قنفذ رواية لوالده الخطيب حسن بن الخطيب علي بن اللمعة، وهو صهر للولي يوسف بن يعقوب الملاري وقد صافحه وعاهده وسلك طريقته « أنّه لما انتهب في ركب الحجاز حيث قطعت عليهم لصوص الأعراب ولم يسلم له إلاّ المفرش الذي دسّ فيه شاشية الشيخ مربوطة مع نفقة صالحة حدّد بها رحلته[6]»، ومن الأمثلة عن دور الولي في الأمن الاقتصادي للمجتمع ما فعله الولي الأعرابي سعادة الرياحي مع عامل الزاب ابن مزني حيث طالبه بإعفاء الناس من المكوس ورفع المظالم الجبائية عنهم

[1] ابن الدباغ ، المصدر السابق،ص63.
[2] ابن قنفذ ، أنس الفقير ،ص40.
[3] ابن مريم ، المصدر السابق ،ص276 .
[4] الوزان ، المصدر السابق ، ص46.
[5] المازوني ، الدرر المكنونة،ج4،ص364.
[6] ابن قنفذ ،أنس الفقير، ص46.

، بالإضافة إلى بنائه زاوية في طولقة من أجل محاربة قطاع الطرق من الأعراب وتأمين المجالات الريفية للزاب.[1]

مما سبق نلاحظ أنّ المصادر المنقبية رسمت لنا صورة عن سلطة الأولياء في المجتمع الريفي وحضورهم المكثف والشامل في كافة المجالات وتدخلهم الفعال فيه.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[1]ابن خلدون عبد الرحمان ، تاريخ، ج6، ص51 ، 52.

### 3/ الحضور الكرامي للأولياء في أرياف المغرب الأوسط

يفرز واقع الأزمة عادة تعدّدا في الخطابات وتنوعا في المواقف وردود الفعل، وإذا كانت نصوص الاسطوغرافيا التقليدية لا تفصح عن موقف معارض تجاه السلطة ،فإنّ كتب المناقب والكرامات حاولت تعرية الواقع ومحاسبته، وقدّمت الكرامة كمشروع بديل لتجاوز الأزمات ومعالجتها ، وقد نقلت لنا هذه الكتب هموم ومشاكل المجتمع ،كون مؤلفيها عايشوا هذه الأزمات ولم يكونوا بمعزل عن هموم المجتمع، ويعتقد الكثير أنّ الكرامة سلوك وثيق الارتباط بالمجال الديني، لكنها في الحقيقة نتاج اجتماعي وإفراز لأوضاع تاريخية وانعكاس لصورة المجتمع الذي يعيش واقعا متأزما[1].

وقد أثارت مسألة الكرامة جدلا بين فقهاء العصر الوسيط بين مؤيد ومعـــارض لجواز وقوعها، وممن أفتى بصحتها ووجوب التصديق بها : ابن رشد الذي وصف المنكرين لها والمكذبين بها بالجهل والضلالة، لأنّ إنكار كرامات الأولياء هو إنكار لمعجزات الأنبياء، وقد استدل على صحتها بحجتين، الأولى:التواتر في النقل، والثانية: إجماع أهل السنة والجماعة على صحتها[2]، أمّا ابن قنفذ فيقول:«ولا ينكر الكرامة إلاّ معاند محروم سيئ الاعتقاد كثير الانتقاد[3]»، ونفس الموقف تبناه موسى المازوني والذي اعتبر المنكرين لها ملحدين مارقين من الدين، والمؤمنين بها موحـــدين سالمين من البدعة والجهالة[4]، وفي ما يخص ابن خلدون فهو الآخر أقرّ بصحتها، ثمّ برّر إنكار أبو إسحـــاق الإسفرايني وهو من المعتزلة، وإنكار أبي محمد بن أبي زيد المالكي لها لالتباسها بالمعجزة[5]، غير أنّ صاحب المقصد ذكر أنّ أبي محمد بن أبي زيد المالكي أنكرها ثمّ رجع إلى إثباتها بعد الموقف الذي جرى له مع الولي سيدي محرز التونسي[6]، وقد اتفق رأي الفقيه أبي عبد الله بن العباس مع رأي محمد بن عمر الملالي، على أن الكرامة لا يعطـاها إلاّ من كان

---

[1] هذه نظرة الأستاذ بوتشيش ، ونحن نشاطره الرأي، لأنه لا وجود لكرامة في غياب مجتمع متأزم يعاينها لرفع معاناته .أنظر:إبراهيم القادري بوتشيش، تاريخ الغرب الإسلامي، قراءات جديدة في بعض قضايا المجتمع والحضارة ، دار الطليعة ، بيروت- لبنان،ط1،1994 م، ص106 ،109.

[2] ابن رشد أبو الوليد محمد بن أحمد بن أحمد القرطبي المالكي، فتاوى ابن رشد، تق و تح : المختار بن الطاهر التليلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، 1407هـ/ 1987م، ج1 ،ص579-582.

[3] ابن قنفذ، أنس الفقير، ص 4.

[4] المازوني موسى ، المصدر السابق، ص56.

[5] ابن خلدون عبدالرحمان ، المقدمة، ج1، ص224.

[6] البادیسي ،المصدر السابق ، ص39.

متمسكا بطاعة الله في جميع أحواله ، سائر على منهج السلف الصالح، سالم العقيدة في ما تعين عليه من وظائف التكليف[1].

إذن فآراء الفقهاء كان لها أهمية بالنسبة للمجتمع حيث زادت من قناعاتهم في الإيمان بها ،وهذا ما زاد في انتشارها والتفاف الناس حول الأولياء باعتبارهم مصدرا للكرامة، كما أنّ« تفصيلهم في قضايا البركة والكرامة هو رفع للحرج عن المريدين والصوفية للخوض فيها إيمانا منهم أنّ مناقب الأولياء كفيلة بأن تقود إلى طريق التصوف الصحيح نظرا لصحة أخبارها وصدق رواياتها المروية عن الثقات[2]».

إنّ الكرامة بما لها من ارتباط وثيق بالدين وارتكازها على نصوص مقدّسة ،غالبا ما جعلت السلطة تحترمها ولو على مضض، ناهيك عن الاحترام العميق الذي يكنها لها الجمهور ،فالدين بنصوصه ووظيفته النفسية الاجتماعية يهيئ الأذهان لتقبلها ، وقد شكلت كرامات الأولياء أداة من أدوات النقد والدعوة إلى الإصلاح[3] ،وسأعالج في ما يلي أهم النقاط الذي تضمنها المشروع الإصلاحي من جميع نواحيه الأخلاقية والاجتماعية و السياسية و الاقتصادية ، من خلال جمع مختلف الكرامات الواردة في المصادر المنقبية المتعلقة بالفترة[4].

### 3_1 تقويم السلوك الأخلاقي

نالت المسألة الأخلاقية نصيبها من اهتمام الأولياء فساهمت قدراتهم الخارقة في تقويم السلوكات المتردية بغية خلق مجتمع تسود فيه المثل العليا كالصدق والوفاء والتقوى وغيرها من الأخلاق[5]، وتدور كرامات الفساد الأخلاقي في فلك شرب الخمر والسرقة وغيرها، وهي تعبير عن رفض الأولياء للواقع الأخلاقي ،وقد اتسمت مواجهة الأولياء لهؤلاء المنحرفين بالسلمية، ومن النصوص التي صوّرت لنا معالجة السلوكات المنحرفة ،النص الذي أورده المازوني، وهو أنّ السلطان الزياني يغمراسن زار الولي أبو البيان واضح ، فخلا به وكاشفه عن أشياء استتر بها في قصره ،فكان ممّا سُمع عنه فيما كاشفه به جمعه بين أختين نصرانيتين،وقد أدّبه وعاتبه قائلا: «أي حاجة اضطرتك إلى ذلك لولا الجرأة على الله،ما خير لذّة ساعة مصيرها بصاحبها

[1] أنظر على التوالي: المازوني يحيى ، المصدر السابق، ج5،ص86.وانظر: الملاّلي ، المصدر السابق ،ص 123.

[2] الطاهر بونابي، الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين 8و9هـ/14-15م،ج1،ص290.

[3] إبراهيم القادري بوتشيش، المرجع السابق،ص109.

[4] عن مختلف الكرامات التي قد تظهر على يد الأولياء أنظر: الملحق رقم7.

[5] محمد العمراني ، "كتب المناقب وترسيخ الاعتقاد في الكرامة الصوفية"، ص62.

إلى النار؟»،فخرّ يغمراسن بين يديه وطلب منه كتم هذه الرذيلة معلنا توبته وعدم عودته إلى هذه المعصية، فأمره الشيخ أن يمسك إحداهما ويترك الأخرى[1] .

كما صوّر لنا ابن مرزوق صورة أخرى من صور تقويم السلوك وذلك أنّ رجلا دخل جنان ابن مرزوق (ت681هـ/1282م) ليسرق الفاكهة، فما إن همّ بأخذها حتى التصقت يده بها ، وبقي على تلك الحال حتى ارتفع النهار وجاء الشيخ فتاب الرجل على يده ودعا له بصدق التوبة وأصبح من الصالحين[2]،كما أنّ سراقا دخلوا روضة الولي أحمد بن موسى الشريف الإدريسي بجبل بني ورنيد وأخذوا مواشي من السفرجل، فلما أرادوا الخروج وجدوا الباب مغلقا فوضعوا السفرجل وأتوا الباب فوجدوه مفتوحا، فحملوا السفرجل ثانية وأتوا الباب فوجدوه مغلقا ،فعرفوا أنّ هذا من كرامات صاحبه، فأتوه صباحا وتابوا على يديه[3]، من خلال هذين النموذجين نرى تحول الولي من خلال كراماته إلى مصدر توبة للمخطئين.

### 3_2 محاربة الابتزاز الجبائي

لقد كان للإجراءات التعسفية التي فرضتها السلطة على الرعية الأثر البالغ في تدهور أوضاعها فالتجئوا إلى الأولياء لتبني مشاكلهم ورفع ظلاماتهم إلى الأمراء ،وفي هذا المنحى تكفي الإشارة إلى المعارضة الشديدة التي واجه بها الولي سيدي عبد الله بن منصور الحوتي سلطان تلمسان، وذلك أنّه طلب رؤوس أهل البلد في السلف ورمى عليهم مالا عظيما، والناس في أمر عظيم، فشكوا أمرهم إلى الولي عبد الله بن منصور، فركب دابته وطلع من عين الحوت–أحد أرياف تلمسان– قاصدا السلطان، وطلب منه أن يرفع عن الناس ما أمرهم به ،فامتنع فقال له:«أفسدت بيت مال المسلمين وتطلبهم السلف والله ما يعطونك إلاّ الوجع[4]»، وما إن انصرف حتى أخذ السلطان وجع شديد صار يصيح منه، فتبعه وزراء السلطان وردّوه فوضع يده على بطنه ومسح فبرئ من حينه[5].

في ظل هذه الظروف الصعبة التي كانت تعانيها العامة من ثقل الضرائب والظلامات ، نجد نخبة الأولياء تقود مشروعا إصلاحيا يروم إلى تغيير المنكر من خلال السعي لإسقاط الكلف الضريبية ، وهو ما نراه عند المرابط الأعرابي سعادة الرياحي ، والذي اتجه إلى عامل الزاب منصور بن فضل ابن مزني يطلبه

[1] المازوني موسى، المصدر السابق ،ص138.
[2] ابن مرزوق ، المناقب المرزوقية ،ص163.
[3] ابن مريم ، المصدر السابق ،ص26.
[4] المصدر نفسه،ص137.
[5] نفسه ،ص137.

بإعفاء الرعايا من المكوس والظلامات، بالإضافة إلى تحرك الولي سيدي عزوز بجبال رهيو إلى السلطان أبي حمو من أجل إعفاء قبائل مكناسة من جباية "الضيافة" [1].

وممّا كان يعانيه أهل الصنعة أو الحراثين من سكان الأرياف، ما كان يُفرض عليهم من غرامة أو زرع أو خدمة، وغيرها من الوظائف التي كانت تفرض عليهم، هذا ما جعلهم يتقربون بالأولياء والمرابطين ليشفعوا لهم عند السلطان أو العامل أو الشيخ في تركهم وتحريرهم من هذه المظلمة[2].

### 3_3 نبذ الظلم ومحاربة الاستبداد

أدّى ظهور الاستبداد والتعسف على الرعية، وتشعب المحن والأزمات، واتساع الفوارق الاجتماعية إلى تدخل الأولياء ووقوفهم في وجه أعمال الغصب والنهب وابتزاز الرعية، وفي هذا الشأن يذكر ابن الطواح أن الولي أبو مدين شعيب كان له جماعة من الجن يصرفهم في جميع الأمور، وكانوا يلبسون صور الآدميين بحيث يراهم ،وكان يستخدمهم ويسلطهم على الظلمة بالبوادي، فلا يزال الضعفاء ينتصفون بهم ببركته[3]،كما كان الحسن أبركان رفيقا بالمؤمنين كثير الشفقة عليهم ،ورغم أنه كان من سكان الحضر إلا أنّ دوره امتدّ إلى المجالات الريفية، فقد كان يراسل شيوخ العرب لإغاثة المستضعفين المعتدى عليهم من طرف لصوص البادية، وبما أنّ عمليات الغصب كانت تتكرّر فإنّ أبركان على حد قول ابن صعد لم يكن يفتر عن ذلك ولا يسأم منه[4] .

### 3_4 تسريح السجناء والانتصاف للمظلومين

حملت لنا كتب المناقب تعاطفا واضحا مع العامّة من طرف الأولياء الذين كانوا ملاذهم عند الشدة، ومن بين الأزمات التي التجأ فيها الناس للأولياء ،دخول السجن ،حيث كان أهل السجين يلجئون إلى الولي ليشفع لهم عند السلطان في تسريح سجينهم، فقد قصد الولي يعقوب بن عمران البويوسفي السلطان الحفصي في تسريح مسجون،فقضى له حاجتة[5].

وفي نفس المنحى يصوّر لنا ابن مرزوق صورة أخرى عن دور الأولياء في الانتصاف للمظلوم، وذلك أنّ ولدا كان يخدم الشيخ الولي محمد ابن مرزوق(629_681هـ)بالبادية، فسعى قوم من قبيلهم في

[1] المازوني موسى، المصدر السابق ، ص402_403.
[2] المازوني يحي، الدرر المكنونة ، ج4، ص130، 131.
[3] ابن الطواح ، المصدر السابق،ص74.
[4] ابن صعد، المصدر السابق، ص119.
[5] ابن قنفذ ، أنس الفقير ،ص44.

الولد فأُدخل السجن، فأتت والدته إلى الولي محمد ابن مرزوق تشتكي أمرها فدعا لها، وما إن انتصف الليل حتى أتى وزراء السلطان وحجابه والولد معهم، واعتذروا له نيابة عن السلطان، وأخبروه أنّه أمر بإطلاق سراحه بعد رؤيا رآها في منامه، حيث أنّ رجلا أتاه على ثلاث مرات وقال له :قم وأطلق الرجل الذي تكلم فيه أبو عبد الله بن مرزوق[1]،كما أورد لنا ابن مريم نصا عن تدخل الولي عبد الله ابن منصور الحوتي ودوره في تسريح مسجون ،ومختصره أنّ الولي خرج من عين الحوت هو وخديمه "أعجوز" قاصدان لتلمسان ، ولما وصلا إل باب القرمادين وجدا رجلا مكبلا و الذباح على وشك ضرب عنقه ،فصاح الشيخ على الذباح وأعوانه فتركوه، وأتوا الشيخ وقبلوا يديه ورجليه،ث م اتجه الخديم إلى السلطان ليشفع في السجين فأبى ،فألحّ عليه وزيره في ذلك وعدم ردّ طلب الشيخ فرضي[2].

### 3_5 تحقيق الأمن

خلّفت حالة غياب الأمن شبه الدائمة في المجالات الريفية للمغرب الأوسط واقعا متأزما ،فكما رأينا سابقا فقد كانت المجالات الريفية مسرحا للعديد من الحروب والمواجهات تارة، وملجأ للمعارضين تارة أخرى، وقد خلفت صورا أليمة لدى سكان المجال الريفي جعلته يعيش دائما واقعا مريرا مليئا بالخوف، تغيب فيه الراحة والأمان.

وبينما اهتمت المصادر التقليدية بالجانب السياسي وتسجيل ما تعلق بالسلاطين والأمراء وانتصاراتهم، أولى خطاب المناقب اهتمامه بالتأثيرات الاجتماعية لتلك الأحداث، من خلال تدخلات الولي أو الصوفي في الحدث لصالح فئات المجتمع المتضررة والتخفيف عنها[3]،لقد صوّرت لنا العديد من النصوص فاعلية الولي في هذه الأحداث من بينها:

**أ/ إفشال الغزو:**

أورد ابن مريم نصا يتحدّث فيه عن الصوفي عبد الله بن منصور الحوتي(ق9هـ/15م)، الذي استطاع أن يفشل محلة السلطان الحفصي والذي أتى غازيا لتلمسان وذلك بفعل أدائه الكرامي ،حيث عمّ الظّلام على المحلة حتى أصبح لا يرى أحدٌ أحداَ وهو يضرب السلطان ،هذا ما جعله يعلن توبته ويرحل في تلك الساعة[4].

---

[1] ابن مرزوق ، المناقب المرزوقية،ص 151.

[2] ابن مريم ، المصدر السابق،ص 138.

[3] أمال لدرع، "الخطاب المنقبي وصياغة الحدث التاريخي"غياب الأمن"غزو تلمسان وحصاراتها خلال العهد الزياني أنموذجا"، ص165.

[4] ابن مريم ، المصدر السابق ،ص137.

**ب/ استرجاع الأشياء المسلوبة:**

ومن النصوص التي صوّرت لنا تعاطف الأولياء مع المتضررين من الغزو والوقوف إلى جانبهم ،النص المنقبي الذي أورده المازوني عند حديثه عن الولي أبي يعقوب بن محمد بن محيو الهوّاري (نهاية القرن السابع هجري)، والذي سلب جيش ابن غانية ما كان في زاويته من أموال وأثاث ومواشي، وقد كانت تأوي الكثير من الناس، فاتجه إليه ولما رآه ابن غانية قال في نفسه:مال هذا الحبر السمين؟ولما قرب منه أشار إليه بالجلوس، فقال الشيخ أبو يعقوب: ليس ذلك محل الحبر السمين،فأخذته هيبة الصالحين وارعوى ووعد الشيخ بردّ ما أخذه[1]، ونفس الأمر حصل للشيخ أبي يعقوب مع أمير بني توجين الذي اقتحم زاويته بعدما علم أنّ ذخائر مغراوة صارت إليها ،حيث أخذوا كل ما وجدوه بها وذلك على مرآى من الشيخ ،ولما همَّ عبد القوي بالانصراف قال له:ادع لنا يا شيخ، فقال:يا عبد القوي وكرّر ذلك، وسار بجيشه وقد أخذه وجع شديد بالطريق حتى خرجت أحشاؤه، وما إن وصل هو وجيشه إلى مجشر أبي حرش حتى مات،فلماّ رأى بنو توجين ما حلّ بأميرهم إرعووا وردوا كلّ ما استلبوه[2].

**3_6 نزول الغيث وسقاية الزرع:**

كان المغرب الأوسط كما رأينا سابقا عرضة للعديد من سنوات الجفاف والقحط، وقد صورت لنا كتب المناقب دور الأولياء في مثل هذه الظروف، حيث كانوا المصدر الوحيد لتفريج الكرب، فبدعاء من الولي ينزل الغيث فيروى الناس ويستسقون ، وحسبنا في ذلك أنّ أهل بجاية عندما أصابهم الجفاف التجئوا إلى الولي أبي الحسن الحرالي (ت637هـ/1239م)،فدعا الله أن يمطرهم فأجاب الله دعاءه وأمطرهم مطرا غزيرا ،فمدّ يده للمطر وهو يشرب ويغسل وجهه ويقول:«مرحبا بقريب عهد من ربه»[3].

كما نزل المطر على سكان جبل وافرشان بعدما انعدم عندهم الماء والمرعى ،وهذا ببركة الولي أبي البيان واضح(ق7هـ)، والذي صلى الليل ودعا الله فجادت السماء برزقها، فامتلأت الغدران، واستسقى الناس وانتجعوا بمواشيهم من الأوطية إلى الجبل[4].

[1] المازوني موسى ، المصدر السابق،ص196، 197.
[2] نفسه ، ص199.
[3] الغبريني ، المصدر السابق، ص149.
[4] المازوني موسى ، المصدر السابق،ص112، 113.

### 3_7 توفير الطعام

لم يكن الجوع هاجسا مؤرقا في مجتمع الأولياء وإنّما كان من السِّمَات المحمودة التي ألفوها، فمسلكهم الصوفي مبني أساسا على الزهد والتقشف والبعد عن ملذات الدنيا ومنها إشباع البطن، ولم يكن نقص الطعام عندهم أو انعدامه بمشكلة[1]، فقد دأبوا على الوصال دون أي حرج سواء في حال توفر الطعام أو بدونه[2] ،وما يدل على ذلك أيضا أن الصوفي أحمد الماواسي اشتدّ بأهله الجوع في زمن مجاعة ولم يتمكن أطفاله من النوم من شدة ما أصابهم من الجوع، فاتجه إلى الله بدعائه الذي خصّ فيه أولاده دون نفسه، لأنه قادر على هذا الابتلاء قائلا: « يا رب أنا أرضى بفعلك، مستطيع لما قدرت به وأردته بفضلك وجودك، وهؤلاء الأطفال لا يطيقون ذلك، فقد مسهم الضر وأنت أرحم الراحمين[3]» ،وإنّما كان هذا النقص من المشاكل التي يعانيها أفراد المجتمع، خاصة وأنهم مرّوا بالعديد من الظروف التي كانت سببا في نقص الطعام بل في انعدامه، وتعتبر مسألة إطعام الجم الغفير من الطعام اليسير، بالإضافة إلى توفّر الطعام بعد انعدامه من المسائل التي وردت كثيرا في النصوص المنقبية.

فقد كان والد ابن مرزوق يضع في قصعة ثريدا قدر ما يكفي الواحد فقط ،فيأكل منه الأربعة والخمسة فتكفيهم[4]،كما كان الشيخ أحمد بن يوسف الراشدي يدعوا في مجالس الطعام بالبركة فيأكل منه الجمع الغفير ، وفي ذلك يروي ابن الصباغ أنه لما ذهب لوهران في جموع كثيرة، فصنع له رجل من أهلها قصعة طعام كبيرة وأتى بها إلى الشيخ وأخذ يدخل عليه العشرة تلو العشرة من أصحابه وينصرفون إلى أن أكلوا منها جميعا[5].

وقد عُرِف الولي أبو الحسن علي بن محمد الزواوي عند بني يتوّرغ بمساعدته وتوسيعه على المحتاجين ،ومنها أنّ ربّ أسرة عرضت له ضرورة قوت فأتاه ينظر له في ذلك، فدخل إلى منزله وأخرج له أربعة أمداد من القمح وكان ذلك الوقت بين أواخر الشتاء وأوائل الربيع ، فكفته وعائلته حتى دخل الصيف وأكلوا من حراثتهم[6].

---

[1] سمية مزدور، المرجع السابق، ص152.

[2] من الأمثلة عن ذلك أنّ سيدي واضح كان لا يُفطر إلاّ على رأس أربعين يوما بشيء من الخبيز وحبّ الجودر .أنظر: المازوني موسى، المصدر السابق،ص102.

[3] ابن صعد ،المصدر السابق،ص225، 226.

[4] ابن مرزوق، المناقب المرزوقية، ص236.

[5] ابن الصباغ القلعي ،المصدر السابق، ورقة19 و، ورقة20ظ .

[6] الغبريني ، المصدر السابق ، ص125 ، 126.

أما المازوني فيروي أن الولي أبي يعقوب أتاه جمع من الفقراء برسم الزيارة ولم يكن عنده ما يطعمهم فحفر من مكان ترابا، واقتلع بصل العنصل، وأخذهم لزوجته وطلب منها أن تعد الطعام، فإذا بالرمل يصير دقيقا والبصل لحما، ففرحت وأعدت الطعام وحمدت الله ،فأكلوا منه وأقاموا ليلتهم بأنواع الطاعات حتى انفلق الصبح فصلوا جماعة ثم انصرفوا[1].

من هذه النماذج يتبين لنا أنّ طعام المتصوفة اكتسى صفة القداسة، فكانت البركة أهم ما ميزت طعامهم الذي يتحول قليله إلى كثير يلبي الحاجة ويبقى الفائض منه ، كما تصور لنا صفة الكرم التي كان عليها الأولياء حيث لا يخرج الضيف من عندهم إلا بعد القيام بواجب ضيافته ،كما تبرز فاعلية الصوفي في مواجهة الجوع كدور من أهم الأدوار الاجتماعية التي اضطلع بها الصوفية والأولياء بالوسط الريفي للمغرب الأوسط .

### 3_8 التوسعة على المكروبين

تولى الأولياء مهمة التفريج على المكروبين والتوسعة على المعوزين في أوقات المحن والشدائد،ومما ترويه الحكايات الكرامية عن مساعدة هؤلاء لمن لجأ إليهم ،أن الشيخ الصالح أبي العباس ابن القطان اشتكى إلى الولي محمد ابن مرزوق سوء حاله فزوّجه من ماله الخاص، ودفع إليه دراهم وأمره بالاسترزاق في التجارة، ففعل ما أمره به وأصبح يبيع ويشتري، ووسع الله عليه وكثر ماله ببركة الولي ابن مرزوق[2]،كما أنّ الشيخ حسين ابن الجلاب ذهب ماله الذي ورثه عن أبيه ولم يبق له شيء، وكان والده يتاجر بالغنم، فذهب إليه وشكا له حاله ،فأعطاه شيئا وقال له:«اتبع سبيل أبيك ، يفتح الله عليك »، فما إن مرّ حول حتى أصبح من المعروفين باتساع الحال[3].

[1] المازوني موسى ، المصدر السابق ،ص205، 206.

[2] ابن مرزوق ، المناقب المرزوقية، ص161، 162.

[3] نفسه، المصدر نفسه، ص162.

### 4/ آليات السيطرة الكاريزماتية

إنّ انسياق المجتمع وراء الأولياء وقدرتهم على توجيهه إليهم يقودنا إلى التخمين في وجود دوافع لذلك، وأنّ هذا الولاء صنعته القدرة الخوارقية لهم[1]، ونؤيد الباحثة نللّي سلامة وجهة نظرها في «أنه لا سيطرة كاريزماتية بدون إرادة في الطاعة ولا إرادة في الطاعة بدون مصلحة في الطاعة[2]»، فتيَقُّن المجتمع من قدرة الأولياء على قضاء حاجياتهم نابع من كاريزما[3] الولي، وبالتالي لا سبيل لهم سوى الانقياد والطاعة.

وقد صوّرت لنا كتب المناقب هذا الاعتقاد في الأولياء وبركاتهم وقدراتهم الخارقة، وعرفت بحقيقته الجوهرية، فبفضلهم تقضى الحاجات، ويسقى الناس، ويفرح المكروب، ويأمن الخائف[4]، وفيما يلي سأستعرض آليات السيطرة الكاريزماتية التي مارسها الأولياء مع المجتمع والسلطة على حدّ سواء.

#### 4_1 الدعاء:

يعتبر الدعاء إحدى آليات السيطرة الكاريزماتية حيث أصبح سلاحا بيد الأولياء سواء في علاقتهم بالسلطة أو بالعامّة، لكن الغالب في استعماله مع السلطة يكون بالدعاء على السلطان أي تكون نتائجه بصفة عامة سلبية، أمّا في استعماله مع الرعية فيكون بالدعاء لها وبالتالي تكون نتائجه إيجابية أي لصالحها، ومن الشواهد على الاعتقاد والإيمان في فعالية هذا الدعاء الرواية التي ذكرها ابن مرزوق، ذلك أنّه سمع الشيخ الصالح أبا الحسن بن ميمون يقول عن جده:«طالما كان سيدي محمد بين أظهرنا ، ما عدمنا خيرا ولا رأينا ضرا، من شكا منا فقرا أو مرضا ، أو أصيب بمصيبة ،سأله الدعاء فتقضى حاجته...وكثيرا ما كنت ألقى الناس في صغري وهم يقولون لي مثل هذا[5]»، ويروي أيضا أنه لقي الشيخ أبو محمد عبد الله

---

[1] يرى الأستاذ منصور بختي أنّ ولاء المجتمع المغرب أوسطي راجع إلى انتمائه الفكري، وطبيعته الدينية والمتمثلة في النقاط الأربعة التالية:التمسك بالفكرة، الغلو في الاعتقاد، سهولة التأثر، التعايش الطائفي.أنظر:منصور بختي دحمور، المرجع السابق، ص81.

[2] نللي سلامة العامري، الولاية والمجتمع،ص287.

وفي هذا المضمار يقول الأستاذ الميلودي شغموم:« فالبطولة في أي مجال لا تتحقق إلاّ إذا كان هناك من يتلقاها ويستفيد منها ويتمتع بها وهذا التمتع هو الشهادة على صدقها وواقعيتها....».أنظر:المتخيل والقدسي في التصوف الإسلامي،دار الحوار،ط2، 2011م،ص310.

[3] مجموعة من المواصفات التي يتميز بها الإنسان وتجعله قادرا على التحكم بعدة أشخا من خلال الاستعانة بأسلوب الكلام والأفعال المؤثرة عليهم بشكل كلي.أنظر:حميد نقروش،"في أصول الظاهرة المرابطية في منطقة القبائل:نظرة حول المفاهيم :الرباط،المرابط، الظاهرة المرابطية، الشريفية والفقيه"،آفاق فكرية،المجلد2،4(2018)،ص212.

[4] ولخّص لنا المازوني مناقب هؤلاء الأولياء ودورهم في قوله:« بهؤلاء الرجال هُدِيَ الخلق وبهم ينصَرون ويمطرون وبدعواتهم تدفع الشدائد ومن دعوا له أفلح ومن شفعوا فيه في الآخرة نجا فمن أحبّ الخير عظّمهم ولم ينقصهم وجرى على وفق مُرَادِهم فقد وصل بين نفسه وبينهم فإن لم ينجه اقتداؤه بهم لكثرة مخالفته شفعوا فيه في الآخرة بحبه فيهم،».أنظر: المازوني موسى ، المصدر السابق ،97 .

[5] ابن مرزوق ، المناقب المرزوقية ، ص165.

الونشريسي فقال له:« أهلا وسهلا بابن الجدّين،دعا لي جدك لأبيك وجدك لأمك فأجيب في دعاءهما[1]».

وفيما يلي سأستعرض مجموعة من النصوص الواردة في كتب المناقب حول كيفية استعمال الدعاء وتوظيفه، لنرى مدى تأثيره على الاعتقاد ودوره في علاقة المجتمع و السلطة السياسية بالأولياء:

روى ابن مرزوق أنّ ولدا كان يخدم الشيخ الولي محمد ابن مرزوق(629_681هـ)بالبادية، فسعى قوم من قبيلهم في الولد فأُدخل السجن، فأتت والدته إلى الولي محمد ابن مرزوق تشتكي أمرها فدعا لها، فقالت له ما أريد منك دعاء وإنّما أريد أن تكلم لي السلطان، فقال:« مالي وللسلطان؟ ومن أين أعرفه أو يعرفني؟»،وما إن انتصف الليل حتى أتى وزراء السلطان وحُجّابه والولد معهم، واعتذروا له نيابة عن السلطان، وأخبروه أنّه أطلق سراحه بعدما أتاه رجل في المنام وقال له :« قم وأطلق الرجل الذي تكلّم فيه أبو عبد الله ابن مرزوق» ،فاستيقظ ثمّ عاد إلى النوم، فأتاه الرجل على ثلاث مرات يحثه على إطلاق سراح الولد[2].

يصوّر لنا هذا النّص المنقبي التجاء النّاس إلى الأولياء عند الشّدة ،ويعطينا صورة واضحة عن موقف الولي ابن مرزوق من السلطة( مالي والسلطان)، كما نرى عدم اقتناع المشتكية بدعاء الولي وكأنّها تبحث عن حل ملموس ،ثمّ نلاحظ بروز فاعلية الولي بحضور أعوان السلطان وإطلاق سراح الولد وثبوت نجاعة الدّعاء الذي بدا للمرأة في الوهلة الأولى أنّه لن يأتي بنتيجة.

يتحدّث المازوني في مناقبه عن اقتحام أمير بني توجين عبد القوي بن العباس[3]زاوية الشيخ أبي يعقوب، بعدما علم أنّ ذخائر مغراوة وُضعت كلّها بزاويته ،واستلب كلّ ما فيها، وانتهك الحريم، والشيخ ينظر إلى كلّ ذلك ،ولما هم الأمير بالانصراف طلب من الشيخ الدعاء، فردّ سيدي يعقوب يا عبد القوي وكرّرها ،ومراده الدعاء عليه وليس له[4]، وهو ينظر إلى السماء، والنساء والأطفال والشيوخ يبكون حوله،فلم

---

[1] ابن مرزوق، المصدر السابق ،ص165.

[2] ابن مريم، المصدر السابق،ص151-153.

[3] عبد القوي بن العباس بن عطية الحيو،كانت رياسة بني توجين عند انقراض أمر بني عبد المؤمن كلها بيده، وهو من بني منكوش أشهر بطون بني توجين، وقد كانت رياستهم في البداية لعطية بن مناد بن العباس بن دافلتن المدعو"الحيو"،ولما هلك خلفه العباس ثم ابنه عبد القوي..أنظر: ابن خلدون عبد الرحمان ، تاريخ،ج7،ص206، 207.

[4] إنّ ما قام به أمير بني توجين يعتبر في لغة التصوف تحديا لا يقوم على أساس من العدل والحلم ، كما يعتبر بحسب لغة الكرامة إعلانا عن نهاية السلطان المعترض وانقضاء مدته على النحو الذي حفظه لنا هذا النص.أنظر:عبد الهادي البياض ، جوانب من تاريخ النخبة الصوفية بمغرب العصر الوسيط ، مقال ضمن كتاب النخبة في تاريخ الغرب الإسلامي ،ضوابط المفهوم وتجليات الأدوار ، تنس و تق :محمد البركة ،

يلبث الأمير أن أهلكه الله تحت مجشر أبي حرش، ولما رأى بنو توجين ما حلّ بأميرهم أصابهم الروع وردّوا كل ما أخذوه إلى الزاوية[1].

تبرز فاعلية الولي في هذا النص من خلال التفاف الشيوخ والنساء والأطفال حوله والبكاء عنده فيظهر تعاطفه معهم بالدعاء على أمير بني توجين واستعماله كوسيلة لتحقيق المراد، ورفع الظلم، وهو ماحصل فعلا باستجابة الدعاء، فهنا تبرز سلطة الولي بواسطة الكرامة وهي الدّعاء، فاعلية بارزة تزيد في نسبة التفاف العامة حول الأولياء، وتذكي الاعتقاد فيهم بصورة واضحة، ويتجلّى ذلك في إرجاع بني توجين ما أخذوه خوفا منهم أن يحلّ بهم مثل ما حلّ بأميرهم، كما نلاحظ أنّ المواجهة تحسم دائما لصالح الولي وهو ما يرفع من صورته الكارزماتية.

أورد المازوني نصا آخر يبرز فيه توظيف الدعاء من طرف الولي أبي البيان واضح لإفشال حملة أمير بني توجين على مغراوة وملخص الحادثة أنّ محمد بن عبد القوي نزل بعدوة واد رهيو تجاه زاوية الشيخ سيدي واضح طالبا الثأر من مغراوة قَتلةَ ابنه زيان، فهلع النّاس منه وفروا إلى زاوية الشيخ مستجيرين به باكيين خائفين على أنفسهم وحريمهم و نهب أموالهم ، فخرج سيدي واضح وقت الفجر وتضرع إلى الله أن يدفع شرّه عنهم ، فأصيب محمد بن عبد القوي بوجع وانتفخ بطنه لدرجة أنّه كان يصبّ من فمه ودبره ، فنصحه بعض خاصته بترك الإغارة ،ونبّهَهُ إلى أنّ ما أصيب به هو بسبب غضب الولي الصالح عليه لما فعله مع جيرانه ،فأرسل محمد بن عبد القوي فارسين إلى زاوية سيدي واضح وطلبا منه أن يرقي لهما ماء، فرقاه وأخذاه إلى أميرهم فلمّا شربه زال وجعه ،فصعد إليه من الغد متذللا واستبشر النّاس وأمنوا به[2].

في هذا النص تبرز سلطة الولي بواسطة الكرامة وهي "استجابة الدعاء ،شفاء الأمير بعد رقي الماء" حيث ساهمت في رسم صورة دور الولي في إلغاء الإغارة وتوفير الأمن والحماية للرعية ،كما نلاحظ أنّ العقوبة تكون بصورة آنية وفورية لا يرفعها إلاّ رضا الولي مجددا ، وما يشدّ الانتباه في هذا النص هو الإشارة إلى التأثيرات الاجتماعية التي خلّفتها هذه الإغارة من( خوف وفرار بالخيام والمواشي إلى زاوية الشيخ ،البكاء من شدة الروع )،وفي خضم هذه الأحداث المروعة برزت فاعلية الولي الاجتماعية بالصلاة والدعاء وبالتالي طمأنة الرعية لأنهم يعتقدون في هذا الولي، فهم يعلمون أنّ شيئا ما سيحدث ويغير الأوضاع، وهو ما حصل فعلا فكانت الكرامة بإصابة أمير بني توجين "الدعاء"، ثمّ الكرامة مرة أخرى بشفائه"الرقية"، ثمّ

---

منشورات مختبر البحث في العلاقات الثقافية المغربية المتوسطية ،جامعة سيدي محمد بن عبد الله،الكلية متعدّدة التخصصات ،تازة، ،دط ،2015م، ص206.

[1] المازونيموسى ، المصدر السابق، ص 197،198.

[2] نفسه ، المصدر نفسه ، ص145،146.

الفرج وهدوء الرّعية، وشعورها بالأمن والحماية بعد توبة محمد بن عبد القوي وتراجعه وكل هذا بفضل الولي سيدي واضح، ومن هذا النص يتبين دور الزاوية في إيواء المظلومين وتوفير الأمن والحماية لهم.

كما صوّرت لنا بعض الروايات المنقبية وظيفة الدعاء في إدانة بعض مظاهر السياسة الضرائبية المتعسّفة، ومنها ما يشير إليه النص المنقبي لابن مريم والذي يروي لنا قصة سيدي عبد الله بن منصور الحوتي مع سلطان تلمسان، وذلك أنّه طلب رؤوس أهل البلد في السلف ورمى عليهم مالا عظيما، والناس في أمر عظيم، فشكوا أمرهم إلى الولي عبد الله بن منصور، فركب دابته وطلع من عين الحوت قاصدا السلطان، وطلب منه أن يرفع عن الناس ما أمرهم به ،فامتنع فقال له:«أفسدت بيت مال المسلمين وتطلبهم السلف والله ما يعطونك إلاّ الوجع[1]»، وما إن انصرف حتى أخذ السلطان وجع شديد صار يصيح منه، فتبعه وزراء السلطان وردّوه فوضع يده على بطنه ومسح فبرئ من حينه[2].

يظهر لنا النّص المنقبي لجوء المجتمع للأولياء وقت الشدة ،وموقف الولي ووقوفه إلى جانب الفئات المتضررة من الضرائب ،وتعاطفه معها، وسعيه لإيقاف هذه السياسة بالرفض، ومواجهة السلطة بكل قوة ودون أي خوف، ثم نرى توظيف الدعاء بعد رفض الطلب، ثمّ حصول الكرامة وهي استجابة الدعاء ، هذا ما ينمّي الاعتقاد في نفس السلطان ويجعله يتراجع في قراره وينفذ أمر الولي ويطلب رضاه ،كما أبرز لنا النص عدم رضا المجتمع بما فيهم الأولياء عن سياسة الحاكم وفشله في تصريف الأمور واستغلال أموال المسلمين لخدمة مصالحهم، وهو ما يتضح من خلال معاتبة الولي للسلطان بسبب إفساده بيت مال المسلمين.

وفي نص لابن مرزوق نرى توظيف الدعاء للتفريج عن المكروب، ومختصر النص أنّ أبي العباس بن القطان كان في شبابه ضعيفا محتاجا وكان يتيما، فقصد الشيخ محمد ابن مرزوق (جد الخطيب) وشكا إليه سوء حاله فاقترح عليه الزواج وقال له: تتزوج ويصلح حالك إن شاء الله ويكثر مالك، فوافق ابن القطان وقد كـان الصداق من مال ابن مرزوق، ثمّ أعطاه دراهم وأمره بالاسترزاق في التجارة،فخرج مسافرا لذلك وغاب مدة ،ثم رجع إلى أهله ووطنه، ويختم ابن مرزوق نصّه بقول ابن القطان:« فحملت بعض المتـــاع، وبعت واشتريت متاعا، وجئت به، ففتح علي واتسع حالي وكثر مالي،....وكان قد دعا لي عندما شكوت له أوّلا بحالي ، فقال لي رزقك الله رزقا حلالا طيبا، دارا مقيما بأهله، فلم أسافر بعد[3]».

[1] ابن مريم ، المصدر السابق ،ص137.

[2] نفسه ،ص137.

[3] ابن مرزوق ، المناقب المرزوقية،ص161، 162.

نلاحظ اهتمام النص المنقبي بذكر الآلية التي استعملها الولي في التوسيع على المكروب، فبعدما ذكر تفاصيل الحوار الذي جرى بين الولي والمشتكي أشار إلى الآلية في نهاية النص بقوله:« وكان قد دعا لي عندما شكوت له أولا بحالي» أي لولا بركة الدعاء لما وُفّق المشتكي في ما سعى إليه، كما نتبيّن من هذا النص وجوب الأخذ بالأسباب فرغم أنّ الولي دعا لابن القطان وأنه كان متيقن في استجابة دعائه إلاّ أنه اتبع المسار اللازم لحصول الرزق و سعى إليه بامتهان التجارة.

## 4-2 المكاشفة:

مارس الصوفية في كرامات المكاشفة سلطتهم واستعرضوا قوتهم، بما كانوا يقومون به من إخبار الناس بأمورهم الغيبية من كوارث ووقائع وأشياء فعلوها سرا، فيكون وقعها شديدا عليهم وعلى المنكرين للكرامة وقد كانت برهانا على سطوة الصوفية[1]، ومن النماذج التي عكست لنا هذه الظاهرة ،حديث المازوني عن الولي سيدي واضح ، والذي كاشف السلطان الزياني يغمراسن بجمعه بين أختين نصرانيتين، حيث أدّبه وانبعث معه في الكلام قائلا: «ما خير لذّة ساعة مصيرها بصاحبها إلى عذاب الله[2]»، فخرّ السلطان بين قدميه معلنا توبته وعدم رجوعه إلى هذه المعصية، وترجاه بكتم هذه الرذيلة فقبل الشيخ شرطه، وأمره أن يمسك إحداهما ويترك الأخرى كما أمر الشرع[3] .

وفي هذا أورد المؤلف بيتان من الشعر يقول فيهما[4] :

تفنى اللذائذ ممّن نال شهوته من الحرام ويبقى الإثم والعار

تبقى عواقب سوء في مغبتها لا خير في لذة من بعدها النار

إذن من هذا النص يتبين دور الكرامة وهي"المكاشفة" في قدرة الولي على المواجهة وتوبيخ المذنب وهو السلطان دون أي خوف،ثمّ نلاحظ استعمال الوعظ والإرشاد كأسلوب ثاني،ثمّ نلاحظ نجاعة الأساليب المستعملة وذلك بإعلان التوبة والرجوع عن المعصية ، إذن فمكاشفة الولي للسلطان هي كتهديد له في حال عدم التوبة، ويمكن أن تستعمل كنقطة قوّة بالنسبة للولي ليكون وسيطا بين السلطان والرعية في قضاء حوائجهم .

[1] الطاهر بونابي، الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين 14-15الملاديين،ج2،ص683.

[2] المازوني موسى، المصدر السابق ، ص 137،138.

[3] نفسه ، ص138.

[4] نفسه، ص 138.

أورد المازوني نصا آخر يتحدث فيه عن إغارة جيش ابن غانية[1] على زاوية الولي سيدي أبي يعقوب التي كانت كثيرة العمارة، فسلبوا الأموال والأثاث وانتهبوا المواشي، فقصده الشيخ بنفسه وكان جسيما تام الصورة، فلمّا رآه ابن غانية قال في نفسه ما لهذا الحبر السمين؟ فكوشف بذلك ولمّا قرب منه أمره بالجلوس أمامه فقال له :«ليس ذلك محل الحبر السمين »، فأخذه الروع وتغير لونه ، وقال له الولي :كيف يغير جيشك على زاويتي ؟ وطلب منه أن يتق الله في أموال المسلمين،فأعاد ابن غانية للشيخ كلّ ما تمّ أخذه[2].

إذن تأتي" المكاشفة" هنا كسبيل لهداية صاحب الفساد والظلم وهو ابن غانية ، وهو ما حدث فعلا حيث تراجع عن فعلته وأمر بردّ ما تمّ نهبه ، ولو لم تبرز هذه الآلية والتي أرعبت ابن غانية وجعلته يعتقد في هذا الولي لما ردّ ما أخذه ،كما يتبين دور الأولياء في الوقوف إلى جانب المجتمع في رفض سياسة السلطة والاحتجاج ضدها خلال الحروب، والقدرة على مواجهتها بدون هيبة ،والدليل على ذلك هو توجه سيدي يعقوب إلى ابن غانية بنفسه.

وتحدث ابن مرزوق عن الشيخ الولي سيدي سليمان السائح وقد كان منقطعا بجبل مديونة حيث انتفع به والده، وقد كاشفه بما حلّ بتلمسان قبل وقوعه بثلاث سنوات[3].

كما ذكر المازوني أن الولي سيدي واضح كاشف السلطان يغمراسن بأنّ ولده عثمان هو من يخلفه في الحكم ، وقد سرّ السلطان بذلك لبقاء الملك في عقبه[4].

يورد هذان النصان نوعا من التنبؤات السياسية" مصير بلد تلمسان ، مآل الحكم الزياني" ، فمكاشفة الولي للسلطان جاءت دون استفسار من السلطان ،فجاء التنبؤ لشحذ الاعتقاد بقدرة الولي على معرفة الغيب، وإضفاء مشروعية على عملية استشارته،كما أنّ وظيفة هذا الخطاب هي إظهار لقدرات الأولياء الخارقة وأنّ تنبؤاتهم لا تحتمل الخطأ ووجب التصديق بها لأنّها صادرة عن أشخاص غير عاديين، وترى نلي سلامة أن المكاشفة بالمستقبل هي ترويج لنموذج الولي المتنبئ و تفنيد لأقوال منتقديه وشحذ لإيمان معتقديه[5].

---

[1] يطلق على رجلين من قبيلة مسوفة نسبة إلى أمّهما غانية التي كانت من القصر المرابطي وهما يحي ومحمّد وكانا من شجعان يوسف بن تاشفين فأمّا يحي فقد ولاّه مدينة قرطبة ،وأما محمد فولاّه على الجزائر الشرقية وميورقة و منورقة وقد رفضوا الدّخول في دعوة الموحّدين.أنظر : ابن خلدون عبد الرحمان ،تاريخ ابن خلدون ،ج6 ، ص 252، 253. أنظر أيضا : المرّاكشي،المصدر السابق ،ص195، 196.

[2] المازونيموسى ، المصدر السابق ، ص 196،197.

[3] ابن مرزوق ، المناقب المرزوقية ، ص209.

[4] المازوني موسى، المصدر السابق، ص140، 141.

[5] نللي سلامة العامري، الولاية والمجتمع، ص328 ،329.

وفي نفس المنحى يتحدث ابن قنفذ عن والد جدّه للأم يعقوب بن عمران البويوسفي والذي قال للسلطان الحفصي أبو يحي أبو بكر يوم مبايعته: « تطول مدّتك إن شاء الله و تأمن من القتل[1]»، وقد كان يقتحم الدخول في القتال ولا يحذر من ضارب، حتى أنه أصيب في إحدى المرات بجروح كبيرة قال لأطبائه:«سيدي يعقوب وعدني بالموت على سرير العافية[2]».

في النص تأكيد على وجوب تصديق وعود الأولياء وتنبؤاتهم فهي حتما ستتحقق ،فالوعد الذي قطعه الشيخ للسلطان بأنه لا يقتل، هو وعد لا يحتمل الفشل ، بل يظل صامدا أمام كل المثبطات وهو ما حصل فعلا فرغم الجروح التي تعرض لها إلا أنه معتقد في ما قاله له الولي .

### 4-3 الخوف:

تعددّت الروايات الواردة في كتب المناقب حول استحكام الأولياء وسرعة انتقامهم إذا انتهكت حرمتهم أو قوبلوا بالرفض عند طلبهم قضاء حاجات معينة، فكان مجرّد غضبهم أو تهديدهم بالانتقام له فعالية و يأتي بنتيجة، فكان الخوف من أهم الأسباب التي رسخت الاعتقاد في الأولياء ورافد من روافد السيطرة الكاريزماتية.

جاء في أنس الفقير أن الولي يوسف بن يعقوب الملاري حضر يوما عند الخليفة الحفصي بالجامع الأعظم بقسنطينة، وطلبه في حوائج قضاها كلها إلا واحدة في تسريح مسجون تردد السلطان في قضائها فقال له الشيخ بعد أن شدّه من صدره على الثوب:«والله إن لم تطلقه لا خرجت عنك إلاّ غير طيب»، فأبى السلطان ،فانصرف الشيخ بانزعاج وبغير سلام ،ثمّ حرك السلطان تواضعه واعتقاده وفضله ،وقام وتبعه ،وأمر أخاه أن يبادر إليه ليوقفه ،فقال له السلطان:«لا تأخذ علينا يا سيدي ونحن أولادك» ،وقضى له حاجته[3].

وفي رواية للمازوني أنّ السلطان أبي حمو موسى جهّز جيشا قاصدا مكناسة الذين ضربوا خدّامه، ومزّقوا أثوابهم عليهم وجرحوهم، فلمّا علمت مكناسة بذلك اتجهت إلى الولي الصالح سيدي عزّزو والتفّوا حوله صغارا وكبارا يبكون، وأخبروه بحركة السلطان إليهم ،فأمرهم بالانصراف وأنه سيتوجّه إليه لينظر لهم في الأمر، ولما حل الغد ووصل الجيش لخناق رهيو، اتجه سيدي عزوز إلى السلطان وهو راكب فصعد إليه وخنقه وأبى أن يتركه حتى يقضي حاجته، فوعده السلطان بقضائها وهي الرجوع بجيشه وترك سبيل

[1] ابن قنفذ ، أنس الفقير،ص40 .
[2] المصدر نفسه، ص41.
[3] المصدر نفسه، ص44.

مكناسة،فخلى سبيله ونزل ،وقفل السلطان راجعا، وعندما انزعج الجيش بالرجوع وكثر كلامهم قال لهم: «اتقوا الله فينا وأبعدونا من دعوة سوء والله ما حسست روحي إلا قريب تخرج من هيبته... [1]».

من خلال النّصين، نرى سعي الأولياء لقضاء حوائج المجتمع عن طريق ممارسة نوع من العنف تجاه السلطة عند عدم الاستجابة لهم والذي يعتبر تحديا لهم، ممّا يثير غضب الولي ويجعله غير راضي، هذا ما يؤدي به إلى توجيه تهديدات والتي تشكل ضغطا على السلطة ، التي تخاف من حلول العقوبة، هذا ما يجعلها تعيد النظر في قراراتها ، فنلاحظ أنّ الخوف شكل وسيلة للردع وهو ناتج عن الاعتقاد في الأولياء واليقين في وقوع كرامة ما جرّاءَ مخالفة أمر الولي، كما أنّه لا يمكن الحديث عن الخوف بمعزل عن الدعاء فبواسطته يجلب الولي الخير، وبواسطته تنزل المصائب .

ممّا سبق نستنتج أنّ العنف الممارس من طرف الولي اكتسى وظيفة مثالية حيث أصبح مجرد الإيماء باستعماله رادعا في حدّ ذاته وله نفس الفعالية المنسوبة إليه عند الاستعمال الفعلي.

كما يتضح من خلال النصوص المدرجة سابقا أنّ معظم التدخلات كان هدفها قضاء حوائج سكان الوسط الريفي، إلاّ أنه لا تحقيق لهذا الهدف ولا فعالية لتدخل الولي بعيدا عن السيطرة الكاريزماتية، فبغيابها تزول مصلحة السلطة السياسية، وبالتالي التخلي عن تحقيق متطلبات الولي والنزول عند رغباته، إذن هناك علاقة طردية بين تعاظم نفوذ الأولياء لدى الحكام "تنفيذ طلباتهم وقضاء حاجاتهم" وتعاظم نفوذهم لدى العامة"إضفاء المشروعية، استتباب الأعراب ".

[1] المازوني موسى ، المصدر السابق ، ص402،403.

## 5/علاقة متصوفة الأرياف بالسلطة السياسية والدينية

### 5-1- علاقة المتصوفة بالسلطة:

تعتبر مسألة السلطة في الإسلام من القضايا التي ساهمت في خلق أدب غزير وجعل الدين موضع أخذ ورد ،لكن إذا كان رأس الأمة أميرا أو سلطانا أو خليفة فهو علاوة على ذلك زعيم ديني، لكنّه لم يكن أبدا شخصا مقدسا فلا وجود في الإسلام ل"كرامات سلطانية "،هذا ما جعل سلطته ضعيفة وقابلة للجرح[1]، ولعدم تمتع السلطان بأي كاريزما تذكر،فإنه كان عرضة لأي ثورة من الرعية الناقمة من السلطة والمصممة على النيل منها، لهذا فإن التفافهم بالمتصوفة والتقرب إليهم كان لأجل إضفاء الشرعية على حكمهم وكسب ولاء الرعية.

#### أ/ أوجه المعارضة السلمية للمتصوفة

إنّ ما اتخذه الصوفية إزاء السلطة من اعتزال ونفور ليس بالضرورة تعبير عن المعارضة الصوفية تجاه سياستهم، لأن السير في ركاب الأمراء والتقرب إليهم في لغة التصوف أمر يتعارض مع الولاية والصلاح ،لأن ذلك قد يقودهم إلى الانبهار بمكانتهم والوقوع في حبال الجاه، وقد أكّد لنا الثعالبي على تجنب صوفية بجاية مخالطة السّلطان بقوله:«....رحلتُ في طلب العلم من ناحية الجزائر آخر القرن الثامن فدخلت بجاية عام اثنين وثمانمائة، فلقيت بها الأئمة المقتدى بهم في العلم والدين والورع أصحاب الفقيه الزاهد الورع عبد الرحمان الوغليسي وأصحاب الشيخ أبي العباس أحمد بن إدريس متوافرون يومئذ، أصحاب ورع ووقوف مع الحد، لا يعرفون الأمراء ولا يخالطونهم، وسلك أتباعهم مسلكهم كشيخنا الإمام الحافظ أبي الحسن علي بن عثمان المنكلاتي..[2]»، وقد يكون تجنّبهم لملاقاة السلاطين ومخالطتهم خوفا على فقدانهم لبعض الأحوال، وفي هذا المنحى يحدثنا المازوني عن أحد الأولياء وهو أبي الأمان ابن يلارزج حيث قال لأخص أصحابه لما حضرته الوفاة: «كانت لي أحوال فقدتها من يوم اجتماعي بالسلطان وحديثي معه فإياك ولقاء الناس[3]» ،و أورد المازوني في ذلك بيتين من الشعر لمحمد بن أبي نصر فتوح الأزدي القرطبي يقول فيهما:

---

[1] حليمة فرحات، السلاطين والأولياء والفقهاء ومسألة السلطة،ص63.

[2] التنبكتي أحمد بابا ،نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تق،عبد الحميد عبد الله الهرّامة، دار الكتاب، طرابلس، ط2، 2000م،ص228.

[3] المازوني موسى،المصدر السابق،ص410.

لقاءُ النّاسِ ليس يفيد شيئا سوى الهذيانِ من قيلٍ وقالِ

فأقلل من لـقـاء الناس إلاَّ لأخذ العلم أو لِصَلاح حال[1]

تعدّدت الروايات الواردة في كتب المناقب حول مواجهة المتصوفة للحكام جراء معاملاتهم التعسفية، والتي كانت في أغلب الأحيان تتم بالوعظ والنصح ،أو الدعاء أو بعض الأفعال الكرامية، وصورت لنا رواية لابن مريم دور هؤلاء في الدفاع عن دار الإسلام، وذلك أنّ سلطان تونس نزل بمحلته على باب القرمادين من مدينة تلمسان فأتاه من عين الحوت الشيخ الولي سيدي عبد الله بن منصور الحوتي المغراوي ودخل عليه بعدما أذن له بذلك، وقال له: أنت ظالم لا يحلّ السلام عليك، لأنك تخرب بلاد الإسلام ما عندك عند هؤلاء الناس؟ فقال له السلطان: «أنتم الفقراء دخلتم في مسائل لا تعنيكم»، فضربه الشيخ بعصا ونزلت غيمة وريحا وظلمة هربت خلالها بعض البغال والخيل ،كما رمت الريح بعض أخبية المحلة وأصبح لا يرى شيء، والسلطان يصرخ أنا تائب ،فانزاحت الظلمة وطلب منه الشيخ الرحيل، فقال له السلطان الحفصي: يعطيني صاحب تلمسان ما ضاع في المحلة فقال له:«والله ما يعطيك درهما واحدا لو كانت بلدة كفار يعطيك والله إذا ما رحلت من هذه الساعة ما تربح[2]».

لقد اتسمت معارضة المتصوفة في الغالب بالسلمية[3]، حيث لم نر في أي موقف من مواقف المتصوفة ثورة ضد السلطان والدعوة للخروج عليه، وهذا دليل على تمسك هؤلاء بمذهب أهل السنة والجماعة ،فلم نر عند متصوفة المغرب الأوسط بصفة عامة ومتصوفة أريافه بصفة خاصة أي محاولة لمنافسة السلطة في تقلد الحكم رغم ما وصلوا إليه من نفوذ، ولم تكن مخالطتهم لذوي السلطان إلا من أجل قضاء حاجيات الرعية كالشفاعة في تسريح مسجون أو إعفاء من الضرائب أو غيرها من متطلبات الرعية، وكل هذا دليل على عدم نفي هؤلاء الصوفية للاعتبارات المذهبية في نشاطهم.

غير أنّ المجالات الريفية لبلاد الزاب قد شهدت مظهرا من مظاهر الثورة على الحكم وعدم الرضا عنه ، لكن ليس بهدف الوصول إلى كرسي الحكم ،بل تحت شعار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإحياء السنة ، وقد كانت هذه الحركة من وسط صوفي أعرابي هلالي رياحي بالتحديد، فقد قام سعادة

[1] المازوني موسى ،المصدر السابق،ص411.

[2] ابن مريم،المصدر السابق،ص136-137.

[3] يرى محمد المازوني أنّ الأساليب السلمية تبعد الأولياء عن المجابهة السافرة التي قد تجرهم نحو متاهات غير مضمونة النتائج ،فسمة المسالمة تكسبهم مزيدا من الاعتبار وولاء الأتباع وحيطة معارضيهم.أنظر :دراسات في تاريخ التصوف المغربي،جامعة ابن زهر،أكادير، دط، دت،ص92.

الرياحي بدعوة عامل الزاب منصور بن فضل بن مزني بإعفاء الرعايا من المكوس و الظلامات فامتنع عن ذلك ،فتحول من سلميته إلى ثورة خاضها ضدّه رفقة أتباعه السنية[1].

أمّا الشكل الثاني للمعارضة الصوفية ، فيتمثل في غلق باب التعامل مع السلاطين حيث رفضوا الانتفاع بأموال السلطان ، ويرجع ذلك إلى منحاهم الزهدي وحرصهم على الكسب الحلال ، فأموال السلطان في نظرهم أموال مشبوهة، وفي هذا المنحى تكفي الإشارة إلى إلحاح يعقوب بن عمران البويوسفي على تلميذه برد المال الذي دفعه له الحاجب الرئيس أبو عبد الرحمان ابن عمر و وصفه "بالشوك"[2]، وفي مقابل ذلك فلم يكن لديه حرج في التعامل مع السلطان والسعي لقضاء حاجات الرعية ،« فقد وضع الله له القبول عند الأمراء الراشدين رضي الله عنهم، وأعانهم على ما يرضاه منهم وعند ولاتهم في قضاء الحاجات وقبول الشفاعات وكف المدعى عليهم بالجنايات فكان يدخل بذلك على المكروبين المسرات[3]».

ولم يقتصر رفض المتصوفة على الأموال فحسب، بل حتى الطعام المقدم من طرف السلطان ردّه المتصوفة وحسبنا في ذلك أنّ السلطان الزياني أبي حمو موسى بن عثمان قدّم طعاما للولي سيدي أبي عبد الله محمد بن يحي فامتنع من أكله فقال له :«أتتورّع عن أكل طعامي ؟ تقول إنّه حرام ،فقال له: ومن أين جاءك الحلال؟[4]»، و هذا دليل على حرص المتصوفة على طلب الحلال في كل شيء.

و إلى جانب هذا،فقد رفض بعض المتصوفة زيارة السلاطين لهم والالتقاء بهم ، وفي هذا يحدثنا ابن مرزوق عن جده أبو عبد الله محمد ابن مرزوق الذي قال:«وأما الاجتماع بالسلطان فهذا شيء لا أستطيعهولا أعمله، ولا أقدر على التّوجه إليه ولا على وصوله هو إلي،ولعل لهذا وقت غير هذا إن شاء الله تعالى[5]».

[1] ابن خلدون عبد الرحمان ، تاريخ ابن خلدون،ج6،ص51.

[2] ابن قنفذ، أنس الفقير ، ص40،41.

[3] نفسه،ص44.

[4] المازوني موسى، المصدر السابق ،ص398.

[5] ابن مرزوق، المناقب المرزوقية،ص152.

**ب/سياسة السلطة تجاه الصوفية**

أما في ما يخص تعامل السلطة تجاه المتصوفة، فقد سعت إلى استعمالهم ومشاورتهم في بعض الأمور السياسية وحسبنا في ذلك أنّ المجلس الذي عقده السلطان الحفصي أبو البقاء خالد للتشاور بخصوص خيانة محمد بن يوسف الهمداني الأندلسي المعروف بابن الأمير له ومعارضته والعقوبة الواجبة فيه، كان فيه الولي أبو يوسف بن يعقوب البويوسفي الملاري[1].

كما كان السلاطين يُبَجلون الأولياء ويحترمونهم ويعتقدون فيهم، وحسبنا في ذلك أن السلطان الزياني يغمراسن كان كثيرا ما يجالس الصلحاء ويكثر من زيارتهم ،فقد ارتحل إلى جبل آفرشان من شلف لزيارة الولي أبي البيان واضح حتى يتبرك به ويلتمس منه الدعاء[2] ، كما كان شديد الحرص على الاجتماع بالولي محمد ابن مرزوق فقد «أرسل له من خواصه وقرابته يتلطف له في أن يجتمع به فتمادى على امتناعه[3]»، كما كان يترقبه خفية عند مسجد مرسى الطلبة ،وصلّى معه عدة مرات رجاء أن يسلم عليه ، فلم يقدر على ذلك، فتارة يتلبس بالنافلة حتى ييأس السلطان، وتارة لا يشعر به إلا وقد خرج، وقد باءت كل محاولاته للاجتماع به بالفشل فقال لخواصه:« هذا رجل حجبنا الله عنه ،وبكى ولكن لعل الله لا يحجبني عنه في الآخرة، وأنس بقوله لحاشيته قبل هذا : لعل لهذا وقتا غير هذا[4]»، ومن شدة تعلقه بأولياء الله فقد أوصى أن يدفن بجنب الشيخ محمد ابن مرزوق(629هـ_681هـ)، وأن يدفن أول صالح يموت بعده من جانبه الآخر، قائلا:«لعل الرحمة تكتنفني» ،فكان الولي الصالح أبو الجسن ابن النجارية أوّل من مات بعده[5].

وفي نفس المنحى نجد السلطان المريني أبي عنان عند اجتيازه على بني يجر من قبائل زواوة أُعلِمَ أنّ الشيخ الولي أبا عبد الله محمد بن موسى اليجري بتلك القبيلة، فأرسل إليه يطلبه في الاجتماع والتبرك به فوافق الشيخ على طلبه ،فأخلى له مجلسه العامر بالدين والصلاح وأكرم قدومه إكراما[6].

ولم تجد السلطة منفذا للهروب من النفوذ القوي للأولياء والمرابطين في المجال الريفي، فراحت تعفيهم من الجبايات والإتاوات ، وحسبنا في ذلك أنّ السلطان أبي حمو أعفى قبائل مكناسة من ضريبة

---

[1] ابن قنفذ، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية،ص157-158.

[2] التنسي، المصدر السابق، ص126.

[3] ابن مرزوق، المناقب المرزوقية، ص152.

[4] المصدر نفسه، ص153،154.

[5] المصدر نفسه،ص170.

[6] النميري، المصدر السابق ، ص254، 255.

الضيافة نزولا عند رغبة الولي سيدي عزوز[1]، كما تم إعفاء الولي سيدي سينا من دفع الإتاوة للسلطان والأعراب[2]، ويروى عن السلطان أبي حمو أيضا أنّ أحد المرابطين دخل عليه في بداية حكمه فسلّم عليه من غير أن يقبل يده ولا يبايعه، فاشتدّ غضبه فأُخبر السلطان أنّ هذا المرابط من أهل الله وأن هذه عادته مع غيره من الملوك فانكسر غضبه وأكرم المرابط و ولاّه قبيلة بأكملها ، فمن خلا ل هذا نرى أنّ السلطة استغلت النفوذ الروحي لهؤلاء المرابطين في المجالات الريفية حتى تتحكم في النسيج القبلي و تَأْمنَ من تمردات القبائل[3].

دون أن ننسى السياسة التي انتهجتها السلطة الحفصية والزيانية مع المرابطين السنة في الزاب، فرغم المواجهة التي كانت بين سعادة وعامل الزاب ابن مزني، وتأييد الأمير الحفصي أبو البقاء له في مواجهة هؤلاء المرابطين، إلاّ أنّهم سمحوا في النهاية باستمرار النفوذ الروحي لأصحاب سعادة الرياحي وأسرته حيث بقي لهم الحق في إجازة المسافرين وتوفير الأمن وفي ذلك يقول ابن خلدون:« يوجب لهم ابن مزني الرعاية وتعرب لهم أعراب الفلاة من رياح حقا في إجازة من يجيزونه من أهل السابلة»، بينما لم يغفل السلطان الزياني عن دعم هؤلاء المرابطين حيث كان يبعث لهم بالجوائز رغبة في ولايتهم ، وجائزة معلومة لابن الأزرق القائم بينهم بالفتيا في الأحكام والعبادات[4].

كما سعت السلطة لاستعمال المتصوفة في المجال السياسي لقدرهم و قيمتهم، فقد أرسل السلطان الحفصي أبو يحي أبو بكر إلى جد ابن قنفذ يوسف بن عمران البويوسفي ليأخذ له في الصلح بينه وبين السلطان الزياني أبي حمو[5]، وقد بلغ نفوذ أولياء أسرة البويوسفي لدى السلطة الحفصية حدّا أصبحوا معه مخصوصين بلقب السيادة :«ما يكتب إليه أحد من الأمراء الراشدين إلا ويخصه بالسيادة [6]»، ويرى الأستاذ بونابي أن هذا التعامل المتبادل بين الطرفين له بعد سياسي فبينما تدعم الزاوية الملارية الحكم الحفصي وتؤيده، تسعى السلطة لدعم الزاوية بالأعطيات وقضاء الحاجات، خاصة وأنّ نفوذها اتسع، فلم يعد يقتصر على المجالات الريفية "ملارة وأنحائها" فحسب، بل تعداه إلى مدينة قسنطينة وسهولها والتي أضحت فضاء للعرب الهلالية[7].

---

[1] المازوني موسى، المصدر السابق، ص402-403.

[2]الوزان ، المصدر السابق،ج2، ص28.

[3]التنبكتي ،نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، ص438.

[4] ابن خلدون عبد الرحمان، تاريخ ابن خلدون، ج6، ص51-53.

[5] ابن قنفذ، أنس الفقير، ص53.

[6]المصدر نفسه،ص45.

[7] الطاهر بونابي، الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين 8و9هـ/14و15م، ج2، ص702، 703.

ممّا سبق اتضح لنا:

• أنّ تقدير السلطة للأولياء وخدمتهم كان نتيجة لعدم منازعتهم في الحكم ،فقد اهتموا بالجانب الروحي للإنسان وكيفية تقوية إيمانه، ممّا جعل السلطة تكافؤهم بقضاء حاجياتهم خاصة وأنهم شريحة واسعة يُكِنُّ لها الجميع الاحترام و التعظيم .

• أنّ السلطة أرادت احتواء المتصوفة بالتقرب منهم والتبرك بهم إما اعتقادا في كاريزما الولي أو كسبا لولاء العامة وكسب ودهم .

• استعمل الأولياء لغة خاصة للتعبير عن معارضتم للسلطة وعدم رضاهم عنها ، فابتعدوا عن كل ما يمت للسلطة بصلة ،فرفضوا زياراتهم ،وردّوا أعطياتهم وهداياهم ،حتى أنهم امتنعوا عن الطعام المقدم لهم من طرفها ، فاتسمت معارضتهم للسلطة بالسلمية، ولم تصل إلى حدّ الصدام بين الطرفين فكانت هذه المعارضة كما أطلق عليها الأستاذ بريكة معارضة صامتة[1].

[1] مسعود بريكة ، النخبة والسلطة في بجاية الحفصية(7-9هـ/13-15م) ،دار ميم، الجزائر،ط1، 2014م.

### 5-2- علاقة الفقهاء بمتصوفة الأرياف:

تُشكّل النخبة بحسب مجالات بروزها مؤشرا لقياس درجة حركية مجتمع ما في المجال المعني بدراسة النخبة ،ذلك بأنّ اتساع نفوذه وتزايد تأثيرها يجعلان منها رقما ضاغطا ومرجحا في كل الميادين السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والمذهبية، وبحسب مجال اشتغال النخب وطبيعته يمكن أن تسهم في الاستقرار كما يمكن أن تكون سببا في الاضطرابات والمشاحنات[1]، وهذا ما يمكن أن نسقطه على فئتي الفقهاء والأولياء، خاصة بعد الالتفاف الذي لاقته فئة الأولياء من طرف العامة والسلطة على حد سواء، وهو ما لم يتقبله الفقهاء الذين رأوا أنّ مكانتهم وشرعيتهم بدأت تتراجع، وإذا كان الفقيه ينكر على الصوفي ابتعاده عن الشرع ،فإن الصوفي غالبا ما كان يطعن في سلطة الفقيه متهما إياه بالانحراف على ما كان يجب أن يسلكه بسلطته المؤثرة وذلك بسبب ارتمائه في أحضان السياسة ، ثمّ إنّ أهل الظاهر يعتقدون أنّ التأويل هو الاحتكام إلى الآيات أو الأثر كمخزون من القرائن الدالة في حد ذاتها ومقام البراهين، بينما يجمع أهل الباطن على أن القرائن النصية أو السمعية لا تفيد اليقين، ولا يمكن للاستدلال أن يقوم مكتفيا بها، وهكذا يقدم هؤلاء على تقييدها بالدلائل التي يرون أنها عقلية ، ويذهب أولئك إلى تغييبها في تصاعُدات التأويل الباطني ومطالبه[2] .

[1] عبد الهادي البياض،"جوانب من تاريخ النخبة الصوفية بمغرب العصر الوسيط "،مقال ضمن كتاب :النخبة في تاريخ الغرب الإسلامي،ضوابط المفهوم وتجليات الأدوار، ،ص191.

[2] أمال لدرع،الحركة الصوفية في بلاد المغرب الأوسط خلال العصر الزياني(633هـ-962هـ/1236م-1555م)،مذكرة ماجيستير في التاريخ الوسيط، إشراف: بوية مجاني، جامعة منتوري، 2006م، ص64، هامش رقم 7 ص 64 ،65.

**أ/أوجه التقارب والتضامن النفعي**

وعلى الرغم من أنّ الصراع بين الفقهاء والصوفية ظل قائما في المغرب الأوسط خاصة في ظل وجود التيارات الصوفية الفلسفية كالإشراقية[1] و وحدة الوجود[2] ، لكن ما إن اختفت أطاريح التصوف الفلسفي وحلّ محلها التصوف السني المعتدل، بالإضافة إلى دخول العديد من الفقهاء في سلك التصوف، حتى انتفى الصراع وحصل التقارب بين الفئتين[3] ،بل تكونت علاقات ودية بين الصوفية والفقهاء ، وفي هذا الصدد يحدثنا ابن قنفذ عن علاقة جده يوسف ابن يعقوب الملاري مع الفقيه أبو هادي مصباح بن سعيد الصنهاجي، حيث كان كثير الزيارة له بزاويته بملارة ،وكان كل واحد منهما يسعى لقضاء حوائج صاحبه[4]، ولا يمكن إنكار الدور الذي بقيت تضطلع به فئة الفقهاء بوصفها صاحبة مشروعية ،وإليها يعود النظر في مختلف المسائل المتعلقة بالحياة الدينية و الاجتماعية[5]، بما فيها المسائل الصوفية التي كان لهم فيها فتاوى وإصدار للأحكام كما هو الشأن بالنسبة لقضية الكرامة[6] .

رغم النفوذ الذي وصل إليه المتصوفة إلاّ أنّ هذا لا ينفي حاجتهم إلى الفقهاء ، وحسبنا في ذلك أنّ جد ابن قنفذ عندما كلّفه السلطان الحفصي أبو يحي أبو بكر ليتوسط بينه وبين نظيره الزياني السلطان أبي حمّو، لم يعط جوابا حتى عرض ذلك على الفقيه ناصر الدين المشدالي:« فترددّت في ذلك حتى أشاور ناصر الدين منصور بن أحمد المشدالي، فاجتمعت به فعندما رآني قال لي من غير ما أكلمه:"لا خير في كثير من نجواهم إلاّ من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس[7]" [1]»،

---

[1] يعتبر أصحاب هاذ الاتجاه أنّ الموجودات المادية والروحية في العالم بما فيها العقول المختلفة أصلها من نور الله الذي هو الإشراق، وذهبوا إلى أنّ مرتبة مشاهدة الله والاطلاع على أسراره والانتفاع بملذاته لا يتم التوصل إليه بالعقل وإنّما بالمجاهدات وأنواع الرياضة الشاقة والملخصة في المراحل التالية:مرحلة تلطيف السر أو ما يعرف بالأوقات الوجدانية التي تشرق فيها خلسات من الأنوار الإلهية على النفس ،ثمّ مرحلة السكينة التي يزيد فيها شروق الأنوار الإلهية وتصبح فيها ذات الصوفي مرآة عاكسة للذات الإلهية فيكون حين مشاهدته لذاته مشاهدا لله ،ثمّ تأتي مرحلة الغيبة عن النفس التي يشاهد فيها الله فيرى بعين الألوهية ويسمع بسمعها ويفعل بقدرتها، ومن رواد هاذ الاتجاه في المغرب الأوسط:أبو الحسن علي الحرالي التجيبي (ت638هـ) وهو من أدخله إلى بجاية وسار على نهجه أبو الفضل القرطبي(ت662هـ)و أبو زكرياء بن محجوبة القرشي السطيفي(ت677هـ)وغيرهم .أنظر:الطاهر بونابي،التصوف في الجزائر،ص143-147.

[2] تتلخص فكرة هذا الاتجاه في أنّ الله أراد أن يظهر الإنسان وسائر المخلوقات والموجودات ليرى نفسه في صورة تظهر فيها صفاته وأسماؤه، وذهبوا إلى أنّ كل ما نراه ليس إلاّ تعينات للذات الإلهية،ومن رواد هذا الاتجاه أبو العيش محمد بن أبي زيد عبد الرحمان (ق6هـ)و أبو الربيع عفيف الدين بن سليمان التلمساني(ق7هـ).أنظر:الطاهر بونابي،التصوف في الجزائر ،ص154-159.

[3] الطاهر بونابي ، الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين8-9هـ/14-15م،ج2،،ص686.

[4] ابن قنفذ،أنس الفقير،ص52.

[5]نللي سلامة العامري، الولاية والمجتمع،ص451.

[6] من الفقهاء الذين أفتوا في الكرامة ابن خلدون في مقدمته وابن قنفذ في أنسه وابن رشد في فتاويه وأبو عمران موسى المازوني في مناقبه...

[7] سورة النساء،الآية 114.

إذن نلاحظ تحفظ المتصوفة في مخالطة السلطان والخوف من الولوج في أمور السياسة، هذا ما جعل الولي يوسف بن يعقوب البويوسفي يستشير الفقيه المشدالي ليأخذ رأيه الشرعي في ذلك ،«إذن في توفير هذه المشروعية تكمن حاجة الأولياء إلى الفقهاء[2]».

لقد نقلت لنا كتب المناقب صورة مثالية عن العلاقة بين الفقهاء والأولياء ، وأظهرت لنا خضوع الفقهاء للأولياء واعترافهم لهم بولايتهم وبما يمتلكونه من كاريزما، وهي كأنها بهذا تضفي مشروعية سنية على المتصوفة من خلال شهادة أحد الفقهاء فيهم أو تقديرهم لهم ، ويؤكد هذا الطرح حديث ابن الصباغ القلعي عن الولي أحمد بن يوسف الملياني في قوله :« شهد له العالم الحافظ المتقن للمذاهب الأربعة سيدي أحمد بن الحاج اليبدري بالولاية، وهل جمع أحد من العلوم ما حدّ ما جمعه سيدي أحمد بن محمد بن الحاج من أهل زمانه ،فكيف يشك الجاهل في ولاية الشيخ سيدي أحمد بن يوسف رحمه الله بعد ما شهد له هذا الحبر الذي فاق أهل عصره في جميع العلوم[3]».

ومن بين الروايات التي صورت لنا هذا ،ما أورده ابن قنفذ عن علاقة جده يوسف بن يعقوب الملاري مع الفقيه أبي عبد الله محمد بن يحي الباهلي المسفر (ت744هـ)، وفي ذلك يقول:«عاشَرَ جدي للأم ورافقه وصافحه وعانقه وزار معه الشيخ أبى مدين[4]»،ثم يتحدث عن ما وقف عليه من مراسلات بينهما منها:«وليعلم سيدي أبو يعقوب أن كتابه وصل وكنت على شوق له ،فجدّد عندي ما لم يندرس وأكّد عندي ما لم يلتبس وتبرّكت به وتأنست بوروده...والأمل مرافقتكم والتبرك بكم ، ويا سيدي أبا يعقوب أذكروني ولا تنسوني فإني أطالبكم وجميع ساداتي الفقراء بالمواساة التي بنيتم عليها طريقتكم ولتعلم أنّي محب فيكم....ولا تقطعوا عنّي مكاتبتكم فإنّ لي فيها اعتقاد بركات واغتنام دعوات...[5]».

وفي كتاب آخر:«محمّد المسفر لطف الله به يسلّم على سيدي أبي يعقوب بن سيدي يعقوب.....وأمّا شوقه الذي برح واعتقاده فيكم الذي لم يبرح فأكثر ممّا تعرفه وفوق ما أصفه، ولولا عذر وصولي لم ينب عن قربي قلمي، وعن مشافهة خطابي توجيه كتابي، فباطني عامر بزيارتكم....وكيف لا أشتاق إلى لقائكم وأنتم ممّن نرجو بركته دنيا و أخرى وأعتد بمحبته في الله تعالى وسيلة نافعة وذخرا....وهل مكاتبتكم إلاّ لطائف روحانية ومصالح دينية تحضّ على الخير وتندب إليه ،وترشد إلى سبيل البر وتدلّ

[1] ابن قنفذ، أنس الفقير،ص53.

[2] نللي سلامة العامري، الولاية والمجتمع،ص451.

[3] ابن الصباغ القلعي، المصدر السابق،ورقة4،ظ .

[4] ابن قنفذ، أنس الفقير،ص54.

[5] المصدر نفسه ،ص55،56.

عليه[1]»، وفي كتاب آخر:«....المملوك محمد المسفر لطف الله تعالى به يتوسل إليكم بما بينه وبينكم من صادق ود وتأكيد عهد وحب في طريقتكم وانتماء لكم ولفريقكم أن تجعلوا باطنكم وخاطركم معه في كلّ الأوقات باغتنام التفكر والدعوات...[2]».

إذن من خلال ما جاء به ابن قنفذ يتبين لنا :

• أنّ الفقيه محمد المسفر كان من شريحة الفقهاء الصوفية وأنه كان على الطريقة المدينية ويبدو جليا أنه كان شديد التمسك بها محبا في أهلها وروادها وهذا من خلال قوله:« فإني أطالبكم وجميع ساداتي الفقراء بالمواساة التي بنيتم عليها طريقتكم ولتعلم أني محب فيكم، محمد المسفر يتوسل إليكم بما بينه وبينكم من صادق ود وتأكيد عهد وحب في طريقتكم وانتماء لكم ولفريقكم ..».

• أنّ الفقيه كان مستحسنا لظاهرة زيارة الأولياء أحياءً وهذا من خلال زيارته إلى الشيخ بملارة والاعتذار منه لعدم قدرته على زيارته مرة أخرى، ويبدو أنّه زاره عدّة مرات وفي إحداها أعطاه 100دينار، ويتضح ذلك من خلال قول ابن قنفذ:«وزاره بزاويته بملارة، وأتحفه جدي مرّة ب100دينار ذهبا[3]».

• اعتقاد الفقيه في زيارة قبور الأولياء وما يجنيه الزائر من ذلك ،حيث أنه زار مع يوسف الملاري قبر الشيخ أبي مدين، كما تعكس كلماته إقراره بفضل التبرك بهم ،واعتقاده في إجابة دعواته، وما في ذلك من خير في الدنيا وشفاعة عند الله يوم القيامة ،وهو بهذا يقر بإحدى الوظائف المنسوبة إلى الأولياء وهي الشفاعة عند الله :«وكيف لا أشتاق إلى لقائكم وأنتم ممن نرجو بركته دنيا وأخرى».

• إقرار الفقيه ابن قنفذ بتوجه الطريقة السني في قوله:«وكانت بينهما مكاتبة سنية[4]»، ثمّ التأكيد على ذلك من قبل الفقيه محمد المسفر بقوله:«فالحب زاد الله في معناك وعمر باللّطائف السنية مغناك..[5]»، وبالتالي فإن هذه الجماعة الصوفية قائمة بالسنة بعيدة عن التصوف البدعي المنحرف.

• في قوله:« إن من ملاطفة سيد الصوفية» اعتراف واضح من فم الفقيه بجماعة الصوفية وتخصيص للولي يوسف الملاري بالسيادة.

---

[1]ابن قنفذ، أنس الفقير،ص56.

[2]المصدر نفسه، ص57.

[3]نفسه،ص54.

[4]نفسه ،ص54.

[5]نفسه،ص58.

• أنّ الهدف من هذه المراسلات هو الانتفاع الديني والنصح وكيفية السير على الطريق المستقيم للوصول إلى بر الأمان.

ومن المظاهر الدالة على التقارب الحاصل بين الفقهاء والصوفية وانفتاحهما على بعضهما، وانتفاع كل طرف من الآخر في الأمور الدينية ،ما نقله لنا ابن مرزوق ،حيث أنّ جده الولي محمد ابن مرزوق كان يجتمع مع صلحاء بلده وفقهائها فيصلون ويذكرون «ثمّ تقع الأسئلة في الأحاديث والمسائل للعلماء واقع المذاكرات بين المتصوفة والصلحاء في المقامات والأحوال[1]» ،وفي المقابل كان للفقيه محمد المسفر مجلس للعلم يجتمع فيه الفقهاء والفضلاء والصلحاء[2].

**ب/أوجه الصراع وأشكاله**

رغم ما نقلته لنا كتب المناقب والتراجم من صور مثالية بين الفقهاء والمتصوفة إلا أن العلاقة بين الطرفين لم تخل من صراع خفي كان أم معلنا ،وهذا ما نستشفه من سؤال الصوفي أبو الهادي مصباح لوالد ابن قنفذ عن حال والدته "ابنة الصوفي يوسف بن يعقوب الملاري" «كيف هي بنت الشيخ ، مازالت فقيرة ؟ أم رجعت فقيهة؟[3]».

ويروي ابن الصباغ عن محمد بن عبد الجبار الصبيحي، أن أحد الفقهاء وهو أبو زيد عبد الرحمان ابن الإمام عيسى المقدم المستغانمي استعار كتابا من الولي عبد الله بن واضح على أساس النظر فيه فحسب ،لكنه قام بنسخه من غير إذن، ثمّ أعاده وأخبر الولي بما صنعه فغضب عليه ،وما إن خرج الفقيه حتى فقد الكلام والحركة، فقصد محمد بن عبد الجبار الولي سيدي أحمد بن يوسف وقصَّ عليه ما جرى،فأعطاه كاغدا مكتوبا مطويا وأمره بفتحه بين عيني الفقيه ،فتحسنت حالته وقد تاب الفقيه لله بعدما كان من المنكرين لولاية سيدي أحمد وذلك بعدما رأى كرامته[4] .

من خلال هذه الرواية نرى مظهرين للعلاقة بين الفقهاء والأولياء: **المظهر الأول** هو وجود علاقة ودية بينهما تمثلت في تبادل المنفعة العلمية بين الفقيه والولي وهي استعارة الكتاب ثمّ نرى مظهر آخر وهو الصراع الذي اتخذ شكل اعتراض ،اعتراض الولي "عبد الله بن واضح" على الفقيه لنسخ الكتاب دون مشورة، والثاني اعتراض الفقيه على الولي" أحمد بن يوسف" وإنكاره لمسألة الولاية، ثم تنتهي الرواية بتوبة

[1] ابن مرزوق، المناقب المرزوقية، ص157.
[2] ابن قنفذ ،أنس الفقير،ص53.
[3] نفسه،ص50.
[4] ابن الصباغ، المصدر السابق،ورقة20،ظ،و.

الفقيه على إنكاره ،واعترافه بولاية أحمد بن يوسف بعدما وقف على كرامته بنفسه[1]، وبالتالي خضوعه وتسليم المشروعية له .

لقد شكلت بعض المسائل الصوفية الممارسة في الأرياف اهتمام شريحة الفقهاء وقد صدرت الفتاوى فيها بين الرفض والتأييد، فبينما أقر العديد من الفقهاء بمسألة الكرامة وإمكانية حدوثها على غرار الفقيه ابن رشد وابن قنفذ وموسى المازوني وغيرهم ،وبالتالي حسمت هذه المسألة لصالح الصوفية، فقد قوبلت بعض الممارسات الصوفية من قبل الفقهاء بالرفض، منها اجتماع مرابطي الأرياف بالزوايا وغيرها للذكر وما يتخلل ذلك من رقص وتصفيق وشطح وسماع[2]، فقد اعتبرها موسى المازوني من المكاره والبدع الواجب النهي عنها[3]، لكنّه أباح السماع الذي فيه الترغيب على الطاعة والتحرز من الوقوع في الزلات، وذِكر ما أعدّ الله للمتقين من الدرجات، كما أجاز نوعا آخر من السماع والذي أطلق عليه "سماع النياحة" وهو نوع من السماع اختص به الفقراء في زوايا البوادي ومنهم فقراء قبائل زناتة، وذكر تأثير هذا النوع على الحاضرين من بني الدنيا الذين تكون هذه المجالس سببا في توبتهم وإنابتهم إلى الله ، وفي هذا أورد أبياتا من الشعر يقول فيها[4] :

يا ندماي صحا القلب صحا فاطردوا عني الصّبا والمرَحا

شـمَّـر وابـردي للنسـك ولا تعجبوا من فاسدٍ إن صلحا

زجر الوعظ فـؤادي فارعوى ولحى الدهر أُمْرءا فيمن لحا

وقد فرق بين سماع النياحة" و"النياحة المحرمة" كون الأخيرة هي « سياقة كلام في حال حي أو ميت بما لا يجوز التكلم به كنسبة الباري للجور فيما قضاه على هذا الشخص وأن الواقع من قوته وقهره ليس بمصلحة وإنما هو مفسدة»، وصورته إتيان النائح بلفظ يقتضي جمال الميت وحسنه وإكرامه للضيف

[1] يرى ابن قنفذ أن الكرامة ليست من شرط حصول الولاية،لكن إن وقعت لولي فهي دليل على صدق عبادته وعلوّ مكانته بشرط اتباعه لحقيقة ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم وإلاّ فهي خذلان من الشيطان،أنظر:أنس الفقير ،ص3.

[2]يقول ابن مريدة و«اعلم أن كل ما يحرك الباطن من شعر أو قرآن أو ذكر أو صفة أو حكم أو فعل أو استدلال أو ذكر رسول أو ولي أو منتسب أو متقرب أو حكاية أو عبرة أو فكرة أو حضور بالقلب او دراسة علم أو عالم أو متعلم أو ما يحرك القلب من غفلة أو يوقظه من سنة فكله سماع»، أما ابن الدراج السبتي فيصفه بأنه إدراك الغيوب بسمع القلوب ....و الوقوف على إشارات الحق عند وجود عبارات الخلق».أنظر على التوالي:محمد المكي ابن مريدة السرغيني المراكشي، الكواكب السيارة في البحث والحث على الزيارة ،تق وتح: عبد الحي اليملاحي،سلسلة التراث والفكر بالمغرب(2) ،دن،دم ،ط1، 1435هـ/2014م، ص249. أبو عبد الله محمد بن الدراج السبتي، كتاب الأمتاع والانتفاع بمسألة سماع السماع،تح: محمد بن شقرون،مطبعة الأندلس، القنيطرة-المغرب،ط1، 1982م،ص112.

[3] المازوني موسى، المصدر السابق،ص251-253.

[4] نفسه، ص273.

وإحسانه للجار وأنّه بموته ستنقطع كل هذه المصالح ، فهذا حرام[1]، ثمّ استدل على أبيات أخرى من الشعر تدل على أهمية السماع وتأثيره على العابدين وجواز السماع بالألحان يقول فيها[2]:

زيادة حسن الصوت في الخلق زينة يـروق بـها لحـن القريـض المحبر

ومـن لـم يـحركه الـسـمـاع بطيبة فذلك أعمى القلب أعمى التصور

وكل امرئ غاب عن السماع فإنه من الجهل في عشوائه غير مبصر

وهـام بـه أهـل التـصـوف رغبة لتـهـيـيج شـوق نـاره لـم تـسـعر

فـإن رسـول الـلـه قد قال زيـنـوا بـأصـواتـكم آي الكـتـاب المطهر

وزانـت لـداوود النبـيء زبـوره مـزاميـره بـالنوح فـي كل محـضـر

أمّا الوغليسي فقد اعتبر فعل هؤلاء بدعة وضلالا[3]، وبالنسبة للبرزلي فقد أجاز سماع الإنشاد المحرك للأحوال السَّنية الذكر بما يتعلق بالآخرة، وحرم الرقص لأنه لا يصلح إلا للنساء، واعتبر فاعله ناقص عقل ، كما حذّر من حضور السماع لمن كان في قلبه هوى خبيث ، لأن السماع يحرك ما في القلوب من هوى محبوب أو مكروه[4] ، بل حتى المتصوف أحمد زروق اعتبره من شبه الدين الواجب على من استبرأ لدينه وعرضه التبرؤ منها[5].

ويذكر ابن الصباغ أن بعض الفقهاء من بني راشد اعترض على بعض الفقراء الذاكرين لله في قلوبهم"الله الله" في حلق الذكر:ذلك أنه لم يثبت عنه صلى الله عليه وسلم هذا اللفظ في اجتماعه مع الفقراء والصحابة ،وإنما ورد لا إله إلا الله وسبحان الله والحمد لله ،وغير ذلك لم يحفظ عنه، فلمّا وقع شكهم في مخالفة السنة بفعلهم هذا، طلبوا من الفقيه محمد بن علي بن الصباغ (الراوي:صاحب بستان الأزهار) إزالة الإشكال في الذكر باسم الله العظيم...[6]، إذن يتبين من هذه الرواية عدم علم بعض الفقراء بالحكم الشرعي لبعض الممارسات، ومن هنا تبرز حاجة المتصوفة للفقهاء في معرفة بعض الأحكام.

[1] المازوني موسى،المصدر السابق،ص269.

[2] نفسه، ص275 ،276.

[3]المازوني يحيى ، المصدر السابق(مخ) ، ورقة 203 ظ ، ورقة204 و.

[4]البرزلي ، المصدر السابق،ج6، ص404 ،405.

[5] زروق أحمد،المصدر السابق، 264.

[6]ابن الصباغ، المصدر السابق، ورقة 35،و.

وفي المقابل نجد الصوفية يعطون حججا تدل على جواز السماع ،فمحمد بن يوسف السنوسي في كتابه الذي رد فيه على أبي الحسن الصغير أجازه لأنّ هذه الأذكار والاجتماعات التي يتعاهدها الصوفية هي تزاور في الله واجتماع في ذات الله ،وبالتالي يثابون عليها فهم يتواصون على طاعة الله و يغنون بذكر الله ويصيحون ويرقصون من حب الله[1].

أمّا أحمد بن يوسف الراشدي فأجازه معتبرا أنّ الوجد ينقسم على أقسام الجوارح، فما نزل على الرأس اهتز به ،وما نزل على العين أبكاها ،وما نزل على اللسان صاح به، وما نزل على اليدين مزق بهما وصفق، وما نزل على الرجلين شطح بهما ورقص، وما نزل على القلب أغشى عليه،واعتبر منكر السماع ومعاتب هؤلاء كمن بارز حكم الله بالمحاربة، كما استدل على جوازه بما يروى عن النبي موسى عليه السلام حيث كان جالسا مع أصحابه يعظهم فصاح واحد منهم وبكى ،فعاتبه النبي فسمع مناديا من قبل الله تعالى يقول: يا موسى بطيبي باحوا وبحبي ناحوا وبوجدي صاحوا فلا تنكر عليهم[2]، كما استدل عل هذه الرواية ابن مريدة السرغيني حيث يرى أن السماع ما رآه محق إلا أنس وما رآه مبطل إلا استوحش، فإن قبضه الله بكى، وإن بسط عنه ضحك ،والكل لله بالله في الله، لكنه يرى أنه لا يحل إلا لمن يفهم المعاني الداعية للحق من قلبه[3] .

إذن ممّا سبق نلاحظ :

- أهمية الدور الذي لعبه الفقهاء في التعريف بالأولياء والترويج لمناقبهم وإضفاء مشروعية سنية عليهم، من خلال ما كتبوه من مصنفات في المناقب والتراجم ، وحسبنا في ذلك أنّ أربعة من فقهاء المغرب الأوسط كتبوا في هذا، فالغبريني (ت704هـ/1304م) في كتابه عنوان الدراية ترجم ل(35) صوفي معظمهم من المغرب الأوسط، وكتب الفقيه القاضي ابن مرزوق (ت781هـ/1379م) في مناقب أسرة المرازقة وبعض أولياء تلمسان ، وكتب الفقيه القاضي ابن قنفذ (ت810/1407م) في مناقب الشيخ أبي مدين ،وخصّص الفقيه موسى المازوني (ت833هـ/1430م) مؤلفه مناقب صلحاء شلف للتعريف بالأولياء الذي عرفتهم هذه المنطقة، وبهذا فقد ساهموا في تعزيز ظاهرة الولاية وانتشارها في المجالات الريفية.

[1] السنوسي محمد بن يوسف ، نصرة الفقير في الرد على أبي الحسن الصغير،تح: حسن حافظي علوي، كتاب دعوة الحق، العدد9، 1422هـ/2002م،ص80،79.

[2] مؤلف مجهول ،اختصار كلام الراشدي: ما جاء في القول عن الرقص، مخطوط الخزانة الصبيحية بسلا ، المغرب، رقم1/356،ورقة1ظ.

[3] ابن مريدة السرغيني ، المصدر السابق، ص249.

• كما أنّ وجود شريحة هامة من الفقهاء_الصوفية يؤكد أنه لا وجود لحدود فاصلة بين الفئتين ،لأنّ هذه الفئة جمعت بين العلمين وبين المشروعيتين.

• إنّ الدور الذي لعبه الأولياء في تثقيف سكان المجالات الريفية وتعريفهم بدينهم من خلال مؤسسة الزاوية التي لعبت دورا هاما في تحفيظ القرآن، و نشر العلوم الدينية ،ومحاربتهم للسلوكيات المنحرفة ، ودورهم المهم والفعال في الوسط الأعرابي ،حيث كان لحركات الإصلاح كالسنية بالمغرب الأوسط والجنادة بإفريقية دور بارز في نشر التعاليم الدينية في الوسط الريفي، وما تبعه من إقلاع عن النشاط الحرابي واستتابة فردية وجماعية، كلّ هذا أثر على موقف الفقهاء وجعلهم يستحسنون هذه الظاهرة ويتعاملون إيجابيا مع هذه الفئة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

## 6/ الطقوس والممارسات في الأوساط الريفية

### 6_1 الطقوس والممارسات الشفائية

عانى المجتمع الريفي من أزمات عديدة كالحروب والكوارث الطبيعية من قحط وجفاف انعكست سلبا على صحته هذا ما جعله يبحث عن طب بديل مجاني يراعي المستوى المعيشي للعامة ،خاصة في ظل غياب مؤسسات متخصصة قادرة على التكفل بهذه الحالات ، لذلك جاء الطب الصوفي كحل لهذه المشكلات فهو يمارس الوظيفة العلاجية بواسطة طقوس فعالة في الشفاء ودون أي مجهود ولا وسائط مكلفة كالأدوية ، وقد تكون هذه الممارسات يدوية أو شفهية وتقترن نجاعة وفعالية هذه الطقوس بالقدرة الإلهية،«ففي هذه الحال تبدو قدرة الولي على التصرف نتاجا أو إفرازا لهذه القدرة الإلهية ومظهرا من مظاهرها وتجليا من تجلياتها، بحيث يبدو الولي هنا أقرب إلى الوسيط منه إلى المتصرف بقدراته الخاصة لاسيما بقدرته على الخلق[1]» ومن الممارسات التي نقلتها لنا كتب المناقب :

#### أ/ المسح

يعتبر المسح من الطقوس الرائجة وتقترن وظيفته بالشفاء من الأمراض أو بتطهير النفس من حب الدنيا وإماتتها ، وقد وقفنا عل حالة واحدة من هذا الصنف الأخير و تعود إلى القرن السادس هجري/12م، وهي مقترنة بالمغرب الأقصى حيث صوّر لنا ابن قنفذ ممارسة المسح بوظيفتيه، وذلك أنّ أبي مدين لما قصد شيخه أبي يعزى يلنور(ت572هـ) مرّغ وجهه في المكان الذي يجلس فيه ففقد بصره وبات باكيا متضرعا ، يقول أبو مدين: «فلمّا أصبح استدعاني.....فمسح بيده على عيني فعاد بصري ثمّ مسح بيده على صدري وقال للحاضرين:هذا يكون منه كذا وكذا..[2]» .

حالة أخرى تعود إلى بداية القرن الثامن هجري/14م أوردها موسى المازوني في مناقبه، وذلك أنّ السلطان أبي حمو موسى بن عثمان وقع بينه وبين الولي أبي عبد الله محمد بن يحي كلام جعله يغضب منه فعمد إلى مرفقة كان يتكئ عليها وضرب الشيخ بها فاتّقاه برفاّسه ،ثم أخذ منه المرفقة وضربه بها وانصرف غاضبا، وما إن خرج الشيخ حتى أخذ السلطان ألم شديد فقال لهم:«تلاقوا المرابط فما بي سواه قبل أن أهلك، فرُدَّ فاستعطفه واسترضاه وسأله أن يمسح بيده على موضع الوجع ففعل فشفاه الله من وقته بفضل الله وتهلّل وجه المرابط وقال :يا ربّ هذا الذي تعودنا منك فلك الحمد والشكر[3]»، الملفت في النص أنّ

[1] نللي سلامة العامري،الولاية والمجتمع،ص374.

[2] ابن قنفذ، أنس الفقير ،ص15.

[3] المازوني موسى، المصدر السابق،ص400.

شفاء السلطان كان من عند الله تعالى"فشفاه الله، بفضل الله" فالشافي هو الله تعالى ،وفي قول الولي يارب هذا الذي تعودنا منك فلك الحمد،أي أنّ الله هو من قضى حاجته بينما الولي هو مجرّد واسطة جعل الله له القبول عنده وهي نعمة جعلت الولي يشكر الله عليها.

أمّا خلال المائة التاسعة هـ/15م فقد وقفنا على حالتين فالأولى نقلها لنا ابن مريم حيث أنّ سلطان تلمسان طلب رؤوس أهل البلد في السلف ورمى عليهم مالا عظيما، والناس في أمر عظيم، فشكوا أمرهم إلى الولي عبد الله بن منصور فطلع من عين الحوت قاصدا السلطان، وطلب منه أن يرفع عن الناس ما أمرهم به ،فامتنع فقال له:«أفسدت بيت مال المسلمين وتطلبهم السلف والله ما يعطونك إلاّ الوجع»، وما إن انصرف حتى أخذ السلطان وجع شديد صار يصيح منه، فتبعه وزراء السلطان وردّوه فوضع يده على بطنه ومسح فبرئ من حينه.[1]

أما الحالة الثانية فقد اقترن فيها المسح بالرقية،فقد روى الورتيلاني أنّ الشيخ يحي العيدلي ذهب لبني يمل من وادي بجاية فأتوه بولد كبير بلغ حدّ المشي وتجاوزه ولم يقدر على المشي، فمسح عليه ورقاه فمشى من حينه [2].

ووقفنا على حالتين لممارسة المسح خلال القرن العاشر هجري/16م نقلها لنا ابن الصباغ، حيث أنّ رجلا يدعى علي بن زينا الدرجيني مرض مرضا عند أصحابه أشرف منه على الموت حتى صار أصحابه يتشاورون في موضع دفنه فاستغاث بالشيخ أحمد فأتاه ومسح بيده على جسده يروي الصباغ على لسانه «فمسح بيده المباركة على جسدي فكأني لم يكن بي أذى وشفاني الله ببركته[3]»،إذن نلاحظ أنّ الشفاء من عند الله والولي مجرد واسطة تبرز من خلاله قدرة الله في خلقه.

كما أنّ امرأة أصيبت بداء في جسدها فأتى بها زوجها إلى الشيخ أحمد بن يوسف المليانى وطلب منه وضع يده على الداء وأصرّ على ذلك « فوضع سيدي أحمد يده فمسح بيده على الداء فتعافت وانصرفت فبقيت رائحة الداء في يده مدة طويلة[4]»، ويبدو بوضوح اعتقاد الناس في الأولياء حيث طلب منه الزوج ممارسة المسح وهو متيقن من الشفاء، لكن الملفت في الرواية هو بقاء رائحة الداء في يد الولي وكأنها عقوبة إلهية بسبب لمسه جسد المرأة وهي أجنبية عنه، فهذا التصرف لا يحل لأحد، فكيف يحل لمن

[1] ابن مريم، المصدر السابق، ص137.
[2] الورتيلاني، نزهة الأنظار،ص14.
[3] ابن الصباغ ،المصدر السابق،ورقة 20و.
[4] نفسه ، ورقة 33 و.

هو في مقامه من الدين والورع والتقوى، فموقف الاعتراض لم يكن على الطقس في حد ذاته وإنما ممارسته من طرف رجل على امرأة وهذا يتعارض مع الولاية.

إذن وقفنا على أربع حالات من المسح توزعت بين المائة السادسة هـ/12م و الثامنة هـ /14م و العاشرة هـ/16م، هذا ما يدل على الاستمرار والثبات في بنية هذه الممارسة الشفائية ، رغم أنّ الحالة الأولى مقترنة بالمغرب الأقصى إلا أنني أوردتها للتأكيد على تشابه الأفكار والمعتقدات الحاصل بين البيئات المغاربية .

**ب/ التفل**

وقفنا على حالة من هذا النوع تعود إلى بداية المائة العاشرة /16م تنسب إلى الولي أحمد بن يوسف الملياني حيث أتاه رجل معيان لا تقع عينه على شيء إلا أهلكته، كما أنه لا تعيش له ذرية كونه يصيبها بالعين فشكى إليه حاله « فبصق في فمه فأزال الله عنه ذلك وعاش أولاده...[1]»،في هذا النص إشارة واضحة على أنّ نجاعة وفعالية الطقس وراءها أمر إلهي"فأزال الله عنه ذلك" حتى كريزما الولي وبركته يبقى مصدرها القوة الإلهية .

**ج/ الرقية**

لم تتوفر لدينا أمثلة كثيرة عن هذه الممارسة خلال فترة الدراسة كما أنّ هذه الأمثلة لا تعطينا تفاصيل عن هذا الطقس وكيف يتم ، فبالنسبة للحالة الأولى فهي تعود للمائة السابعة هـ/13م ، ومختصرها أنّ محمد بن عبد القوي أراد أن يثأر من مغراوة لقتلهم ابنه زيان فاستجاروا بزاوية الولي أبي البيان واضح ،فأراد ملاحقتهم إلى هناك فدعا الشيخ الله أن يكفّ بأسه عنهم ،فأصيب أمير بني توجين بوجع جعله يصبّ من فمه ودبره، فأخبره أحد خاصّته أنّ ما أصابه سببه غضب الشيخ عليه، فأرسل فارسان إلى الزاوية وقالا:« الشيخ محمد أصابه وجع أشرف منه على الموت وقصدنا للعابد بأمره يرقّي لنا ماء ليستشفي بشربه فرقّاه ، وانصرفا به مسرعين فشربه فأوجد الله العافية عقب شربه[2]»، إذن في كل مرة يؤكد النص المنقبي على أنّ الله هو الشافي وأنه لا شفاء إلا شفاؤه "فأوجد الله العافية" ، وأنّ دور الولي يتوقّف على التوسط فحسب.

[1] ابن الصباغ، المصدر السابق، ورقة 3 و.

[2] المازوني موسى، المصدر السابق،ص145 ،146.

أمّا الحالة الثانية فتعود للقرن الثامن هجري/14م، وتنسب إلى الولي أحمد بن إدريس البجائي حيث مرّ مع بعض طلبته على مصاب فقرأ في أذنه فأفاق، فقيل له :ما قرأت عليه؟ قال: الفاتحة وظنّ الطالب أنّه بإمكانه شفاء أحد المصابين بمجرد قراءة الفاتحة فلمّا قرأها في أذنه تكلم الجني وقال: هذه الفاتحة وأين قلب ابن إدريس[1]، يبين النص أنّ الفعالية هنا ليست آتية من السورة نفسها بل من البركة الموهوبة للولي ،أي من تلك النعمة الإلهية التي تعتبر أساس كاريزما الولي ،فقدرة الكلمة أو الآية كما في المثال ونجاعتها مرتهنة بما هو أعلى منها وهو القدرة الإلهية[2] .

**د/ الدعاء**

وقفنا على حالة واحدة تعود إلى القرن العاشر هجري/16م وتنسب إلى أحمد بن يوسف المليانى وذلك أنّ امرأة كانت لا يعيش لها الأولاد فشكت ذلك للشيخ فدعا لها وكانت حامل آنذاك فبشرها بأنها تلد ولدا فكان كما قال[3].

[1] التنبكتي، كفاية المحتاج، ج1،ص93.

[2] عن الفرق بين قدرة الكلمة ونجاعتها في الطقس السحري والطقس الديني أنظر:نللي سلامة العامري، الولاية والمجتمع،ص368-374.

[3] ابن الصباغ، المصدر السابق،ورقة 20و، ورقة21ظ.

## 6-2 طقوس وممارسات تعظيم الأولياء

### أ/ زيارة القبور:

إنّ إقرار فقهاء المغرب بأنّ الكرامة لا تنقطع بالموت[1]، وما صاحب هذا من انتعاش "أدب فضل الزيارة"[2]، تمّ حضوره ضمن النص المناقبي، مهَّد الطريق لانتشار ظاهرة تعظيم الأولياء والالتجاء إليهم بعد موتهم، وذلك من خلال زيارة قبورهم والتضرع عندها ،فبركة الولي تستمر بعد وفاته وتمتد إلى قبره الذي أصبح هو الآخر مسرحا لوقوع الكرامات[3].

لا شكّ أنّ رواج هذا النوع من الكتابات هو حمل للناس على الإكثار من الزيارات ، ثمّ إنّ ما تحويه هذه الأدبيات من كلام منسوب للولي نفسه في فضل زيارته، هي إضفاء للمصداقية والمشروعية على هذه الكتابات ،كما أنّ هذه النسبة تضفي فعالية و نجاعة أقوى لوظائف هذه الزيارة، وفي هذا المنحى وافانا الغبريني برواية حول الولي أبو الحسن علي بن محمد الزواوي اليتورغي، حيث أنّ هذا الأخير لما حضرته الوفاة بموضع سكناه من بني يتورغ ،التفّ أولاده حوله وبكوا عليه لفراقه واستوحشوا فقال:«لا عليكم مهما أصابكم أمر أو عارض فاتوا إلى قبري واذكروا شكواكم واسألوا الله يفرّج عنكم ،ومازال أولاده بعده مهما عرض لهم عارض يفعلون ذلك فيجدون نفعه..[4]».

---

[1] ومن بينهم ابن قنفذ فقد جاء في أنسه «فإن قلت هل تنقطع الكرامة بموت صاحبها أم لا قلنا لا تنقطع بموته فكثير من لا يعرف في الحياة تشتهر بركاته بعد الممات، وتلوح عند قبره البركات ،وقد حضرت عند ولي الله تعالى ...أحمد بن عاشر الأندلسي بمدينة سلا في عام 736هـ فسأله أحد الفقراء عن هذا الفضل فأنكر عليه سؤاله وقال:لا تنقطع الكرامة بالموت ،انظر إلى السبتي يشير إلى أبي العباس السبتي المدفون بمراكش ،وما ظهرت عند قبره من البركات...».أنظر:أنس الفقير،ص6-7.

[2] تعتبر أرجوزة أبي عبد الله محمد بن البنا السرقسطي( ت721هـ/1321م) أقدم نص أدبي في ترتيب الزيارة بالمغرب الإسلامي يقابله في المغرب الأوسط كتاب "حلية المسافر وآدابه وشروط المسافر في ذهابه وإيابه" لأبي عمران موسى المازوني (ت833هـ/1429م) ورغم أنّ هذا الأخير في حكم المفقود إلاّ أنّ صاحبه في كتابه صلحاء واد الشلف عرّف بمضمونه بقوله:«...فيه الوصية بتعظيم الفقراء وبعض ما ورد في فضلهم والتحذير من احتقارهم والترغيب في حضور مجالسهم وترك الأنفة من مجالستهم وفضل النفقة عليهم والوجه الجائز في اجتماعهم للذكر والدعاء وما يكره من ذلك وفضل زيارة المشايخ والإخوان في الله»،أنظر :الطاهر بونابي،الحركة الصوفية، ج2،ص488.
انظر أيضا :المازوني موسى، المصدر السابق، ص207.

[3] إنّ ظاهرة زيارة القبور والتبرك بها ليست بجديدة كما أنها لم تقترن بأهل الولاية والتصوف فحسب ،فقد وُجدت هذه الظاهرة خلال القرن الرابع هجري/10م، حيث حظيت قبور بعض الفقهاء بالشهرة والتعظيم من طرف العامة منذ تلك الفترة ،وهذا ما تؤكده شهادة التجاني الذي ذكر قبر الفقيه أبي الحسن علي بن المنمّر (348-432هـ) محيي السنة بطرابلس ، ويقع قبره بغانيمة من وطن طرابلس فالناس إلى "زمن التجاني" يزورون قبره ويتوسلون إلى الله عنده ويأخذون التراب منه «فكل رفقة استصحبت شيئا من تراب ذلك القبر فإنه لا يتعدى عليها »،أنظر:التجاني أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد، رحلة التجاني، تق: حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب،ليبيا، تونس،دط،1981م،ص 264-267.و ص 317.

[4] الغبريني، المصدر السابق،ص126،125.

لقد انتشرت ظاهرة الاعتقاد في الأولياء الأموات فأصبحت قبورهم مكانا مقصودا لقضاء الحاجيات ،يذكر الصباغ أنّ قبر الولي أبو عمران موسى(ق6هـ) بقرية لوّاتة ما أتاه مقعد إلاّ مشى، ولا صاحب عاهة إلا شفي، حتى المجانين وأصحاب الأمراض المستعصية، حتى أنّ الناس أصبحوا يسمونه بعد موته طبيب هوارة[1]، ونفس الشيء ذكره عن قبر الولي أحمد بن يوسف بقوله:« ما دخله عليل إلا شفي ولا مريض إلاّ برء ولا خائف إلاّ أمن لا ملهوف إلاّ أغيث ولا مكروب إلاّ فرج كربته[2]».

لقد أصبحت زيارة القبور والاعتقاد في الأولياء الأموات تقليدا عند العامة وعند الخاصة على السواء ، وحسبنا في ذلك أنّ السلطان يغمراسن أوصى بأن يدفن بجوار الولي محمد ابن مرزوق وأن يدفن أول صالح يموت بعده بجانبه من الجهة الأخرى، وكل هذا لشدة اعتقاده في أولياء الله حتى وهم أموات[3]، أمّا السلطان أحمد العاقل فقد فرّ إلى العبّاد واستجار بقبر الولي أبي مدين وذلك عندما افتك السلطان محمد المتوكل تلمسان منه سنة 866هـ[4].

كما درج على هذا الاعتقاد الفقهاء والصوفية أيضا ،فقد زار الفقيه أبو عبد الله محمد بن يحي الباهلي المسفّر مع يوسف بن يعقوب البويوسفي قبر الولي أبي مدين ،كما أنّ الفقيه ابن قنفذ قصد قبر الشيخ أبي مدين عندما تعذّر عليه الارتحال من تلمسان إلى قسنطينة بسبب المجاعة العظيمة وانعدام الأمن وذلك سنة 776هـ، فزار قبره ودعا هنالك أن يسهل الله أمره في الارتحال، فكان له ذلك بكرامة الولي أبي مدين الذي يستجاب الدعاء عند قبره[5] ،أمّا الفقيه الصوفي أبو عمران موسى المازوني فيتحدّث عن زيارته لضريح الولي أبي البيان واضح وكرماته قائلا:« فإني لما رجعت من وجهتي لبلاد المغرب اعتلّ مركوبي وضاق صدري فاستشفعت إلى الله تعالى به في إنفاذ رحلتي وتفريج كربتي ،فأذاقني الله برد الإجابة لوقتي[6]».

لقد تحوّلت هذه الظاهرة إلى نوع من الممارسة الطقوسية المرتبة والمقننة ، مما أثار جدلا عند الفقهاء خاصة بعدما صحب هذه الظاهرة من ممارسات بدعية ،فتعددت الآراء حول جواز أو عدم جواز عدد من

[1] ابن الصباغ ، المصدر السابق، ورقة33و.
[2] نفسه، ورقة 54و ،ورقة 55ظ.
[3] ابن مرزوق ، المناقب المرزوقية،ص170.
[4] التنسي، المصدر السابق، ص254.
[5] ابن قنفذ، أنس الفقير،ص 105،54.
[6] المازوني موسى ، المصدر السابق،ص175.

الممارسات المتصلة بزيارة القبور[1]، واختلف الفقهاء فيها بين ناه عنها ومجيز لها ، ومنهم من وضع تنظيما وطريقة لكيفية الزيارة حتى تسلم من أي شكل بدعي، كل هذا يدل على رواج هذه الممارسة في الأوساط الريفية بصفة خاصة والمغرب الأوسط بصفة عامة.

لقد رفض ابن تيمية زيارة القبور جملة وتفصيلا إلا ما كان منها بهدف التسليم على صاحب القبر والدعاء له، وما كان بخلاف هذه الزيارات كتعظيم الأولياء والأموات واتخاذهم وسيلة في طلب الحاجة فهو بدعة[2] ،في حين نجد أنّ اعتراض فقهاء المالكية بصفة عامة لم يكن يدور حول زيارة القبور في حدّ ذاتها لأنّ ذلك صار تقليدا درج عليه العام والخاص ،بل كان الإشكال والاعتراض يدور حول الممارسات البدعية التي كانت تصحب هذه الزيارة من أخذ للتراب ووضع اليد على القبر والتمسح به[3]،كما اعترض الفقهاء عل طريقة الصلاة على القبر« حيث لا يجعل الزائر القبر بين يديه بل يصلي عن يمين القبر أو يساره ..وعلى هذا يحمل قول النبي صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد من دونك[4]».

وأمام انتشار هذه الممارسات البدعية نجد الفقيه المالكي ابن قنفذ يضبط قواعد مقبولة شرعا لزيارة القبور، فقد وضع نصا ضمن كتابه أنس الفقير يصف فيه الطريقة الصحيحة الواجب اتباعها عند زيارة قبر أبي مدين بجبل العباد بقوله:« وقبره في بيت صغير.....أمّا قبر الشيخ من هذه القبور فهو أنك إذا دخلت البيت فارجع على يمينك مستقبلا ،فالذي يقع على يسارك هو قبره، وهذا المكان عادة الداخل أن يتنفل فيه، وهو مكان مصلى واحد ،فإذا انتفلت فاستند إلى القبلة بانحراف وظهرك في ركن الجدار وسلم حينئذ على الشيخ من غير تقبيل وقل: جزاك الله خيرا عن اجتهادك في نفسك وفيمن تعلق بك من تلامذتك، ورحمك ونفعك بعلمك وطاعتك ونفع بك ،ثم تقرأ ما تيسر وتذكر ما تيسر، ثمّ تدعو بما شئت

---

[1] أجاز الفقيه قاسم العقباني زيارة قبور الصالحين والتوسل بالنبي عليه الصلاة والسلام وبغيره من الأنبياء والأولياء والصالحين واستند في ذلك على توسل عمر بالعباس رضي الله عنهما،قال ومازالت تظهر العجائب في هذه التوسلات بهؤلاء السادات..،أنظر :الونشريسي، المصدر السابق،ج1،ص322.

[2] Olesen Niels Henrik, "Etude comparée des idées d' Ibn Taymiyya(1263-1328) et Martin Luther(1483-1546) sur le culte des saints", dans Revue des Etudes Islamiques ,L : 1982 ,p179 . نقلا عن نللي سلامة العامري ،الولاية والمجتمع ،ص 360.

[3] إلاّ أن هناك من الفقهاء من أجاز تقبيل القبر ووضع اليد عليه ومسح الوجه به كأبي القاسم العبدوسي الفاسي، و منهم من أجاز أخذ تراب المقابر للتبرك كالفقيه أحمد بن بكوت ،أمّا الفقيه أبو علي القوري فيرى أنّ تركه أفضل لأن التبرك إنّما يكون باستعمال ما كانوا عليه من الأعمال الصالحة والأمور الشرعية . أنظر:الونشريسي، المصدر السابق ،ج2،ص490، ج1،ص330 ,أنظر أيضا: زروق أحمد، عدة المريد الصادق،ص260. أنظر كذلك:الدباغ أبو زيد عبد الرحمان بن محمد الأنصاري، ابن ناجي أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان،تح وتع:محمد ماضور،المكتبة العتيقة ومكتبة الخانجي،تونس ،مصر،دط،ج7،ص42.

[4] الدباغ ، ابن ناجي، المصدر السابق ،ج3،ص143.

وإن تيسّرت لك صدقة للضعفاء والمساكين الملازمين على الباب فادفعها، فإن كان أحد يريد الزيارة فخفّف، وإلاّ فاجلس ما شئت إلى أي وقت[1]».

من خلال هذه الفقرة يتضح لنا موقف ابن قنفذ كفقيه مالكي في مسألة زيارة القبور وما يحل فيها من ممارسات كالدعاء والذكر وقراءة القرآن وما يحرم فيها كتقبيل القبر.

أمّا الفقيه أبو عمران موسى المازوني فقد حدّد موعد الزيارة بشهر رمضان وذي الحجة ورجب ، واعتبر زيارة المشايخ والإخوان من الأمور التي تذكر بالله وتتبادل فيها المنافع الدينية ،كما اعتبر أنّ زيارة المواضع الصوفية ليس الغرض منه تشريفها إنّما هو اجتماع لله وفي الله[2]، وفي ما يخص أحمد زروق فهو الآخر لم يعترض على التبرك بآثار الصالحين إذا سلمت من المحرمات فقال:«واعلم أنّ الناس لم يزالوا يتبركون بآثار أهل الخير كابرا عن كابر من العلماء والصلحاء وغيرهم من قدم الزمان إلى هلم جر من غير نكير ولا داعية للسكوت، وهو مما تتوفر الدواعي على العمل به طبعا فلو كان حراما لنص عليه الشارع وحذر منه الأئمة قديما ولو كان التنزه أولى لمحل الاشتباه[3]».

أمّا الملالي تلميذ السنوسي فقد حثّ على زيارة أرباب التقوى أحياء وأمواتا وأورد شعرا لإبراهيم التازي يقول فيه[4]:

زيـارة أرباب التـقى مَرهم يُبري ومفتـاحُ أبـوابِ الهـدايـة والخيـر

وتُحـدثُ في قـلب الخَلِي إرادةً وتَشرَحُ صَدْرا ضاق من سعة الوزر

وتـنصر مظلوما وتـرفع خامـلا وتُكـسِب مـعدوما وتُجبِرُ ذا كسر

وتَبسطُ مقبوضا وتُضحِكُ باكيا وتـرفـد بالبـذل الجـزيـل وبالأجـر

عليك بها فـالقومُ باحوا بِسرِها وأوصوا بها يا صاح في السر والجهر

فـزُرْا وتـأدب بعد تصحيح نيـة تأدُّبَ مـمـلـوكٍ مع المـالك الحـرِّ

ولا فرق في أحكامها بين سالك مُـرَبٍ ومـجـذوب وحَيٍ وذي قبرِ

---

[1] ابن قنفذ، أنس الفقير ،ص105-106.

[2] المازوني موسى، المصدر السابق،ص230-231.

[3] زروق، عدة المريد الصادق،ص262.

[4] الملالي ،المصدر السابق ،ص 34،35.

**ب/ تقديس آثار الأولياء والاعتقاد فيها**

إلى جانب زيارة القبور وجدت مظاهر أخرى لتعظيم الأولياء والاعتقاد في بركاتهم وهي تقديس آثارهم والاعتقاد فيها[1]، واستعمالها في حل مشاكلهم والأزمات التي يمرون بها، وقد انتشرت في الأوساط الريفية كما في الأوساط الحضرية خلال فترة الدراسة، وهي تأخذ أشكالا عديدة كالتبرك بالثياب والتمسح بها وغيرها من الممارسات، فقد كان أهل بني ورنيد يعتقدون في المكان الذي يقال أنّ دابة الولي سيدي حمزة بن أحمد المغراوي نطقت فيه، فيزورونه ويأخذون منه التراب للاستشفاء، فما علقه مريض إلا شفاه الله[2]، ويتحدث صاحب ربح التجارة عن تربة قبر الولي أحمد بن يوسف بقوله:«كما رأيت بركة عظيمة لتربة الشيخ سيدي أحمد بن يوسف حين كنت بمليانة لأجل زيارته بعد أن أشرفت على الهلاك فأتيت بشيء من تراب قبره وجعل في ماء فشربته فذهب ما بي من حينه[3]».

ويروي الصباغ أنّ والده الشيخ محمد بن معزى القلعي خديم الولي أحمد بن يوسف من شدّة محبته لشيخه كان إذا أراد الشيخ غسل ثيابه غمسها في الماء وعصرها وشرب ذلك الماء[4] ، وتُظهر رواية ابن قنفذ منفعة اصطحاب لباس الأولياء في دفع الخطر وذلك أنّ والده عندما كان في ركب الحجاز وداهمهم لصوص الأعراب لم تسلم له إلا المفرش الذي دسّ فيه شاشية صهره الولي يوسف الملاري مربوطة مع نفقة الرحلة[5]، ويروي أنّ عكّاز الشيخ أبي مدين كان عند أبي العباس بن مرزوق التلمساني وقد أتحف جده يوسف بن يعقوب الملاري بجزء منها ورأى له بركة عظيمة،ويعتقد ابن قنفذ أن مرقعة الشيخ أبي مدين التي نزعت عنه بعد وفاته بقيت عند أبي العباس بن مرزوق[6].

لم يختص المغرب الأوسط بهذه المظاهر فقد كانت منتشرة بالمغرب الأقصى أيضا، فقد كان الناس يتزاحمون على الولي أبو زيد عبد الرحمان الهزميري (ت706هـ) ويمسحون وجوههم بطرف ثوبه ويجذبه كل

---

[1] يرى صاحب كتاب الولاية أنّ منشأ ظاهرة التبرك بآثار الأولياء وتطورها من بعد راجع في الأصل إلى أنموذج" الحب اللانهائي" الذي تفيض به قلوب المسلمين تجاه النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، ولما جاء العصر الأيوبي أصبح" المولد هو التعبير الرسمي لأنموذج الحب الجماعي من قبل المسلمين تجاه نبيهم.أنظر:ميشيل شودكيفيتش ،الولاية، تر:أحمد الطيب ، المجلس الأعلى للثقافة،دم،دط،ص14-15.

[2] ابن مريم، المصدر السابق،ص95.

[3] Bodin Marcel ,op : cit, p132 .

[4] ابن الصباغ ، المصدر السابق،ورقة 108و.

[5] ابن قنفذ،أنس الفقير،ص46.

[6] المصدر نفسه،ص94.

واحد منهم إليه،كما كان الناس في أحواز مراكش يقصدون شيخا منقطعا في مغارته للتبرك به ولا ينصرف أحد حتى يناوله سماطا من تحت رأسه[1].

**ج/ تقبيل اليد أو الرأس أو الرجلين:**

من الممارسات التي استعملت لتعظيم الأولياء التقبيل سواء تقبيل اليد أو الرأس أو الرجلين ،وقد كان تقبيل اليد من طقوس المبايعة[2]، ،وقد يكون العكس فيقبّلُ الصالحُ الزائرَ لحصول البركة، وفي هذا يروى ابن مرزوق أنّ شيخا من المرابطين من بني أبي ميلك من جبال الشلف ورد على السلطان أبي الحسن فلما دخل للسلام عليه ابتدر رأس السلطان أبي الحسن المريني ليقبّله ويحتضنه كما جرت العادة عندهم في البادية، فلمّا هم الحاضرون لصدّه قال السلطان:« لا والله ما يمنع بل يترك على حاله لتحصل به البركة[3]».

وروى الصباغ أن الشيخ العالم أحمد الزيتوني من علماء المغرب أتى المليانى وسلم عليه وطلب منه أن يعطيه رجله اليمنى ليقبلها فرفض المليانى حياء منه فألحّ عليه في ذلك ثم قبّل رجله اليسرى تعظيما للولي أبي يوسف على الرغم مما هو عليه من العلم والدين[4].

[1] ابن قنفذ ، المصدر السابق ، ص65،66.

[2]نقل السنوسي أن الإمام مالك كرّه ذلك ،أما الشيخ الأبحري في شرح مختصر ابن عبد الحكم أنه يجوز تقبيل يد الرجل الصالح والعالم أنظر:السنوسي ،المصدر السابق،ص 95.

[3] ابن مرزوق، المسند،ص163.

[4] ابن الصباغ، المصدر السابق،ورقة4ظ.

# الخاتمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ممّا سبق خلصت الدّراسة إلى النتائج التالية:

• شكلت تجربة الولاية في الوسط الأعرابي خير تجسيد لتوطُّد العلاقة بين الحواضر والبوادي وكسر الحواجز بينها ، وقد نفت هذه التجارب الولائية القطيعة بين تصوف الحواضر وتصوف البوادي رغم وجود بعض الخصوصيات في كل منها،فهذه التجارب كان نواتها شيخ صوفي خرج من قومه في رحلة علمية روحية أخذ فيها عن عديد المشايخ من حواضر مختلفة من المغرب الإسلامي ،ليعود إلى قومه بمثال أعلى جديد وبمشروع يرنو إلى إصلاح قومه وإدماجهم في المنظومة الدينية، حيث يبدأ مشروعه الإصلاحي من قبيلته ليتجاوزها إلى قبائل أخرى .

•إنّ التطور الذي عرفه مصطلح "المرابط "وما اقترن به من معان، مرتبط بمسار الظاهرة وتطورها، فبعد ارتباط هذه الكلمة بمؤسسة الرباط، تطورت هذه الكلمة واتسع مجالها المدلولاتي وخرجت عن النطاق الضيق للمؤسسة الأم لتقترن بمؤسسات أخرى ، حتى أنّ المؤسسة الأم نفسها شهدت تطورا في وظائفها وتعدد نزلائها ، وبالتالي لم تعد كلمة" المرابط "تحيل لا إلى المؤسسة الرباط ولا إلى الوظيفة المرابطة بل تعدّتها لتصبح مرادفة لصفة الولي.

•لعب المرابطون أدوارا شتى في المجالات الريفية ،حيث كانوا يمثلون دور الوسيط بين الرعية فيما بينهم، أو بين الرعية والسلطة ،ممّا وطّد العلاقات الاجتماعية بين سكان المجالات الريفية ، بالإضافة إلى دورهم الهام في صدّ قطاع الطرق وتأمين السبيل وإغاثة المتضرّرين من النشاط الحرابي، ممّا سهّل الحركة التجارية من جهة وحركة مختلف الفئات الاجتماعية من جهة أخرى،كما يرجع الفضل إليهم في نشر الثقافة الصوفية داخل المجتمع الريفي من خلال مجالسهم التي كانت تحث على العبادة وذكر الله ،والدعوة إلى ترك المفاسد بالوعظ والتذكير بعواقب الوقوع في الزلات ، بالإضافة إلى الدعوة إلى نبذ الشرك والشعوذة خاصة أمام ظهور مدعي التصوف.

• شهدت المجالات الريفية للمغرب الأوسط خلال الفترة الزيانية– الحفصية أكبر درجات الديناميكية وأبرز التحولات الدينية والاجتماعية بفضل مؤسسة الزاوية، والتي لعبت دورا محوريا في كسر طوق الحدود الجغرافية وتمتين الروابط بين الحواضر والأرياف.

• إنّ توزع الزاوية الريفية على مختلف المجالات الريفية الشرقية والغربية للمغرب الأوسط يدل على وجود أرضية تاريخية ملائمة لهذا الانتشار، وقد ساهم وجود هؤلاء الأولياء في تثبيت السكان على هذه المجالات خاصة بعد الدور الذي لعبوه في حفظ الأمن، وهذا ما سمح بإعادة تنظيم المجالات الريفية للمغرب الأوسط.

•إنّ انتشار الزاوية الريفية سمح بتعمير هذه المجالات خاصة لما تم إحياء البساتين والأراضي المحيطة بها ،كما أن الاعتقاد في بركة الولي وقدسيته ولّد الطمأنينة في نفس السكان، وبالتالي ساهم ذلك في توطينهم واستقرارهم بهذه الأماكن.

•لقد سمحت الزاوية بضمان انتقال المعرفة وتداولها، وبها تطورت نزعات التصوف في الأوساط الريفية وتمّ تعريب سكان الريف، وهذا لم يتم إلا بوجود نخب علمية أخذت على عاتقها مهمّة نشر الثقافة الدينية واللغة العربية في المجالات الريفية، ولم يكن لهذه المهمة أن تتم لولا وجود الزاوية الريفية.

• تنوعت مصادر تمويل الزوايا هذا ما ساهم في تعدّد وظائفها واستمرارها ،ومن خلال الوثائق الحبسية التي وقفنا عليها تبرز لنا مؤسسة الزاوية كظاهرة اجتماعية ودورها في تنظيم المجال الريفي ،بالإضافة إلى دور الإقطاع في تثبيت الزاوية الريفية.

• من خلال هذه الدراسة وقفنا على الأهمية التاريخية لكتب المناقب والتي شكّلت أحد أهم مصادرنا، حيث ساعدتنا في كشف زوايا مهمة من الأحداث التاريخية في جوانبها وحيثياتها الاجتماعية،كما رسمت لنا صورة عن سلطة الأولياء في المجتمع الريفي وحضورهم المكثف والشامل في كافة المجالات وتدخّلهم الفعال فيه،وقد صوّرت لنا كتب المناقب اعتقاد مختلف فئات المجتمع في الأولياء وبركاتهم وقدراتهم الخارقة، وعَرَّفت بحقيقتهم الجوهرية.

•شكلت كرامات الأولياء أداة من أدوات النقد والدعوة إلى الإصلاح،حيث شمل هذا المشروع الإصلاحي جميع النواحي الأخلاقية والاجتماعية و السياسية و الاقتصادية .

• في علاقة الأولياء بالسلطة السياسية تعدّدت أشكال المعارضة لكنّها اتسمت في الغالب بالسلمية،كما نلاحظ ضعف الطموح السياسي، فلم نر عند متصوفة المغرب الأوسط بصفة عامة ومتصوفة أريافه بصفة خاصة أي محاولة لمنافسة السلطة في تقلد الحكم رغم ما وصلوا إليه من نفوذ، ولم تكن مخالطتهم لذوي السلطان إلا من أجل قضاء حاجيات الرعية، وبالنسبة لتعامل السلطة مع المتصوفة ،فقد أرادت السلطة احتواءهم بالتقرب منهم والتبرك بهم، إمّا اعتقادا في كاريزما الولي ،أو كسبا لولاء العامة وكسب ودّهم .

• في علاقة الأولياء بالفقهاء نلاحظ الدور التكاملي بين الشريحتين،كما أنّ ظهور الفقهاء الصوفية يبيّن مدى اندماج التصوف في المنظومة السنية المالكية وبالتالي إضفاء المشروعية .

• كان للفقهاء دور في التعريف بالأولياء والترويج لمناقبهم وإضفاء مشروعية سنية عليهم، من خلال ما كتبوه من مصنفات في المناقب والتراجم ،وبهذا فقد ساهموا في تعزيز ظاهرة الولاية وانتشارها في المجالات الريفية.

• إنّ الدور الذي لعبه الأولياء في تثقيف سكان المجالات الريفية وتعريفهم بدينهم ومحاربتهم للسلوكيات المنحرفة ، ودورهم المهم والفعال في الوسط الأعرابي ،من خلال التجارب الولائية التي ظهرت في الوسط الأعرابي، وما تبعه من إقلاع عن النشاط الحرابي، واستتابة فردية وجماعية، كلّ هذا أثر على موقف الفقهاء وجعلهم يستحسنون هذه الظاهرة ويتعاملون إيجابيا مع هذه الفئة.

• ومن خلال هذه الدراسة نتبيّن مدى مشاركة الفقهاء في ظاهرة تعظيم الأولياء ومدى اعتقاد أفرادها بالأولياء وفضلهم وكراماتهم، وعدم التواني عن اللجوء إلى الأولياء عند تعذّر أمورهم ،والتضرع عند قبورهم والتبرك بهم، هذا ما أضفى مشروعية على هذه الممارسات.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

# الـــمـــــلاحـــــــــق

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

## مـلـحق رقم (1)[1]:

### رسالة الخليفة الموحدي أبي العلاء إدريس بن يعقوب المنصور الملقب المأمون إلى الأقطار لإزالة اسم الخليفة الموحدي وكل ما تعلق به من معتقدات

من أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين ،إلى الطلبة والأشراف والأعيان والكافة، ومن معهم من المؤمنين،ومن المسلمين، أوزعهم الله حب نعمه الجسام، ولا أعدمهم طلاقة أوجه الأيام الوسام، فإنّا كتبناه لكم، كتب الله لكم عملا منقادا، وسعدا وقّادا، وخاطرا سالما،لا يزال على الطاعة مقيما،من حضرة مراكش كلأها الله .....وبعد:

فالذي نوصيكم به تقوى الله العظيم، والاستعانة به، والتوكل عليه، ولتعلموا أنّنا نبذنا الباطل، وأظهرنا الحق، وأن لا مهدي إلا عيسى بن مريم، روح الله ، وإن جرى محله اللسان لا يسمى وما سمي مهديا إلاّ أنه تكلم في المهد، فتلك بدعة قد أزلناها، والله يعيننا على هذه القلادة التي تقلدناها، وقد أسقطنا اسم من لم تثبت له عصمة، فلذلك أزلنا عنه رسمه، فيمحى ويسقط ولا يثبت، وقد كان سيدنا المنصور هَمَّ أن يصدع بما به الآن صدعنا، وأن يرفع عن الأمة الحزن الذي رفعنا، فلم يساعده لذلك أمله، ولا أجله لزواله إلاّ أجله، فقدم على ربه بنية صدق، خاص الطوية، وإذا كانت العصمة لن تثبت للصحابة، فما الظن بمن لم يدر بأي يد يأخذ كتابه، بل هم قد ظلوا وأظلوا، وتلفوا في ذلك وزلوا، ما تكون لهم الحجة على تلك الحاجة، اللهم اشهد أننا تبرأنا منهم براءة أهل الجنة من أهل النار، ونعوذ بك من أمرهم الرثيث،وفعلهم الخبيث،لأنهم في المعتقد من أهل النار،وإنّا نقول فيهم ما قال نبي الله نوح عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام« رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا »،والسلام.

[1] مؤلف أندلسي من أهل القرن الثامن عشر،الحلل الموشية،ص164-165.

## ملحق رقم (2)[1]:

### يتضمن بعض ما ورد في وظيفة الولي سيدي يحيى العيدلي

تُستهل الوظيفة بالاستعاذة وكثرة التهليل والاستغفار والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، والدعاء ببعض أسماء الله الحسنى ،ثم تليه قراءة آية الكرسي وسورة الإخلاص والمعوذتين بأعداد معينة ،ثم بعض الأدعية مثل:

-اللهم صلّ على ملائكتك المقربين ،وعلى أنبيائك والمرسلين، وعلى أهل طاعتك أجمعين.

-اللهم ارض عن سادتنا الفضلاء أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعلى الصحابة أجمعين، و أمهات المؤمنين وعن عبادك الصالحين.

-اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات إنّك أنت الجواد بالخيرات.

-اللهم افعل بنا وبهم عاجلا وآجلا في الدين والدنيا والآخرة ما أنت له أهل ولا تفعل بنا وبهم يا مولانا ما نحن أهل إنك أنت الغفور الحليم الجواد الكريم الرءوف الرحيم.

-وتختتم بالتسبيح بالحسبلة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلّم.

كما تحوي الوظيفة الابتهال التالي:

| | |
|---|---|
| يـا ذا المكـارم والـوفـاء | يـا ذا الجـلال الأحـد |
| المؤمـنـون تجـمـعـوا | يـرجون عفوك سيدي |
| بسـطوا إليـك أكفهم | والـرامقـات مـع اليد |
| وتـوسـلوا بنـبيـهم | سـر الـوجـود محـمـد |
| عـسـاك تـغفر ذنبنا | يا خير من هو مقصدي |
| يا خـالـقي يـا رازقي | يـا ثـقـتي يـا أمـلي |
| أنت المولى منك الرجاء | أنـت الـقـديـم الـأزلي |
| أنت المجيب لمن دعاك | أنـت الطبـيب للمبتلي |

[1]قدّمت لي نسخة مطبوعة من طرف أحد القيمين على الزاوية عند زيارتي لها يوم:2018/09/01م.

أنت الحليم أنت الكريم أنــت الغـفــور الـزلــل
أنت الـشـافي لمن سقم أنـــت البـارئ الـعــلل
أنت العـليم لمن خـفي فـلا تـخيـــب أمـلي
بجـــاه طـه وسـبـــأ وصـحبـه وابـن عـلي
فـــاغفر ذنـوبا سلفت واختـم بخيـر عملي
وثبـتنـــا يـوم اللـقاء عنـد حـضـور الأجل
بجـــاه سـيـد الـورى محـمـــدا المـفـضـل
وارزق لنا حسن الممات عــند حضـور الأجل
بجـــاه سـيد السادات محـمـد الـمـشـرف
وارزق لنا حسن الممات عـند حـضـور الأجل
بجـــاه أشـــرف الـورى محـمـــد المـــشـفـــع

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

## ملحق رقم (3)[1] :

في الوثيقة إشارة توضح وجود زاوية سيدي مسعود بقجال وتمتعها بظهائر أميرية منذ القرن الخامس الهجري

[1] وثيقة موجودة بمكتبة زاوية قجال غير مرقمة وغير معنونة.

## ملحق رقم(4)[1]:

وثيقة توضح تقديم الشيخ أبا عبد الله محمد بن إدريس على زاوية قجال وحقه في تسيير الممتلكات الموقوفة عليه

[1] وثيقة موجودة بمكتبة زاوية قجال بسطيف غير مرقمة.

## ملحق رقم(5)[1]:

ظهير موقع من طرف الأمير الحفصي أبو يحي زكرياء حبّس فيه عدّة أراضي لصالح زاوية قجال وخوّل لشيخها ولذريته حق التصرف في جميع هذه الممتلكات.

[1] ظهير موجود بمكتبة زاوية قجال بسطيف دون ترقيم

## ملحق رقم (6)[1]:

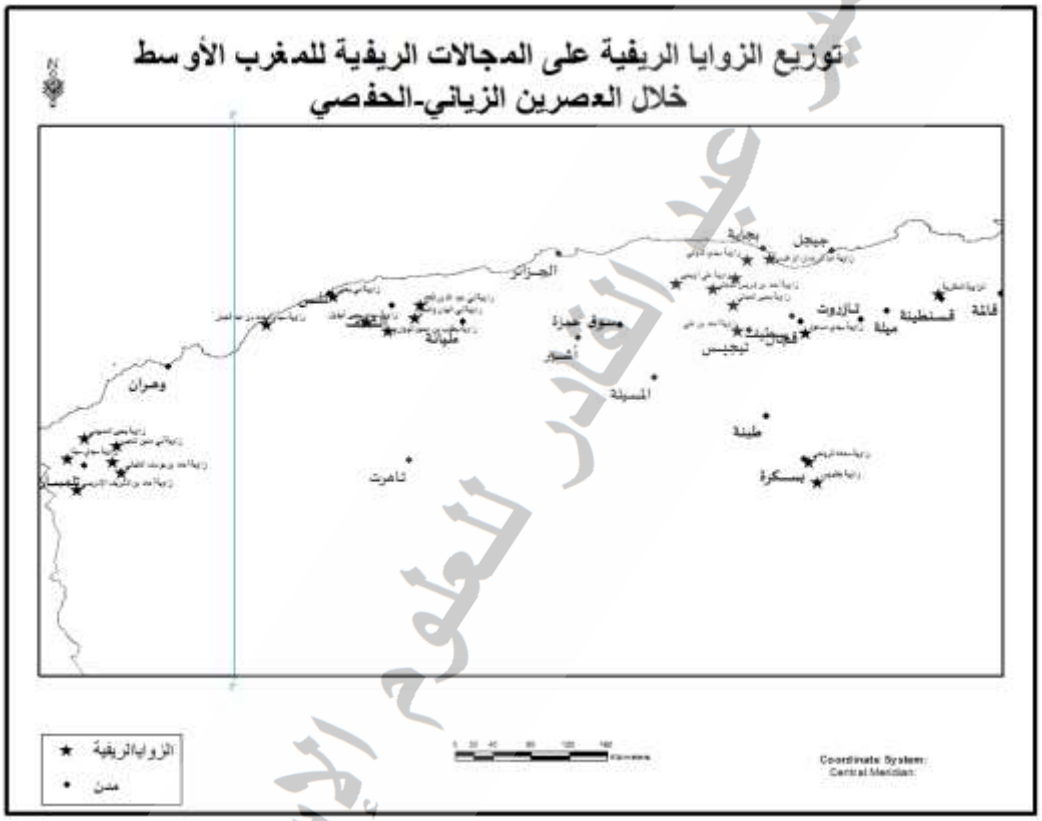


[1] خريطة من إعداد الأستاذ بن صفية سفيان ،أستاذ محاضر أ بجامعة سطيف2،تخصص جغرافيا وتهيئة عمرانية،(أنجزها وفق المعطيات التي أعطيتها له)

## ملحق رقم(7):

**شعر يلخّص أنواع كرامات الأولياء[1]**

إنّ الـكـرامـة أنـواع إذا ظـهـــرت ... كـالـزهـر في حسن أنفاس وألوان

مشيٌ على الماء أو في الجو قد نُقلا ... وشِبع ذي سغب أو رِيُّ ضمآن

وكـــم أُجـيـب وليّ حيـن دعـوته ... وكـم أُغـيث ولي عـنـد إذعـان

وفـيـــهم من يُجيـبه الجماد ومن ... يغـيـب عن درك أسماع وأجفان

ومنهم من يرى المختار من ملك ... ومن يجالـسـهـم في زي إخـوان

وكـم لهم من مـقـامات مكـرّمة ... هذا الـذي قـلتـه منـها كعنـوان

لا تسترب في كـرامات يُخص بها ... من اتـقـى الله في سرّ وإعـلان

فإن عـجـزت عن الجِدِّ الذي لهم ... فاصمت فليس مجد القوم كالواني

الأُسد تـشـهد والأطـيار ناطقـة ... بأنّهم من أولي التـفـضيل والشأن

[1] المازوني موسى، المصدر السابق، ص333-334.

# قائمة المصادر والمراجع

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

## ♦ القرآن الكريم

## ♦ الحديث النبوي

*البخاري محمد بن إسماعيل أبو عبد الله(ت256هـ):

**الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه:**صحيح البخاري ،تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر ، شرح وتعليق: مصطفى ديب البغا ، ، دار طوق النجاة ،بيروت–لبنان ، الطبعة الأولى ، 1422هـ، الجزء8.

*مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري(ت261هـ):

**المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم**،دار إحياء التراث العربي، بيروت،دون طبعة،1431هـ (تاريخ النشر بالشاملة)، الجزء1.

## ♦ المخطوطات:

* الأخضري عبد الرحمان(ت931هـ) :

**القدسية،** مخطوط جامعة الرياض ،تحت رقم:218/م . أ.

*الحسين الورتيلاني(ت1193هـ):

**مخطوط شوارق الأنوار في تحرير معاني الأذكار لوظيفة الشيخ العارف بالله النبراس المختار** ،نسخة المكتبة الموهوبية للمخطوطات ببجاية ،غير مرقمة، متوفرة على مدونة برج بن عزوز بصيغة pdf.

* ابن الصباغ محمد بن محمد بن علي القلعي:

**بستان الأزهار في مناقب زمزم الأخيار ومعدن الأنوار سيدي أحمد بن يوسف الراشدي النسب والدار**،مخطوط المكتبة الوطنية الجزائرية،تحت رقم:1707.

* المازوني أبو زكرياء يحي بن أبي عمران موسى بن عيسى المغيلي(ت883هـ/1478م):

**الدرر المكنونة في نوازل مازونة** ، مخطوط المدينة المنورة ، تحت رقم 30/ 2, 217 ، رقم الفيلم 79، النسخة الأولى ، الجزء 2 .

* مؤلف مجهول:

**اختصار كلام الراشدي: ما جاء في القول عن الرقص**، مخطوط الخزانة الصبيحية بسلا ، المغرب، رقم1/356.

*الوغليسي عبد الرحمان :

**الوغليسية**، مخطوط المكتبة الوطنية بالجزائر،رقم 590.

♦ **المصادر**:

*ابن الأحمر:

**تاريخ الدّولة الزيانية بتلمسان** ، تحقيق وتقديم وتعليق : هاني سلامة ، مكتبة الثقافة الدينية ، بور سعيد ،الطبعة الأولى، 1421هـ/2001م.

* أحمد بن داوود الأخضري:

**العقد الجوهري في التعريف بالقطب الشيخ سيدي عبد الرحمان الأخضري**، تقديم وتحقيق وتعليق: لحسن بن علجية، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى،1439هـ/ 2018م.

*الأخضري عبد الرحمان بن صغير(ت931هـ):

•**الجوهر المكنون في صدف الثلاثة فنون**، تحقيق: محمد بن عبد العزيز نصيف، مركز البصائر للبحث العلمي ، المدينة المنورة، دون طبعة ،دون تاريخ.

•**أزهر المطالب في هيئة الأفلاك والكواكب**، تقديم و تحقيق وتعليق:لحسن بن علجية، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان،الطبعة الأولى، 1439هـ /2018م .

*الباديسي عبد الحق بن إسماعيل(ت722هـ/1322م):

**المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف**،تحقيق: سعيد أعراب ،دون ناشر ،الرباط ، الطبعة الثانية،1414هـ /1993م.

*البرزلي أبو القاسم بن أحمد البلوي التونسي(ت844هـ/1440م):

**جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام** ،تقديم و تحقيق : محمد الحبيب الهيلة ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الأولى، 2002م ،الجزء2.

*البلوي خالد بن عيسى :

**تاج المفرق في تحلية علماء المشرق** ، تحقيق: الحسن السائح ، صندوق إحياء التراث الإسلامي المشترك بين المملكة المغربية والإمارات المتحدة ،دون طبعة ،دون تاريخ ،الجزء1.

*البوني أحمد بن قاسم(ت1139هـ/1727م):

**الدرة المصونة في علماء وصلحاء بونة** ، تقديم وتحقيق : سعد بوفلاقة ، بونة للبحوث والدراسات ، عنابة – الجزائر ، دون طبعة ، 1428هـ/ 2007م.

* التجاني أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد:

**رحلة التجاني**، تقديم: حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب،ليبيا، تونس،دون طبعة،1981م.

*التنبكتي أحمد بابا(1036هـ/1626م) :

**نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، تقديم،عبد الحميد عبد الله الهرّامة، دار الكتاب، طرابلس، الطبعة الثانية،2000م.

**كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج**، تحقيق:محمد مطيع، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية،دون طبعة، 1421هـ/2000م، الجزء2.

*التنسي محمد بن عبد الله(ت899هـ/1494م) :

**تاريخ بني زيان ملوك تلمسان** ،**مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان** ، تحقيق وتعليق: محمود آغا بوعياد ، موفم للنشر ، الجزائر ، دون طبعة ، 2011م .

*ابن الحاج النميري(توفي بعد774هـ) :

**فيض العباب وإفاضة قدّاح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب**،دراسة وإعداد :محمد بن شقرون، دار الغرب الإسلامي ، بيروت–لبنان، الطبعة الأولى، 1990م.

* ابن حزم أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي(ت456هـ):

**جمهرة أنساب العرب** ،تحقيق وتعليق : عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الخامسة، دون تاريخ ، الجزء2.

* الحفناوي أبو القاسم بن أبي القاسم الديسي:

**تعريف الخلف برجال السلف**، مطبعة بيير فونتانا الشرقية ،الجزائر،1324هـ/1906م.

*الحموي شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي(ت626هـ):

**معجم البلدان** ، تحقيق : محمّد الأمين الخانجي ، دار صادر ، بيروت ، دون طبعة ، 1397هـ/1977م ، الجزء5 .

*الحميري محمد بن عبد المنعم(ت900هـ):

**الروض المعطار في خبر الأقطار** ،تحقيق: إحسان عباس،مكتبة لبنان ،بيروت، الطبعة الثانية 2، 1984م.

* ابن خلدون عبد الرحمان بن محمد الحضرمي الاشبيلي(ت808هـ/1406م):

•**مقدمة ابن خلدون** ،تحقيق: عبد الله محمّد الدرويش ، دار يعرب ، دمشق ، الطبعة الأولى ، 1425هـ /2004م ، الجزء1.

•**رحلة ابن خلدون**،تحقيق:محمد ابن تاويت الطنجي،دار الكتب العلمية بيروت–لبنان،الطبعة الأولى، 1425هـ/2004م.

•**تاريخ ابن خلدون**، مراجعة : سهيل زكّار،دار الفكر، بيروت– لبنان ، دون طبعة، 1421هـ/2000م ،الجزء6والجزء7 .

* ابن خلدون أبو زكرياء يحي ابن أبي بكر محمد بن محمّد (ت780هـ/1378م):

**بغية الرّواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد** ، تحقيق : مطبعة بيير فونطانا الشرقية في الجزائر ، 1221هـ/1903م ،الجزء1 .

**بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد** ، تحقيق وتعليق: الدراجي بوزياني ، دار الأمل ، الجزائر ، دط ، 2007م .

* ابن الدباغ القيرواني(ت699هـ):

**الأسرار الجلية في المناقب الدهمانية** ، تحقيق وتقديم: عبد الكريم الشبلي ، دار كونتراست ، تونس،الطبعة الأولى، 2015م.

*الدباغ أبو زيد عبد الرحمان بن محمد الأنصاري، ابن ناجي أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى:

**معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**،تحقيق وتعليق:محمد ماضور،المكتبة العتيقة ومكتبة الخانجي،تونس ،مصر،دون طبعة،الجزء7.

* ابن الدراج أبو عبد الله محمد السبتي:

**كتاب الأمتاع والانتفاع بمسألة سماع السماع**،تحقيق:محمد بن شقرون، مطبعة الأندلس، القنيطرة–المغرب،الطبعة الأولى،1982م.

*الراشدي أحمد بن عبد الرحمان الشقراني:

**القول الأوسط في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط** ، تحقيق وتقديم :ناصر الدين سعيدوني ، البصائر الجديدة ،الجزائر،الطبعة الثانية ،دون تاريخ.

*ابن رشد أبو الوليد محمد بن أحمد بن أحمد القرطبي المالكي(ت520هـ/1126م):

**فتاوى ابن رشد**، تقديم و تحقيق : المختار بن الطاهر التليلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، 1407هـ/ 1987م، الجزء 1.

* ابن أبي زرع الفاسي علي(توفي بعد762هـ):

**الذّخيرة السنية في تاريخ الدّولة المرينية** ، دار المنصور ، الرباط ، 1392هـ/1972م.

*الزركشي أبو عبد الله محمّد بن إبراهيم (ق9هـ/15م):

**تاريخ الدولتين الموحّدية والحفصية** ، تحقيق وتعليق : محمد ماضور ، المكتبة العتيقة ، تونس ، الطبعة الثانية ، 1966م.

*الزمخشري أبو القاسم جار الله محمودبن عمر بن أحمد(538هـ/1143م):

**أساس البلاغة** ، تحقيق:محمد باسل عيون السود،)، دار الكتب العلمية ،بيروت-لبنان، الطبعة الثانية،1419هـ /1998م، الجزء2.

*ابن الزيات أبو يعقوب يوسف بن يحي التادلي(ت617هـ/1220م) :

**التشوف إلى رجال التصوف و أخبار أبي العباس السبتي**،تحقيق: أحمد التوفيق ،منشورات كلية الآداب ،الرباط ،الطبعة الثانية، 1997م.

* زروق أحمد (ت899هـ):

**عدة المريد الصادق** ،تحقيق: الصادق بن عبد الرحمان الغرياني ، دار ابن حزم ،بيروت_لبنان، الطبعة الأولى ، 1427هـ/2006م.

*ابن الطواح عبد الواحد محمد(كان حيا سنة714هـ/1314م):

**سبك المقال لفك العقال** ،تحقيق ودراسة: محمد مسعود جبران ، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ، طرابلس ، الطبعة الثانية، 2008م.

*ابن الصباح الأندلسي الحاج عبد الله :

**نسبة الأخبار وتذكرة الأخيار(رحلة حجازية)** ، تحقيق : جمعة شيخة ، نشر مجلّة دراسات أندلسية، عدد خاص45 – 46 ،(2011م) ،تونس.

*ابن صعد محمد الأنصاري(ت901هـ):

**روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين**، تحقيق ومراجعة:يحي بوعزيز، عالم المعرفة، الجزائر ،طبعة خاصة،2009م.

* العبدري محمد البلنسي(ق7هـ/13م):

**الرحلة المغربية**، تقديم:سعد بوفلاقة، بونة للبحوث والدراسات ، بونة-الجزائر ، 1428هـ/2007.

* ابن عذاري أبو العباس أحمد بن محمد(بعد712هـ/1312م):

**البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب**،تحقيق وتعليق:بشار عواد معروف،محمود بشار عواد،دار الغرب الإسلامي،تونس،الطبعة الأولى، 1434هـ/2013م ،الجزء3 .

*ابن عسكر محمد الحسني الشفشاوني(ت986هـ/1578م):

**دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر** ،تحقيق: محمد حجي،دار المغرب، المغرب، الطبعة الثانية،1397هـ/1977م.

*العمري ابن فضل الله شهاب الدين أحمد بن يحي(ت749هـ):

**مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان ،الجزء 4.

* الغبريني أبو العباس أحمد بن عبد الله(ت704هـ/1304م):

**عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، تعليق وتحقيق:عادل نويهض:دار الآفاق الجديدة ،بيروت، الطبعة الثانية،1979م.

* الغزالي أبو حامد محمد بن محمد(ت505هـ/1111م):

**إحياء علوم الدين**،دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى،1426هـ/2005م.

* ابن فرحون المالكي(ت799هـ/1397م):

**الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، تحقيق وتعليق :محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث ، القاهرة، دون طبعة، دون تاريخ.

*ابن القاضي أحمد المكناسي(1025هـ):

**جذوة الاقتباس في ذكر من حلّ من الأعلام مدينة فاس** ، دار المنصور ، الرباط ، دون طبعة ، 1973م.

*ابن قنفذ أبو العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب القسنطيني(ت810هـ/1408م) :

- **الوفيات** ، تحقيق وتعليق:عادل نويهض ، دار الآفاق الجديدة ،بيروت،الطبعة الرابعة ،1403هـ/1983م.

• **الفارسية في مبادئ الدّولة الحفصيّة**، تقديم و تحقيق : محمد الشاذلي النيفر، عبد المجيد التركي، الدار التونسية ، تونس، دون طبعة ، 1986م .

• **أنس الفقير وعز الحقير** ،اعتنى بنشره وتصحيحه: محمد الفاسي ،أدولف فور، المركز الجامعي للبحث العلمي،الرباط، دون طبعة،1995م.

*السخاوي شمس الدّين محمد بن عبد الرحمان(ت902هـ):

**الضوء اللاّمع لأهل القرن التاسع** ،دارالجيل ، بيروت ، دون طبعة،دون تاريخ، الجزء10.

*السنوسي محمد بن يوسف(ت895هـ):

**نصرة الفقير في الرد على أبي الحسن الصغير**،تحقيق: حسن حافظي علوي، كتاب دعوة الحق، العدد9، 1422هـ/2002م.

*ابن الشماع أبو عبد الله محمّد بن أحمد:

**الأدلة البيّنة النّورانية في مفاخر الدولة الحفصية** ، تحقيق وتعليق : الطّاهر بن محمّد المعموري ، الدّار العربية للكتاب، دون طبعة ، 1984 م.

*الشبلي أبو زكرياء يحي بن محمد بن الوليد:

**التقسيم والتبيين في حكم أموال المستغرقين من الظلمة والغاصبين**،تحقيق:جمعة محمود الزريقي ، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، الرباط، دون طبعة، 1414هـ/1993م.

*كاتب من كتاب القرن السادس هجري (12م):

**الاستبصار في عجائب الأمصار وصف مكة والمدينة ، ومصر ، وبلاد المغرب** ، تحقيق: سعد زغلول عبد الحميد ، دار النشر العربية ، الدار البيضاء ، دون طبعة ، 1985م.

*المازوني أبو عمران موسى بن عيسى(ت899هـ/1429م):

**مناقب صلحاء الشلف**، تحقيق: عبد القادر بوباية ،مكتبة الرشاد،سيدي بلعباس-الجزائر ،الطبعة الأولى، 2017م.

*المازوني أبوزكرياء يحي بن موسى المغيلي(ت883هـ/1478م):

**الدرر المكنونة في نوازل مازونة** ،تحقيق : مختار حساني ، مراجعة:مالك كرشوش الزواوي، دار الكتاب العربي ، دون طبعة ، دون تاريخ ، الجزء 1،2، 3، 4، 5.

*مؤلف أندلسي من أهل القرن الثامن عشر:

**الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية** ، تحقيق: سهيل زكار ، عبد القادر زمامة ، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء ، الطبعة الأولى، **1399هـ/1979م**.

*مؤلف مجهول:

**زهر البستان في دولة بني زيان** ، تحقيق و تقديم : الدراجي بوزياني ، مؤسسة بوزياني ، الجزائر ، دون طبعة ، دون تاريخ ،الجزء2.

*المرّاكشي أبو محمد عبد الواحد بن علي(ت647هـ/1250م):

**المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، شرحه واعتنى به :صلاح الدّين الهواري، المكتبة العصرية ، بيروت،الطبعة الأولى، 1426هـ/2006م.

*ابن مرزوق أبو عبد الله محمد التلمساني(ت781هـ/1379م):

**المناقب المرزوقية** ،تحقيق :سلوى الزاهري، وزارةالأوقاف والشؤون الإسلامية ، المملكة المغربية ، الطبعة الأولى ، 1429هـ/ 2008م.

**المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن**،دراسة وتحقيق:ماريا خيسوس بيغيرا،تقديم: محمود بوعياد، الشركة الوطنية ،الجزائر،دون طبعة ،1981م.

*ابن مريم أبو عبد الله محمد بن محمدبن أحمد الشريف المليتي المديوني(ق11هـ):

**البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**،نشر محمد ابن أبي شنب ،المطبعة الثعالبية ، الجزائر ، 1326هـ/1908م.

*ابن مريدة محمد المكي السرغيني المراكشي:

**الكواكب السيارة في البحث والحث على الزيارة** ،تقديم وتحقيق: عبد الحي اليملاحي،سلسلة التراث والفكر بالمغرب(2) ،دن،دم ،الطبعة الأولى، 1435هـ/2014م.

*الملالي أبو عبد الله محمد بن عمر:

**المواهب القدّوسية في المناقب السنوسية** ، تحقيق وتعليق: علاق بوربيق، دار كردادة، الجزائر ،طبعة خاصة،2011م.

*ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري:

**لسان العرب** ، دار صادر ، بيروت ، دون طبعة ، دون تاريخ ، الجزء 1 والجزء9والجزء14.

*النّاصري أبو العباس أحمد بن خالد:

**الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى ،الدولة المرينية** ، تحقيق وتعليق: جعفر النّاصري ، محمد النّاصري ، دار الكتاب ، الدار البيضاء، دون طبعة ، 1418هـ/ 1997م ، الجزء3والجزء4.

*النباهي أبو الحسن بن عبد الله ابن الحسن المالقي الأندلسي(توفي بعد792هـ/1390م) :

**تأريخ قضاة الأندلس، وسماه كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء و الفتيا** ، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي دار الآفاق الجديدة ، بيروت ،الطبعة الخامسة ، 1403هـ/1983م.

*الورتيلاني الحسين بن محمد(ت1193هـ):

**نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار** ، مطبعة بيير فونتانا الشرقية ،بعناية ابن أبي شنب، الجزائر ،1336هـ/1908م.

*الوزان الحسن بن محمد الفاسي ،( ليون الإفريقي )(توفي بعد957هـ/1559م):

**وصف إفريقيا** ، ترجمة:محمّد حجي ، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ،لبنان ،الطبعة الثانية ، 1983م، الجزء2.

*الونشريسي أبو العباس أحمد بن يحي(ت914هـ/1508م):

**المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب** ، تخريج :جماعة من الفقهاء ، إشراف ، محمد حجي ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ،المملكة المغربية ، دون طبعة ، 1401هـ/ 1981م ، الجزء1 والجزء3والجزء4 والجزء8 والجزء9.

**♦المراجع باللغة العربية:**

* أحمد مصطفى أبو الضيف:

• **أثر القبائل العربية في الحياة المغربية ،منذ الفتح العربي إلى سقوط الدول المستقلة (23-296هـ /643-906م)**، دار النشر المغربية ، المغرب ،الطبعة الأولى ، 1986م .

•**أثر القبائل العربية في الحياة المغربية خلال عصري الموحدين وبني مرين (524-876هـ/1130-1472م)** ،دار النشر المغربية ، الدار البيضاء ،الطبعة الأولى، 1982م.

*بريكة مسعود:

**النخبة والسلطة في بجاية الحفصية(7-9هـ/13-15م)** ،دار ميم، الجزائر،الطبعة الأولى، 2014م.

*بعيزيق الصالح :

**بجاية في العهد الحفصي: دراسة اقتصادية واجتماعية** ،منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ،تونس ،2006م

* بوتشيش إبراهيم القادري :

**تاريخ الغرب الإسلامي، قراءات جديدة في بعض قضايا المجتمع والحضارة** ، دار الطليعة ، بيروت– لبنان، الطبعة الأولى،1994 م.

*بل ألفرد:

**الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم**،ترجمة:عبد الرحمان بدوي ، دار الغرب الإسلامي بيروت، لبنان ،الطبعة الثالثة،1987م .

* بوداود عبيد:

**ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين (ق13–15م) دراسة في التاريخ السوسيو ثقافي**، دار الغرب، وهران–الجزائر، دون طبعة،2003م.

*بوعزيز يحي:

**تلمسان عاصمة المغرب الأوسط**، صادر عن وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية، 2007م .

*بوعياد محمود:

**جوانب من الحياة في المغرب الأوسط في القرن التاسع هجري/الخامس عشر ميلادي**،الشركة الوطنية ، الجزائر ،دون طبعة ، 1982م.

* بونابي الطاهر:

**التصوف في الجزائر خلال القرنين 6و7الهجريين/12و13 الميلاديين ،نشأته،تياراته،دوره الاجتماعي والثقافي والفكري والسياسي**، مساهمة في التاريخ الديني والاجتماعي للجزائر خلال العصر الوسيط،دار الهدى ، عين مليلة،دون طبعة،دون تاريخ.

* الجيلالي عبد الرحمان:

**تاريخ الجزائر العام** ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ،الطبعة الثانية ، 1385هـ/1965م ، الجزء2.

*حجي محمد :

**الزاوية الدلائية ودورها العلمي والديني والسياسي** ، نشر المطبعة الوطنية ، الرباط ،دون طبعة.

*حركاتإبراهيم:

**المجتمع الإسلامي والسلطة في العصر الوسيط** ، أفريقيا الشرق ، المغرب ، دون طبعة ، 1998م .

*حسن محمد:

**المدينة و البادية بإفريقية في العهد الحفصي** ، جامعة تونس الأولى ، تونس ، دون طبعة ، 1999م الجزء1و2.

* حميدي خميس:

**نشأة التصوف في المغرب الإسلامي الوسيط، اتجاهاته،مدارسه،أعلامه،** عالم الكتب الحديث، الأردن، الطبعة الأولى، 1423هـ/2011م.

* دحمور منصور بختي :

**ظاهرة الولاية وتأثيراتها على مجتمع المغرب الأوسط ، فيما بين القرنين 6و9للهجرة ،/12و15للميلاد،** صفحات للدراسات والنشر، الإمارات العربية المتحدة، دبي، الطبعة الأولى ،2017م.

الراشد فهد سالم :

**الرباط والمرابطة** ،تقديم: زعيم خنشلاوي،دار الجائزة، القبة-الجزائر، الطبعة الأولى، 1432هـ/2011م.

* الصلابي علي محمّد:

**تاريخ دولتي المرابطين و الموحّدين في الشمال الإفريقي** ،دار المعرفة ، بيروت – لبنان، الطبعة الثالثة،1430هـ/2009م.

* ضريف محمد:

**مؤسسة الزوايا بالمغرب،** منشورات المجلّة المغربية لعلم الاجتماع السياسي،المغرب، الطبعة الأولى ، 1992م.

*العامري نللي سلامة:

**الولاية والمجتمع،مساهمة في التاريخ الاجتماعي والديني لإفريقية في العهد الحفصي**، دار الفارابي، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، 2001 م.

**التصوف بإفريقية في العصر الوسيط من القرن3هـ/9م إلى نهاية القرن 9هـ/15م** ،دار كونتراست،سوسة-تونس،2009م.

* عتو عبد الله:

**أدب الكرامات من ميثاق الثقة إلى خطاب التماهي**،دار الأمان ، الرباط، دون طبعة ، 2014م.

* عيسى لطفي:

**مغرب المتصوفة "الانعكاسات السياسية والحراك الاجتماعي من القرن 10إلى القرن 17م"** ، مركز النشر الجامعي، تونس، دون طبعة، 2005 م.

* الفاسي علال :

**التصوف الإسلامي في المغرب العربي**،إعداد: عبد الرحمان بن العربي الحريشي، تصحيح: المختار باقة ،منشورات مؤسسة علال الفاسي ،الرباط، الطبعة الثانية،1435هـ/2014م.

* فتحة محمد :

**النوازل الفقهية والمجتمع ، أبحاث في تاريخ الغرب الإسلامي( من القرن 6هـ-9هـ /12م -15م)** ،كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الدار البيضاء ، دون طبعة ، 1999م

* فيلالي عبد العزيز:

**تلمسان في العهد الزياني ،(دراسة سياسية ،عمرانية ، اجتماعية ، ثقافية )**،موفم للنشر ، الجزائر ، دون طبعة ، 2002م ، الجزء1 .

* فيلالي عبد العزيز ،بحاز إبراهيم :

**مدينة ميلة في العصر الوسيط**،دار الهدى، عين مليلة- الجزائر-،دون طبعة، 2017م .

* القبلي محمد :

**حول تاريخ المجتمع المغربي في العصر الوسيط**، مقدّمات أولية وقضايا ،نشر الفنك ، المغرب ،دون طبعة ، 1998م.

* سعد الله أبو القاسم :

**تاريخ الجزائر الثقافي** ، دار الغرب الإسلامي ، الطبعة الأولى، 1998م،الجزء1 .

* سعيد محمد:

**الولاية والصلاح بإفريقية في العصر الوسيط الأول**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة سوسة،تونس،دون طبعة،2018م

* الشاذلي عبد اللطيف:

**التصوف والمجتمع ،نماذج من القرن العاشر هجري**،منشورات جامعة الحسن الثاني،سلا المغرب، دط ،1989م.

* الشاهدي الحسن:

**التصوف والأدب الصوفي**، مطبعة الأمنية، الرباط، دون طبعة،2006م.

* شاوش الحاج محمد بن رمضان

**باقة السّوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان** ،ديوان المطبوعات الجامعية ، تلمسان ، الطبعة الثانية ، 2001م ،الجزء1.

* الشريف محمد:

**التصوف والسلطة بالمغرب الموحدي، مساهمة في دراسة ثنائية الحكم والدين في النسق المغربي الوسيط**، منشورات الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية ، الرباط، الطبعة الأولى، 2004م.

* شغموم الميلودي :

**المتخيل والقدسي في التصوف الإسلامي**،دار الحوار،الطبعة الثانية، 2011م.

* شودكيفيتش ميشيل :

**الولاية**، ترجمة:أحمد الطيب ، المجلس الأعلى للثقافة،دون مكان،دون طبعة.

*كاربخال مارمول :

**إفريقيا**، ترجمة: محمد حجي، محمد الأخضر، أحمد التوفيق ، أحمد بنجلون ، محمد زنيبر، مكتبة المعارف ، الرباط ، المغرب ، دون طبعة ، 1404هـ/ 1984م ، الجزء1.

*كامل محمد كمال:

**التصوف والمتصوفة في المغرب الأقصى في عصر بني مرين(668 هـ/1268م-869هـ/1469 م)**، دار الآفاق العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1435هـ/2014م.

*كحالة عمر رضا:

**معجم المؤلفين(تراجم مصنفي الكتب العربية)**،مكتبة المثنى ودار إحياء التراث العربي، بيروت،دون طبعة،1376هـ/ 1965م، ج13.

*لي تورنو روجر:

**حركة الموحّدين في المغرب في القرنين الثاني عشر والثالث عشر**،تعريب:أمين الطيبي، المدارس، الدار البيضاء،الطبعة الثانية، 1419هـ/1998م .

* المازوني محمد :

**دراسات في تاريخ التصوف المغربي**،جامعة ابن زهر،أكادير، دون طبعة، دون تاريخ.

* منديب عبد الغني:

**الدين والمجتمع ، دراسة سوسيولوجية للتدين بالمغرب**، أفريقيا الشرق،المغرب،الطبعة الثانية، 2010م.

* نجمي عبد الله :

**التصوف والبدعة بالمغرب طائفة العكاكزة ق16-17م**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ،جامعة محمد الخامس، الرباط ،الطبعة الأولى، 1421هـ /2000م.

*نسيبمحمد :

**زوايا العلم والقرآن** بالجزائر،دار الفكر،الجزائر،دمشق-سورية، دون طبعة، 1983م .

* نويهض عادل:

**معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**، مؤسسة نويهض الثقافية ، بيروت-لبنان، الطبعة الثانية، 1400هـ/1980م.

* ولد السالم حماه الله:

**تاريخ الأمازيغ والهجرة الهلالية، مقتطف من كتاب العبر لابن خلدون مع دراسة قبائل البافور الغامضة**، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ،دون طبعة ،دون تاريخ، الجزء2 .

**المراجع باللغة الأجنبية**

*BelAlfred :

La religion musulmane en Berbérie :Equisse d ' histoire et de sociologies religieuses ,Tome.l «Etablissement et development de l'Islam en Berbérie du VII[e] au XX[e]siecle » ,Paris, Librairie orientaliste Paule Geuthner,1938.

*Corneille Trumelet:

L'Algerie légendaire en pèlerinage ça et la aux tombeaux des principaux Thaumatuges de L'Islam (Tell et Sahara) , Augustin Challamel Editeur, Paris ,1982

*reine Louis:

Marabout et Khouan ,Etude sur L'Islam en Algérie ,Adolphe Jourdan, Libraire-Éditeur ,imprimeur-libraire de l'académie ,Alger,1884 .

*Octave Depont et Xavier Coppolani :

Les confréries religieuses musulmanes,J.Maisonneuve et P.Geuthner S.A, Paris,1987.

**المقالات باللغة العربية:**

* بشير عبد الرحمان:

" **العرب في عصر الموحدين بين الخضوع والتمرد**" ، عين للدراسات الانسانية والاجتماعية ، قسم الإسلام والمسلمين ،تاريخ المغرب العربي،نشرت في 16فيفري 2015م. أنظر الموقع: www.dar-ein.com

* بلمداني نوال :

"**السلطة والقبائل الرعوية بمجالات المغرب الأوسط دراسة في العلاقة (ق4هـ/10م)**"، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية ،العدد الأول ،2015م.

* بوعبدلي المهدي :

"**عبد الرحمان الأخضري وأطوار السلفية في الجزائر**"، مجلة الأصالة ،العدد52، 1977م .

* بونابي الطاهر:

•**"نشأة وتطور الأدب الصوفي في المغرب الأوسط"** ، مجلة جوليات التراث،العدد 2، 2004م.

•**"التصوف العرفاني السني عند محمد بن يوسف السنوسي (ت895هـ/1489)"**، مجلة عصورالجديدة،العدد2، 2011م.

•**"طريقة أحمد بن يوسف الملياني الراشدي بين ثنائية التصوف العرفاني السني والطريقة الصوفية الإصلاحية"**،مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ،العدد2014،9م.

*البياض عبد الهادي :

**"جوانب من تاريخ النخبة الصوفية بمغرب العصر الوسيط "**،مقال ضمن كتاب :النخبة في تاريخ الغرب الإسلامي،ضوابط المفهوم وتجليات الأدوار،تنسيق وتقديم:محمد البركة، مختبر البحث في العلاقات الثقافية المغربية المتوسطية ،جامعة سيدي محمد بن عبد الله،الكلية متعدّدة التخصصات ،تازة، ،دون طبعة ،2015م.

*جحاح محمد :

**''الزوايا والمخزن أو جدلية السلطة والمجتمع بالمغرب الما قبل كولونيالي ، :مراجعة نقدية للأطروحتين (الكولونيالية والوطنية)''** ،ضمن كتاب التصوف والسياسة الدينية، مجموعة من الباحثين، إشراف:محمد جحاح، أفريقيا الشرق ،الدار البيضاء-المغرب، دون طبعة، 2017م.

*حسن محمد :

**"الريف المغربي في أواخر العصر الوسيط ، مدخل لدراسته من خلال نوازل المعيار للونشريسي"** ، مقال ضمن ملتقى :

"Le monde rural magrebin , cmmunauté et stratifications social(oran26,27,28)novembre 1983.tome1,opu,Alger.

*حمادوش الزبير :

"قجال عبر التاريخ"، مجلة منبر قجال ، العدد 1-6 ،2002م.

*خلفات مفتاح :

**" العلاقة بين الصوفية والمجتمع ببجاية خلال العصر الوسيط"** ،أعمال الملتقى الدولي حول بجاية مدينة التاريخ والحضارة (بجاية 30و31أكتوبر 2012)، جامعة عبد الرحمان ميرة ،بجاية ،2013م.

* زياني الصادق :

" **جغرافية العمران ببلاد الزاب من خلال رحلة فيض العباب للنميري –قصر عثمان الرياحي أنموذجا–**"،مجلّة ميلاف للبحوث والدراسات ،المجلد 4، العدد الأول،2018م.

* علواني صالح :

**"انتشار الولاية في بلاد القبائل الرحل وتشكل قبائل مرابطية ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين /القرنين الثالث عشر والخامس عشر ميلاديين"** ،مجلة إنسانيات ،العدد60-2013،61م.

*العمراني محمد:

"**كتب المناقب وترسيخ الاعتقاد في الكرامة الصوفية**"، مجلة المصباحية، العدد9، 2012م

*عمارة علاوة:

• **" الهجرة الهلالية وإشكالية انحطاط حضارة المغرب الإسلامي الوسيط ،قراءة في نقاش تاريخي،"** ، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية ، العدد2004،4م.

•**"قراءة وعرض لكتاب :القبائل والمرابطون الأعراب والولاية في داخل إفريقية بين القرن 6هـ/12م والقرن 12هـ/18م"** ، للمؤلف صالح علواني ، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية ، العدد2011،12م.

•**"الهجرة الهلالية وأثرها في تغيير البنية الاجتماعية لبلاد الزاب"** ،مجلّة الآداب والعلوم الإنسانية ،العدد 10 ،2009 م.

• **" المخطوطات التاريخية العربية بمكتبة اللغات الشرقية بباريس"**،مجلّة اتحاد الجامعات العربية للآداب،العدد1 ،2009م.

*غرداوي نور الدين :

**"كتب الفتاوى مصدرا لكتابة التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والثقافي للمغرب الأوسط ،نوازل المازوني نموذجا"** ، مجلة الدراسات التاريخية ،العدد14، 1433هـ/2012م.

*فرانسيسكو رودريغز مانياس:

**"عودة إلى الجدل بين المتصوفة والفقهاء في العصر الوسيط انتقاء آليات تمويل الطوائف الصوفية "** ،ترجمة:محمد الشريف،مجلّة المناهل،العدد،91،92 2012م.

*فرحات حليمة :

•**"الصلحاء والسلطة بين الرفض والإغراء في المغرب الوسيط"** ،تر:محمد الغرايب، مقال ضمن كتاب السلطة والفقهاء والمجتمع في تاريخ المغرب الائتلاف والاختلاف ،أعمال تكريمية مهداة للأستاذ أحمد عزاوي،تن:محمد الغرايب،عبد العزيز بل الفايدة،عبد العزيز عينوز،منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة ابن الطفيل،القنيطرة-المغرب، دط، 2013م.

•**"السلاطين والأولياء والفقهاء ومسألة السلطة"** ،تر:عبد العزيز بلقايدة ، محمد الغرايب ، ضمن كتاب السلطة والفقهاء والمجتمع في تاريخ المغرب الائتلاف والاختلاف، أعمال تكريمية مهداة للأستاذ أحمد عزاوي،دون طبعة، 2013م.

*قاسمي نضيرة :

**"دور الزوايا في الإشعاع العلمي والحفاظ على المقومات الدينية والروح الوطنية _زاوية سيدي يحي العيدلي بثمقرة في منطقة بجاية أنموذجا _**"ضمن كتاب الزوايا الصوفية ودورها في المحافظة على الشخصية الوطنية،فعاليات الملتقى الوطني العاشر (بسكرة عبر التاريخ)، ،أيام 20، 21، 22، 23 ديسمبر2015م.

*ساحي أحمد :

**"أحمد بن إدريس البجائي الأيلولي(ق8هـ/14م)ودور زواوة في التراث العربي الإسلامي"** ، مجلة الدراسات التاريخية،العدد 7،1993م.

*السحنوني علي أمقران:

**"هذا الشيخ المجهول (( الشيخ أبو زكرياء يحي العيدلي ))"** ، مجلة الدراسات التاريخية،العدد4، 1988م.

*سعيد محمد :

**"الإمكانيات ومحدودية النص المنقبي في الكتابة التاريخية ،مناقب أبي إسحاق الجبنياني نموذجا"**، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية ،العدد 5 ؛ 6 (2015/2014) .

*سعيدوني ناصر الدين:

**"مؤسسة الزوايا في الجزائر العثمانية (نموذج بلاد القبائل)"**،بحوث المؤتمر الدولي حول العلم والمعرفة في العالم العثماني ،بمناسبة الذكر 700 على قيام الدولة العثمانية ،12_15أفريل/نيسان 1999، نشر مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باستانبول ،دون طبعة ،دون تاريخ.

*لدرع أمال:

**الخطاب المنقبي وصياغة الحدث التاريخي"غياب الأمن"غزو تلمسان و حصاراتها خلال العهد الزياني أنموذجا،** مجلة منتدى الأستاذ ، العدد18،2016م.

*لغزاوي لمياء:

**"وقفات تاريخية في كتب المناقب ،أنموذج المستفاد للتميمي"** ، مجلة عصور ، المجلد 10، 20، 2013م.

*مجاني بوبة:

**"كتب النوازل والأحكام مصدر للتاريخ الاجتماعي–العصر الزياني –نموذجا"**، التغيرات الاجتماعية في البلدان المغاربية عبر العصور، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية،منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية وقسم التاريخ،جامعة منتوري، قسنطينة.

*نقروش حميد :

**"في أصول الظاهرة المرابطية في منطقة القبائل:نظرة حول المفاهيم :الرباط،المرابط، الظاهرة المرابطية، الشريفية والفقيه"**،آفاق فكرية، المجلد2،4، 2018م.

**المقالات باللغة الأجنبية:**

***Amara Allaoua** :

•"l'organisation du peuplement rural dans le Maghreb central médiéval" , revue des études littéraire et humaines ,5(2009).

•"Communautés rurales et pouvoirs urbain au Maghreb central (VII-XIV$^{e}$) siècles" , REMMM , V126 .

•"L'islamisation du Maghreb central (VII$^{e}$-XI$^{e}$)siècle, Islamisation etarabisation de l'Occident musulman médiéval (VIIe-XIIe siècle)" ,(s /d D.Dominique Valérian, , Paris, Presses universitaires de la Sorbonne.

•"L'animation de la façade maritime du Maghreb central (VIII - XII)",revue des lettres et sciences humaines,6(2005) .

•"La mer et les milieux mystique d'aprés la production hagiographiques du Maghreb occidental (XII$^{e}$-XV$^{e}$ siècle),REMMM(130).

***Amri Nelli** :

"Khalwa et bayt al-khalwa dans le soufisme ifriqiyen du IV/X Siècle au X/XVI siècle :Quelque remarques sur la pratique , ses lieux et sa diffusion",Al.Sabil :Revue d'Histoire ,d 'Archeologie et d 'Architecture Maghrébines [ En ligne4](2017),p1-3 .

* **BelAlfred**:

L'islam mystique, Revue Africaine,N$^{0}$334(1928).

***Féraud Charles** :

"Note sur Tebessa" , Revue Africaine ,N$^{0}$ 18, 1874 .

***Filali Kamel**:

" Sainteté maraboutique et mysticisme: contribution à l'étude du mouvement maraboutique en Algérie sous la domination ottomane ",Revue insaniyat, 3(1997).

***Marcel Bodin**:

" Note et question sur Sidi Ahmed ben Youcef" ,Revue Africaine , v66(1925) .

***Olesen Niels Henrik**:

"Etude comparée des idées d' Ibn Taymiyya(1263-1328) et Martin Luther(1483-1546) sur le culte des saints", dans Revue des Etudes Islamiques ,L : 1982

***Talbi Mohamed** :

"Droit et économie en Ifriqiya a III/IX$^{e}$ siècle" rééd dans étude d'histoire Ifriqienne et de civilisation musulmane ,Tunis, publication de l'université de Tunis,1989,p185-208 .

**الرسائل الجامعية:**

* إسكان الحسين :

**جوانب من تاريخ التعليم في المغرب الوسيط من القرن 7هـ/13م إلى القرن 9هـ/14م**، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا ،إشراف:محمد زنيبر ،جامعة محمد الخامس، الرباط ،1987م_1988 م .

* بكاي عبد المالك:

**الحياة الريفية في المغرب الأوسط من القرن 7 – 10هـ/13 – 16م**، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الإسلامي ، إشراف مسعود مزهودي ، جامعة الحاج لخضر ، 1435هـ/2014م.

* بوحسون عبد القادر:

**العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والأندلس خلال العهد الزياني(633–962هـ/1235–1554م)**، مذكّرة ماجيستير في تاريخ المغرب الإسلامي ،إشراف: لخضر عبدلّي، جامعة أبي بكر بلقايد، 2008م .

*بنميرة عمر:

**النوازل والمجتمع،مساهمة في دراسة تاريخ البادية بالمغرب (القرنان 8و9هـ/14و15م)**،دبلوم الدراسات العليا،إشراف:محمد زنيبر،جامعة محمد الخامس،الرباط،1988م-1989م.

*بونابي الطاهر:

**الحركة الصوفية بالمغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين 14–15 الميلاديين** ، أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ الإسلامي الوسيط ،إشراف :عبد العزيز فيلالي، جامعة الجزائر،1430هـ/ 2009م ،الجزء1و2.

* عميور سكينة :

**ريف المغربالأوسط في القرنين 5و6هـ/11و12م –دراسة اقتصادية و اجتماعية–**، رسالة ماجيستير في التاريخ ، تخصص: تاريخ الريف والبادية ، إشراف :إبراهيم بكير بحاز ، جامعة قسنطينة 2 ، 1433-1434هـ/2012-2013م .

* عومري عبد الحميد:

**عبد الرحمان الأخضري ودوره في حركة التجديد والإصلاح(920هـ-953هـ/1516م-1548م)**،مذكرة ماجيستير في التاريخ الجتماعي والثقافي المغاربي عبر العصور،إشراف :محمد حوتية ،أدرار،2015م.

*شقطمي هناء :

**الخطاب الفقهي والريف بالمغرب الأوسط من خلال الدرر المكنونة في نوازل مازونة** ،مذكرة ماجيستير في التاريخ ، إشراف :علاوة عمارة ، جامعة الأمير عبد القادر ،قسنطينة،2013م.

*لحمنات عبد الجليل :

**التصوف المغربي في القرن السادس هجري/12م،مقدمة لدراسة تاريخ التصوف بالمغرب**،رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية،جامعة محمد الخامس ،الرباط، مرقونة،1989-1990.

* لدرع أمال:

**الحركة الصوفية في بلاد المغرب الأوسط خلال العصر الزياني(633هـ-962هـ/1236م-1555م)**،مذكرة ماجيستير في التاريخ الوسيط، إشراف: بوبة مجاني، جامعة منتوري، 2006م.

* مزدور سمية :

**المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط (588-927هـ/1192-1520م)**، مذكرة ماجيستير في التاريخ الوسيط،إشراف محمد الأمين بلغيث، قسنطينة ،2009م.

* المغراوي محمد :

**العلماء والصلحاء والسلطة بالمغرب والأندلس في عصر الموحدين** ، دكتوراه دولة في التاريخ ، إشراف :عز الدين عمر موسى،أحمد التوفيق جامعة محمد الخامس ، 2002م/1423هـ .

# الـــــفـــهـــــارس


- فهرس القبائل والدول والشعوب
- فهرس الأماكن
- فهرس الأعلام
- فهرس المصنفات


جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

## فهرس القبائل والدول والشعوب

### (أ)

الأعاجم: 18.
الإسبانيين: 42، 43.
الأكراد: 19 .
الأندلسيين: 111.
أهل الذمة: 45.
الأوربيون: 54، 56.
أولاد إدريس: 72 .
أولاد تليل: 74.
أولاد طلحة: 72، 73.
أولاد عبيد:74 ،77 .
أولاد عريف: 34، 38 .
أولاد عساكر: 72، 116.
أولاد سباع: 72.
أولاد شكر: 69.
أولاد محرز: 73، 116.
أولاد يزيد:72.
آيت جناد: 163.

### (ب)

البربر:18، 19، 22، 44، 45، 60، 61، 67، 68.
بنو أبي ميلك:222.
بنو نوجين: 29، 30، 31، 33، 36، 37، 140، 147، 167، 187،191، 192، 215.
بنو زيد:77.
بنو عامر:34، 36، 38، 64.
بنو عباس:117.
بنو عبد الواد: 26، 27، 28، 31، 33، 40.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بنو غانية:25.
بنو سعيد: 64.
بنو سلامة: 67.
بنو سليم: 68، 128.
بنو محمد بن مسعود: 72.
بنو مزني: 62 ،115 .
بنو واترد: 107.
بنو يتورغ: 188.
بنو يجر: 201.
بنو يزناسن: 42.
بنو يعلى: 140.
بنو يمل:214.

(ت)

الترك: 18، 19.
التركمان:19.
التونسيون:78.

(ج)

الجزائريين:78.
الجنويين:54.

(ح)

حصين: 38، 39.
الحفصيين: 24، 26،27، 28، 31، 32، 34، 41، 42، 44، 56، 157، 158، 176، 202.
الحنانشة:79.

(د)

الدواودة: 37، 38، 72، 73، 74، 80.
الديالم: 31، 38، 64، 68.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(ر)

رحمان:71، 115.

رياح: 37، 62، 64، 68، 71، 73، 79، 107، 115، 199، 200.

(ز)

زغبة:37، 38، 72.

زناتة: 19، 31، 34، 42، 209.

زواوة: 201.

الزيانيين: 23، 26، 27، 28، 30، 32، 33، 34، 35، 36، 37، 38، 39، 40، 41، 42، 43، 44، 161، 172، 202.

(ع)

العثمانيين:43.

العرب(الأعراب، القبائل العربية): 19، 23،27، 31، 33، 34، 38، 39، 40، 42، 43، 44، 53، 45، 60، 61، 62، 63، 64، 65، 66، 67، 68، 69، 70، 79، 82، 85،87، 91، 95، 116، 125، 126، 137، 146، 158، 162، 167، 176، 179، 180، 181، 185، 197، 199، 202، 221.

العطاف: 38، 72.

العلوج: 31.

(غ)

غمارة:107.

(ف)

الفراشيش:74.

(ق)

القشتاليين:25.

(س)

سويد:31، 36، 38، 64، 67، 68، 125، 180.

(ش)

الشاوية:18.

(ل)

لواتة:81، 167، 218.

(م)

المرينيين: 25، 26، 27، 28، 29، 30، 31، 32، 33، 34، 35، 36، 37، 38، 39، 40، 41، 44، 161، 176.

المصامدة: 28، 112.

المعقل: 36، 37، 38، 39.

المغاربة: 68.

مغراوة: 29، 30، 31، 33، 34، 147، 167، 187، 191، 192، 215.

مسلم:71، 115.

المسيحيين: 42، 43، 61.

مكناسة: 96، 99، 168، 178، 179، 185، 196، 197، 201.

الموحدين: 23، 24، 25، 26، 28، 61، 94، 172.

(ن)

النصارى: 23، 35، 81.

النمامشة: 74، 76، 79.

النورمندية: 61.

(هـ)

الهلاليين: 21، 22، 61، 62، 68، 74، 115، 137، 180، 199،202.

الهمامة: 75، 77.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

## فهرس الأماكن

(أ)
أحمر خدو:128.
الأربعاء: 32.
أغادير: 35
أغيل: 106.
إفريقيا:24، 50، 57، 163.
إفريقية : 64، 24، 50 ،57، 213,
آسيا:163.
أم العساكر:122، 123، 125.
الأندلس:23، 24، 25، 41.
الأوراس:74، 79.
أوعيشة: 161.
أولاد جلال: 62.
أوماكرا: 35.
إيسلي: 29.
أيلولة: 140، 163.

(ب)
باب أمسيون: 102.
باب القرمادين:186، 199.
باب كشوطة: 28.
البادية: 18، 19، 20، 22، 46، 48، 54، 55، 72، 84، 87، 98، 116، 123، 143، 185، 191، 209، 222.
بادية النضر:69.
باغاية:128.
بجاية: 30، 31، 32، 34، 39، 43، 56، 57، 67، 68، 72، 73، 75، 95، 111، 117، 122، 138، 140، 141، 142، 144، 147، 148، 179، 187، 198، 214.
برشك:19، 30، 33.

البطحاء: 35، 136، 139، 146، 162، 164.
بطيوة:107.
بسكرة: 62، 73، 115، 128، 138، 139، 143.
بلاد نفزاوة: 61.
بنطيوس:128، 134، 139
بنو راشد:38، 42، 107، 120، 121، 122، 123، 124، 138، 146، 161، 164، 180، 210.
بني وغليس :141.
بوعنجة:157.
بوسعادة:23.
بونة:63، 68.

**(ت)**

تازة:71.
تاسالة: 127، 139، 146، 179.
تالموت:30.
تامزيزدكت: 30، 32.
تاوريرت: 111.
تاوغزوت:67.
تبسة: 53، 75.
تفلفال:128.
تلمسان:19، 20، 26، 27، 28، 29، 30، 32، 33، 34، 35، 36، 37، 38، 39، 40 41، 42، 57، 65، 95، 107، 111، 138، 139، 143، 146، 148، 166، 178، 184، 186، 193، 195، 199، 214، 218.
تماجور:154، 160.
تمزغران: 35، 42.
تناصرت:124.
تنس: 30، 33، 36، 42، 54، 56، 141.
توزر:75.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تونس:32، 34، 54، 55، 56، 57، 74، 75، 78، 128، 199.

(ث)

ثمقرة: 117، 118، 122، 138، 148، 165.

(ج)

الجبال:18، 19، 20، 21، 46، 53، 61، 63، 68، 97.

جبل أغبال:56.

جبل بني سعيد: 54، 56.

جبل بني ورنيد:20، 39، 53، 54، 112، 122، 138، 148، 166، 184، 221.

جبل بيسة: 105، 141، 148.

جبل تيطري: 37، 38.

جبل جرجرة:141.

جبال الجزائر:54، 180.

جبل دراك: 38.

جبل رجراجة: 168.

جبل زواوة: 54، 119، 140، 142.

جبل عياض: 34.

جبل فوّة: 75، 76، 77، 78، 168.

جبل شلف: 67، 99، 105، 140، 141، 142، 147، 148، 222.

جبل مديونة: 195.

جبل المعاضيد: 142، 148.

جبل هنتانة: 38.

جبل وافرشان: 96 ، 140، 168، 176، 187، 201.

جبل الونشريس:89.

جربة: 54، 55، 56.

الجريد: 61، 75، 79.

الجزائر: 33، 34، 36، 37، 38، 42، 43، 74، 75، 198.

جنوة:54، 55، 56.

(ح)

حدّوش:127، 179.
حومة اللؤلؤة:95.
(د)
الداموس:157.
دشرة تميزار:163.
دلس:33، 54.
(ر)
رأس الماء :122، 123، 139.
الرابطة:142، 148.
ريغ:73، 77، 128، 129.
الريف(الأرياف، المجالات الريفية، الوسط الريفي):18، 19، 20، 22، 21، 30، 32، 43، 44،46، 45، 47،48، 49، 50، 53، 54، 56،55، 60، 61، 62، 64، 69، 71، 72، 84، 85، 87، 89، 90، 91، 94، 95، 96، 98، 105، 106، 107، 108، 112، 124، 126، 128، 129، 134، 142، 144، 156، 166، 175، 176، 179، 180، 181، 182، 184، 185، 186، 199، 201، 202، 209، 211، 212.
(ز)
الزاب: 34، 53، 62، 63، 69، 70، 71، 72، 73، 75، 79، 80، 128، 129، 134، 142، 146، 159، 180، 181، 199، 200، 202.
(ط)
طبنة: 64.
طولقة: 71، 73، 115، 138، 142، 146، 180.
(ص)
الصحراء(الصحاري):20، 36، 38، 39، 76.
(ع)
العبّاد:95، 99، 111، 112، 138، 145، 146، 152، 153، 161، 164، 166، 168، 219، 218.
عنابة:19، 54.

عين البيضاء: 157.
عين الحوت: 184، 193، 199، 214.
(غ)
الغرب: 27، 35.
الغيران: 39.
(ف)
فاس:39، 40، 41، 57، 109.
فرفار:129.
فريانة: 75، 79.
(ق)
القالة: 53.
القاهرة: 149.
قجال: 104، 109، 110، 134، 138، 142، 148، 154، 155، 156، 160، 161.
القرى: 18، 19، 20، 21، 22، 43، 44، 48، 61، 64، 84، 123، 129.
قرى جبل العنصل:20، 53.
قرطبة: 26.
قرية ثقريت: 117
قرية الجمعة:107.
قرية قيطون بياضة: 53.
قرية سيدي الحسن بن مخلوف:161.
قرية وانعلي:117.
القصبات: 30.
قصر باينة: 62.
قصر عثمان: 62.
قفصة: 79.
قسنطينة: 20، 31، 32، 46، 53، 65، 68، 105، 106، 128، 129، 138، 168، 196، 202، 218.
قشتالة: 26.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

القل: 54، 56.
قلعة بني سلامة: 37، 38.
قلعة هوارة: 20، 124.
القيروان:33، 70.

**(س)**

الساقية الحمراء:142.
السرسو:
سطيف: 104، 134، 138، 148، 156، 159.
سيدي بلعباس:28
سيدي خالد:62.
سوف:77.

**(ش)**

الشرق: 27، 31، 35.
شرشال: 33.
الشلف: 99، 125، 140، 167.

**(م)**

مازونة: 30، 124، 167.
متيجة: 42.
المدية: 30، 33، 37، 42.
المدينة(المدن)ظظ: 47، 55، 64، 96، 107، 129، 134، 180.
مراكش: 24، 26، 28، 222.
المرسى الكبير: 43.
مصر: 69.
مصراتة: 124.
المغرب:19، 28، 32، 33، 38، 50، 60، 98، 110، 111، 115، 127، 128، 152، 108.
المغرب الأدنى:26.
المغرب الأقصى: 23، 24، 26، 65، 71، 213، 215، 221.

المغرب الإسلامي: 25، 60، 61، 63، 67، 68، 103، 172، 217.
المغرب الأوسط: 18، 20، 21، 22، 26، 27، 30، 32، 33، 36، 39، 41، 42، 43، 44، 45، 46، 47، 50، 53، 54، 55، 56، 58، 63، 64، 85، 94، 95، 104، 105، 109، 124، 126، 142، 143، 144، 155، 156، 158، 174، 175، 176، 182، 186، 187، 189، 199، 203، 211، 212، 221.
المقران: 129.
مقرة: 73.
مستغانم:35، 42، 139، 143.
مسيلة: 64.
المشرق:19، 22، 103، 104، 107، 155.
ملارة: 104، 105، 113، 114، 138، 145، 179، 202، 205، 207.
ملوية: 37، 38.
مليانة: 28، 33، 37، 42، 54، 221.
مليلي:73.
المنصورة:30، 31.
ميلة: 20، 53.

**(ن)**

ندرومة: 19، 33، 35، 53، 108.
نغرين:76.
نقاوس: 159
نهر سطفسيف: 27.

**(هـ)**

هنين:35.
هوارة:35، 42، 125، 167.

**(و)**

وارجلا: 34، 61.
واد تلاغ: 28.
واد رهيو:167، 192.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

واد الزيتون: 36.
واد القصب: 34.
واد قنتيس: 78.
واد الشارف: 32
واد الشلف:34.
واد الكبير:32.
واد مسكيانة:78.
واد مكة: 157.
واد يسر:111.
وجدة:29، 35.
الونشريس:54.
وهران:30، 33، 36، 42، 43، 54.

**(ي)**

يلّل:124، 125.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

## فهرس الأعلام

(أ)

أبركان الحسن: 107، 185، 161.
الآبلي محمد بن إبراهيم: 111.
أبهلول يحي: 142، 148.
أحمد ابن الحاج اليبدري:206.
أحمد بن داوود الأخضري:129.
أحمد الزيتوني: 222.
أحمد ابن زكري: 112، 152.
أحمد بن علي: 142، 148.
أحمد الغماري:107، 168.
أحمد مصطفى أبو الضيف:67.
أحمد بن أبو معزى الراشدي: 126.
أحمد الناصر: 42.
أحمد بن يوسف المليانى: 122، 123، 124، 125، 126، 127، 139، 150، 151، 167، 188، 206، 208، 209، 211، 214، 215، 216، 218، 221.
ابن الأحمر: 28، 36، 37، 39.
الأخضري عبد الرحمان: 128، 129، 130، 134.
الإدريسي أحمد بن موسى الشريف:122، 138، 184.
أذفونش:26.
الأزدي أبو نصر فتوح:198.
ابن الأزرق أبو عبد الله محمد:73، 202.
أفنيش محمد: 126.
أبو إسحاق إبراهيم بن أبي بكر:34.
الاسفرائيني أبو إسحاق: 182.
إسكان الحسين: 68.
الإشبيلي أبو بكر محمد بن عبد الله المعافري:109.
أبو الأمان ابن يلازرج:198.

أمين سمير:60.
أولحاج المسعود:117، 118.
أويحي أحمد علي:141، 147.
(ب)
الباديسي: 106.
الباهلي أبو عبد الله محمد المسفر:206، 207، 208، 218.
البجائي أحمد بن إدريس: 140، 143، 145، 198، 216.
البرزلي: 210.
برريفوست فرجيني: 61.
بريسك هنري: 60.
بريكة:203.
البطيوي الحاج موسى: 108.
البطيوي أبو داوود مزاحم بن علي: 106، 108.
أبو البقاء خالد: 72، 177، 201، 202.
أبو بكر المغربي: 81، 106.
البكري: 142.
بل ألفرد: 68.
ابن بلوطة محمد القلعي: 126.
البلوي: 63، 112، 113.
بنميرة عمر:67.
بونابي : 85، 202.
البوني أحمد بن قاسم: 110.
البويوسفي يعقوب بن عمران: 96، 104، 105، 106، 108، 113، 114، 145، 162، 177، 179، 185، 196، 200.
(ت)
التازي إبراهيم:220.
أبو تاشفين:31، 32، 38، 39، 40، 166.
تريمولي:78.

التسولي أبو إسحاق:71، 115.
التلمساني ابن العباس: 58.
تليل:74، 75، 79.
التليلي أحمد: 75.
التنسي: 161.
التوجيني عبد القوي بن العباس:150، 167، 191.
ابن تومرت المهدي:23، 24، 25.
التونسي عبد السلام:164، 177.
سيدي التواتي: 141.
ابن تيمية: 219.

## (ح)

ابن الحاج القلعي:124.
ابن الحاج المالكي:90.
ابن الحاج النميري:81، 106.
أبو الحسن الصغير:211.
أبو الحسن الحرالي:187.
الحسن بن عبد الله الثاني:43.
أبو الحسن علي بن محمد الزواوي اليتورغي: 271.
أبو الحسن علي بن أبي نصر فتح بن عبد الله: 102.
حسن بن سلامة:72، 73.
حسن محمد:21، 67.
أبو الحسن المريني:32، 33، 161، 222.
أبو الحسن ابن النجارية: 201.
الحسين ابن الجلاب:189.
حمادوش الزبير: 109.
أبو حمّو: 31، 34، 35، 36، 38، 39، 178، 185، 196، 200، 201، 202، 205، 213،.
ابن الحمراء: 41، 42.

حمزة بن أحمد المغراوي: 221.
حمزة بن عمران السليمي:32.
(خ)
خذير:75.
الخطيب حسن بن الخطيب علي بن اللمعة:180.
خضيبة: 71.
ابن خلدون:18، 19، 30، 57، 64، 74، 80، 111، 112، 115، 116، 149، 182، 202.
ابن خولة: 40.
(د)
أبو دبّوس:28.
الدهماني أبو يوسف:70، 79، 180.
(ر)
ابن رشد: 182، 209.
(ز)
ابن زاغو أحمد المغراوي:58.
زروق أحمد:91، 119، 122، 123، 130، 210، 220.
أبو زكرياء يحي:26، 27، 157، 158.
أبو زكرياء يحي الزواوي: 95، 102، 104، 168.
أبو زيد عبد الرحمان بن عيسى المستغانمي:208.
أبو زيد عبد الرحمان الهزميري:221.
الزيدوري يوسف بن إسماعيل:58.
(ط)
طالبي محمد: 61.
ابن الطواح:185.
(ص)
ابن الصباح :27.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ابن الصباغ القلعي: 124، 125، 126، 150 ، 167، 206، 208، 210، 214، 218، 221، 222.
ابن صعد: 107، 185.

## (ض)

ضريف محمد:68.

## (ع)

العاقل أبو العباس أحمد: 42، 161، 218.
عامر أبو ثابت: 30، 33، 34.
عامر بن أبي يحي بن محيا:69.
العامري نللي سلامة: 102، 116، 190، 196.
العباس بن مرداس: 128.
أبو العباس أحمد بن محمد:153، 160.
أبو العباس أحمد بن أبي سالم:39.
أبو العباس السبتي:145.
عبد الرحمان الثعالبي: 117، 120، 198.
العبدري:57، 112، 111.
عبد العزيز: 38.
عبد العزيز بن همام: 75.
عبد القادر الجيلاني:95.
أبو عبد الله بن العباس
أبو عبد الله فاتح: 148،141.
أبو عبد الله محمد بن إدريس:154، 159، 160، 161.
عبد الله أبو محمد بن أبي حمو: 40
عبد الله بن مسلم: 37.
عبد الله بن منصور الحوتي: 184، 186، 193، 199، 214.
أبو عبد الله محمد بن موسى اليجري: 201.
أبو عبد الله محمد بن يحي: 82.
أبو عبد الله محمد بن يحي: 200، 213.

عبد الله بن واضح: 208.
عبد المؤمن بن علي:23، 24.
عبد الملك:77، 78.
عبيد: 74، 75، 76،77، 78، 79، 168.
عثمان بن عفان: 79.
عثمان بن علي الرياحي: 81.
عثمان بن ونزمار بن عريف: 35.
عثمان بن يغمراسن:29، 30، 195.
ابن عرفة: 64.
سيدي عزوز: 96، 178، 184، 196، 197، 202.
عطية بن سلمان بن سباع: 72.
العقباني قاسم:86.
العقباني سعيد:19، 43، 64، 86.
العقباني محمد:87.
علوان الغماري:25.
علواني صالح: 75.
علي بن أحمد: 73،74
عمر العطافي:107، 180.
عمر الهنتاني:24.
ابن أبي عمران الحفصي:32.
العمراني محمد: 171.
العمري: 57.
أبو عنان: 34، 35، 140، 201.
العيدلي يحي :117، 118، 119، 138، 141، 148، 165، 166، 214.
عيسى بن محمد: 73.
عيسى بن يحي بن إدريس:72، 116.

## (غ)

ابن غانية: 187، 195.

الغبريني :58، 102، 104، 211، 217.
الغزالي: 162.

**(ف)**

أبو فارس عبد العزيز:41.
أبو فارس عبد العزيز بن مسلم الفارسي:128.
فوستر مارك:61.
فيرو:75، 76، 77، 78، 168.

**(ق)**

قاسم بن سعيدة القلعي:126.
قاسم بن مرا:70.
ابن القطان أبو العباس: 189، 193.
سيدي قناوة:71.
ابن قنفذ: 65، 66، 91، 100، 104، 105، 106، 111، 112، 113، 114، 145، 168، 221، 177، 180، 182، 196، ، 202، 205، 206، 207، 208، 221، 209، 211، 213، 219، 218، 220.

**(س)**

أبو السادات يحي المديوني: 120، 121، 138، 146، 161، 164.
سالم: 74، 75.
أبو سالم: 36، 37.
السخاوي: 117.
سعادة: 62 ، 69، 70، 71، 72، 73، 74، 79، 80، 115، 116، 138، 146، 180، 184، 199، 202.
سعد الله أبو القاسم: 134.
السعيد أبو بكر: 36.
أبو سعيد عثمان : 33، 34.
سعيد قدورة الجزائري:129.
سعيدوني ناصر الدين:156.
سليمان بن حفصة القلعي: 126.

سليمان السائح:195.
السنوسي محمد: 107، 120، 179، 211.
سيدي سينا: 137،136، 139، 146، 150، 162، 163، 164، 165، 202.
(ش)
الشاذلي: 70.
الشبلي عبد الكريم:67.
ابن الشماع:64.
(ك)
كورتان كريستيان: 61.
(م)
المأمون: 25.
مارسيه جورج: 168.
المازوني موسى: 82، 90، 96، 97، 98، 99، 100، 140، 141، 149، 167، 176، 177، 182، 183، 187، 188، 191، 192، 194، 195، 196، 198، 209، 211، 213، 218، 220.
المازوني يحيى: 19، 20، 53، 84، 180.
الإمام مالك:143.
أبو مالك عبد الواحد: 41، 42.
الماواسي أحمد: 188.
محرز التونسي: 182.
محمد بن أبي تاشفين: 41.
أبو محمد الزواوي: 73.
محمد أبو زيان بن عثمان: 30، 37، 38، 39، 40.
أبو محمد بن أبي زيد المالكي: 182.
محمد بن أبي طريق: 41.
سيدي أبي محمد الصالح: 103.
محمد الصغير: 128، 130،156، 157.
محمد عامر: 128.

محمد ابن العباس: 112، 152.
محمد بن عبد الجبار الصبيحي: 208.
محمد بن عبد الجبار الفجيجي: 127، 139، 146، 149، 152، 179.
محمد بن عبد الرحمان الأدغم:167.
محمد بن عبد الرحمان الكفيف السويدي: 127.
محمد العنتري: 26.
محمد بن علي الخروبي: 130.
محمد بن أبي عنان: 35.
أبو محمد عبد الله الونشريسي:190.
محمد بن عبد القوي: 147، 167، 192، 193، 215.
محمد المتوكل:42، 218.
محمد بن محمد الوجديجي: 58.
محمد بن معزى القلعي:221.
محمد المكي بن محمد الصحراوي: 156، 157.
محمد بن يحي المديوني: 107، 180.
محمد بن يحي المغراوي: 107، 180.
محمد بن يسوسف الهمداني: 177، 201.
أبو مدين:65، 66، 67، 70، 75، 79، 94، 95، 98، 105، 106، 107، 108، 111، 113، 138، 145، 166، 167، 168، 179، 180، 185، 206، 207، 213، 218، 221.
ابن مرزوق: 19، 103، 104، 112، 113، 145، 153، 161، 166، 184، 190، 193، 195، 200، 208، 211، 222.
ابن مرزوق أبو العباس:145 ،221 .
ابن مرزوق محمد:166، 185، 186، 189، 190، 191، 193، 200، 201، 208، 218.
المريض أبو العباس أحمد: 64، 65.
ابن مريم:107، 120، 121، 122، 127، 149، 161، 166، 186، 193، 199، 214.
ابن مزني علي:73.
ابن مزني منصور بن فضل:72، 73، 116، 180، 200.

ابن مزني يوسف:73.
المغراوي محمد: 67.
المستعين أبو عبد الله محمد: 42.
سيدي مسعود بن عبد الحميد الإدريسي:109، 110، 138، 157، 142، 148.
مسعود بن عريف: 67، 105، 106، 108، 180.
المشدالي ناصر الدين:205، 206.
الملاري يوسف بن يعقوب:106، 114، 145، 163، 180، 196، 201، 202، 205، 206، 207، 208، 218، 221.
الملالي:182، 107، 220.
منصور الجنادي: 163.
منصور بن سليمان : 36.
المنكلاتي أبو الحسن علي بن عثمان: 198.
موسى القديدي: 126.
موسى بن علي: 31.
ابن ميمون أبو الحسن:190.

(هـ)

أبو الهادي مصباح: 81، 106، 114، 205، 208 .
هجرس بن علي: 72.
أبو هريرة: 82.

(و)

سيدي واضح أبي البيان: 96، 97، 99، 140، 147، 167، 168، 176، 182، 187، 192، 193، 194، 195، 201، 215، 218.
الورتيلاني: 117، 118، 120، 153، 166، 214.
الوزان الحسن:19 ، 20، 136، 162، 165.
الوغليسي عبد الرحمان: 87، 89، 141، 142، 145، 198، 210.
ونزمار بن عربي: 34.
الونشريسي: 64.

(ي)

أبو يحيى:141، 148.
أبو يحيى بن أحمد بن عمر: 72، 73، 116,
أبو يحيى أبو بكر: 31، 32، 178، 196، 205.
أبو يحيى بن أبي حمو:42.
يحيى بن العطار: 166.
يحيى بن يوغان:177.
أبو يعزى يلنور:213.
يعقوب بن عبد الحق: 26، 28، 29.
أبو يعقوب بن محمد بن محيو الهواري: 140، 147، 150، 152، 167، 187، 188، 191، 195.
يعقوب المنصور: 95.
يغمراسن بن زيان:26، 27، 28، 29، 176، 182، 184، 194، 195، 201، 218.
يوسف أبو ثابت:40
يوسف أبو الحجاج بن أبي حمو:40.
يوسف الكوراني: 69.
يوسف بن يعقوب: 29، 30، 178.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

## فهرس المصنفات

أزهر المطالب في هيئة الأفلاك والكواكب: 135.
الاستبصار:20، 53.
أنس الفقير:91، 219.
البستان:112.
الجوهر المكنون في الصدف الثلاثة فنون:130.
ابن الحاجب الفرعي: 122.
الدرر المكنونة:19، 81.
الرسالة: 122.
رسالة القشيري: 95، 112، 179.
روضة الحقائق: 140.
عدة المريد:120.
عنوان الدراية: 104، 211.
القدسية: 130، 131، 134.
قواعد التصوف:120.
السراج في علم الفلك:129.
السراج في الهيئة:135.
كتب التوحيد:86.
كتب الرقائق:90.
كتب السير والتراجم:172.
المؤلفات المنقبية:100، 167، 171، 176، 182، 185،187، 190، 199.
المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى:95، 179.
المقصد الشريف:107.
مناقب صلحاء الشلف: 173، 178، 211.
المناقب المرزوقية:173.
نصيحة الشبان:134.
الوغليسية:120، 143.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

# الـفـهـرس الـعـام


| المحتوى | الصفحة |
|---|---|
| الـفـصل الأول :أوضاع المجالات الريفية للمغرب الأوسط خلال العصرين الزياني–الحفصي. | |
| 1/ضبط المجال الريفي | 22-18 |
| **1-1** تعريف الريف لغة | 18 |
| **2-1** مصطلح الريف والبادية في المدونات التراثية | 22-18 |
| 2/ الأوضاع السياسية للدولة الزيانية | -23 |
| 2-1 المغرب الأوسط بين سقوط الموحدين وقيام الزيانيين | 26-23 |
| 2-2 المغرب الأوسط بين الاستقطاب المريني والحفصي | 33-26 |
| 2-3 عودة بني زيان | 37-33 |
| 2-4تأثير الفتن على البيت الزياني | 38-37 |
| 2-5 الصمود الزياني | 39-38 |
| 2-6ضعف وتقهقر الزيانيين | 40-39 |
| 2-7الصراع على الحكم | 41-40 |
| 2-8السيطرة الحفصية على المغرب الأوسط | 42-41 |
| 2-9العودة من جديد | 42 |
| 2-10السقوط النهائي للزيانيين | 44-42 |
| 3/الأوضاع الاجتماعية | 49-45 |
| 3-1 الزواج وتكوين الأسرة | 47-45 |
| 3-2 بعض العادات بأرياف المغرب الأوسط | 49-47 |
| 4/الأوضاع الاقتصادية | 55-50 |
| 4-1 نظام الأرض بريف المغرب الأوسط | 53-50 |
| 4-2 الثروات النباتية والباطنية بريف المغرب الأوسط | 54-53 |
| 4-3أهم الحرف بريف المغرب الأوسط | 55-54 |


جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

| | |
|---|---|
| 4-4 مشاكل المعاملات بريف المغرب الأوسط | 55 |
| 4-5شبح المجاعات والأوبئة | 58-56 |

| | |
|---|---|
| الفصل الثاني: نزعات التصوف والإصلاح في البنى القبلية | |
| 1/الهجرة الهلالية بين الدور التخريبي والدور الحضاري | 66-60 |
| 2/بدايات الاندماج في الثقافة الدينية | 70 -67 |
| 3/دور الولاية في تشكل قبائل مرابطية | 80-71 |
| 3-1حركة المرابطين السنة في الزاب | 74-71 |
| 3-2التجربة المرابطية في قبيلتي النمامشة والفراشيش | 80-74 |
| 4/الحضور المرابطي ودورهفي المجالات الريفية للمغرب الأوسط | 91-81 |
| 4-1 مدلول كلمة مرابط | 83-81 |
| 4-2 المرابطين ودورهم في المجالات الريفية | 86-84 |
| 4-3 أشباه المرابطين بين ممارسة البدع واستغلال الناس في المجالات الريفية | 91-87 |
| الفصل الثالث: عوامل ومظاهر التغلغل الصوفي في المجالات الريفية | |
| 1/ تأثير أبي مدين شعيب | 96-94 |
| 2/ اعتزال الناس والبعد عن الدنيا وملهياتها | 97-96 |
| 3/ تأثير الكرامة | 99-98 |
| 4/ دور المؤلفات المنقبية | 101-100 |
| 5/ تأثير الزاوية الريفية | 168-102 |
| 5-1 مصطلح الزاوية الظهور والانتشار | 104-102 |
| 5-2 تلامذة أبي مدين شعيب ودورهم في نشأة وانتشار الزوايا في الوسط الريفي | 108-105 |
| 5-3 زوايا المجالات الريفية للمغرب الأوسط(الزوايا الريفية) من القرن السابع الهجري إلى القرن العاشر الهجري /13-15م. | 144-109 |
| 5-3-1 زوايا القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي | 114-109 |


جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

| | |
|---|---|
| 5-3-2 زوايا القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي | 116-115 |
| 5-3-3 زوايا القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي | 121-117 |
| 5-3-4 زوايا القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي | 137-122 |
| 5-4 أصناف الزوايا الريفية | 148-145 |
| أ/ الزاوية الريفية الصوفية | 145 |
| ب/ الزاوية الريفية الفقهية | 146-145 |
| ج/ الزاوية الريفية المتخصصة في الحفر في القبائل واستخراج الأموال | 146 |
| د/ زوايا ريفية جمعت بين وظيفتي التعليم وإضافة الواردين (الإطعام والإيواء)،وقضاء الحاجات | 146 |
| هـ/ الزاوية الريفية الملجأ | 147-146 |
| و/ زاوية ريفية جمعت بين التعليم وإيواء الفارين | 147 |
| ز/ الزاوية الريفية المدرسة | 148-147 |
| 5-5 الزاوية الريفية وتنظيم العمل فيها | 156-149 |
| 5-5-1 نزلاؤها وكيفية الانضمام إليها | 151-149 |
| 5-5-2 تنظيم الحياة والعمل بالزاوية | 154-152 |
| أ/ الطلبة (المريدين) | 152 |
| ب/ أهل الولي(صاحب الزاوية) | 153-152 |
| ج/ الناظر والخدم | 153 |
| د/ المقدم | 154-153 |
| 5-6 آليات تمويل الزوايا بأرياف المغرب الأوسط | 165-155 |
| 5-6-1 الأحباس أو الوقفيات | 161-155 |
| 5-6-2 هبات السلاطين | 163-162 |
| 5-6-3 الفتوح والنذور | 164-163 |
| 5-6-4عائدات النشاط الفلاحي | 165-164 |
| 5-7 الحرم الصوفي بين الوظيفة والقداسة | 168-166 |
| الفصل الرابع :مجتمع الأولياء في المجالات الريفية: العلاقات والأدوار | |
| 1/الإنتاج المنقبي في المغرب الأوسط | 175-171 |


جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

| | |
|---|---|
| 2/الخطاب المناقبي وسلطة أولياء ريف المغرب الأوسط | 181-176 |
| 2-1الولي ودوره في نصح وإرشاد السلاطين | 177-176 |
| 2_2 الولي مستشار سياسي | 178-177 |
| 2-3 الولي وسيط "دبلوماسي" | 178 |
| 2-4 الولي وسيط و شفيع بين الناس والسلطة السياسية | 179-178 |
| 2-5 الولي ودوره في تثقيف سكان المجال الريفي | 180-179 |
| 2-6 الولي ودوره في التأمين ضدّ اللصوص وقطع الطرق | 181-180 |
| 3/ الحضور الكرامي للأولياء في أرياف المغرب الأوسط | 189-182 |
| 3-1تقويم السلوك الأخلاقي | 184-183 |
| 3-2 محاربة الابتزاز الجبائي | 185-184 |
| 3_3 نبذ الظلم ومحاربة الاستبداد | 185 |
| 3-4 تسريح المسجونين والانتصاف للمظلومين | 186-185 |
| 3_5 تحقيق الأمن | 187-186 |
| أ/ إفشال الغزو | |
| ب/استرجاع الأشياء المسلوبة | |
| 3_6 نزول الغيث وسقاية الزرع | 187 |
| 3_7 توفير الطعام | 189-188 |
| 3_8 التوسعة على المكروبين | 189 |
| 4/ آليات السيطرة الكاريزماتية | 197-190 |
| 4_1 الدعاء | 194-190 |
| 4_2 المكاشفة | 196-194 |
| 4_3 الخوف | 197-196 |
| 5/علاقة متصوفة الأرياف بالسلطة السياسية والدينية | 198 |
| 5-1علاقة المتصوفة بالسلطة | 203-198 |
| أ/ أوجه المعارضة السلمية للمتصوفة | 200-198 |
| ب/ سياسة السلطة تجاه المتصوفة | 203-201 |


جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

| | |
|---|---|
| 2-5- علاقة المتصوفة بالفقهاء | 212-204 |
| أ/ أوجه التقارب والتضامن النفعي | 208-205 |
| ب/ أوجه الصراع وأشكاله | 212-208 |
| 6/الطقوس والممارسات في الأوساط الريفية | 222-213 |
| 6-1 الطقوس والممارسات الشفائية | 216-213 |
| أ/ المسح | 215-213 |
| ب/ التنفل | 215 |
| ج/ الرقية | 216-215 |
| د/ الدعاء | 216 |
| 6-2 طقوس وممارسات تعظيم الأولياء | 222-217 |
| أ/ زيارة القبور | 220-217 |
| ب/ تقديس آثار الأولياء والاعتقاد فيها | 222-221 |
| ج/ تقبيل اليد أو الرأس أو الرجلين | 222 |
| الخاتمة | 226-224 |
| الملاحق | 235-228 |
| قائمة المصادر والمراجع | 258-237 |
| الفهارس | 283-260 |
| فهرس القبائل والدول والشعوب | 263-260 |
| فهرس الأماكن | 271-264 |
| فهرس الأعلام | 282-272 |
| فهرس المصنفات | 283 |
| الفهرس العام | 288-284 |


جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

# الـــمـــلـــخّـــــــص

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مـلخّـص الأطـروحة:

جاءت هذه الدراسة لتبين الطريقة التي نفذ بها التصوف إلى المجالات الريفية المغرب أوسطية خلال العصرين الزياني-الحفصي، حيث يعتبر القرن السابع للهجرة/13م نقطة التحول في مسار هذه الظاهرة ،وقد كان وراء هذا التحول عدّة عوامل أبرزها دور الولي أبي مدين شعيب وجهوده في تبسيط الفكر الصوفي ونظرياته وجعْلِها في متناول العامة من الناس، بالإضافة إلى جهود طلبة العلم من سكان الأرياف الذين كانوا ينتقلون إلى المدن حتى إذا ما أتموا تعليمهم عادوا إلى أوطانهم ونشروا ما أخذوه عن شيوخهم في أوساطهم الريفية ، ثم يأتي الدور البارز الذي لعبته الزاوية الريفية التي انتشرت عبر المجالات الريفية حيث تشعّبت وظائفها واتعدّدت مواردها واستقطبت أشكالا جديدة من الحياة الاجتماعية والدينية.

لقد كان لدعاة الولاية والصلاح الفضل في إدخال العرب الهلالية في المنظومة الدينية بعدما فشلت محاولات السلاطين والفقهاء في ردع هؤلاء المحاربين، فظهرت عدة تجارب عربية على غرار الجنادة بالقيروان والسنية ببلاد الزاب ، وبفضل هؤلاء المرابطين الذين حملوا على عاتقهم إحياء السنة وتغيير المنكر، انخرط الكثير من الأعراب في المنظومة الدينية، وأقلعوا عن نشاطهم الحرابي، وساهموا في تأمين السبيل ،وإغاثة المستجيرين، وجنحوا إلى الاستقرار.

وفي ثنايا هذه الدّراسة رأينا أنه بانتشار هذه الظاهرة في الأوساط الريفية تكونت علاقة متينة بين الأولياء والمجتمع في الوسط الريفي، فبفضل هؤلاء تمّ تعريب هؤلاء السكان وانتشرت الثقافة الدينية بينهم، وتم ملأ الفراغ الروحي الذي كانوا يعانون منه ،وقد زاد من التفاف العامة حول الأولياء الكاريزما التي كان يتمتع بها هؤلاء، فقد أصبحوا المقدس الملموس والوسيط المفضل عند الأزمات الفردية والجماعية، هذا ما زاد من احترام الناس لهم وتبجيلهم والسير على خطاهم،كما وقفنا على نوعية العلاقة بين الأولياء والسلطة والعلاقة بينهم وبين الفقهاء من خلال العديد من النماذج التي سمحت لنا بوضع مقاربات لمعرفة طبيعة هذه العلاقات.

## Le résumé:

Cette étude est réalisée pour montrer comment le soufisme a-t-il pu pénétrer aux milieux ruraux du moyen-magrebpendant l'ère Ziani et Hafsi, en effet le VII$^{e}$ siècle hijri / XIII$^{e}$ siècle est considéré comme un tournant dans le parcours de ce phénomène, et il y a plusieurs facteurs qui ont influencé cette transformation, notamment le rôle du saint Abi Medien Chouaib et ses efforts fournis en vu de simplifier la pensée Soufie et ses théories pour qu'elles soient à la portée de toute la population. Ajoutons à cela les efforts des étudiants habitant les compagnes, qui se déplacent aux villes, pour qu'ils y reviennent lorsqu'ils finissent leurs études pour transmettre ce qu'ils ont appris de leurs cheikhs aux populations rurales, et puis vient le rôle éminent des zawiyas, très fréquentes dans les campagnes, dont les ressources sont étendues, elles ont diverses fonctions et attirent de nouvelles formes de la vie sociale et religieuse.

C'est grâce aux walis et aux saints que les arabes hilaliens ont accédé au système religieux après l'échec des sultans et des faqihs (hommes religieux) à dissuader ces guerriers, d'où apparaissent plusieurs expériences arabes telles que : El-Djanada à Kairouan et Essounia au pays Zab, et c'est grâce à ces marabouts qui ont pris ont charge la renaissance da la Sunnah et le changement du mal que plusieurs arabes se sont adhérés au système religieux et ont abandonné leurs activités de brigandage, ils ont même contribué, après leur repentir, à sécuriser les chemins et à secourir ceux qui ont besoin d'aide et ils se penchent vers la stabilité.

Entre les plis de cette étude on a constaté que la propagation de ce phénomène dans les milieux ruraux a donné lieu à une relation étroite entre les walis et la société rural et c'est grâce à eux que les populations locales sont arabisées et que la culture religieuse s'est propagée entre les habitants, ainsi que le vide spirituel dont souffrent ces derniers est comblé, sans oublier le charisme de ces saints qui leur a permis de s'imposer et d'attirer les gens, et ils représentent ainsi le sacré concret, et constituent l'intermédiaire favorisé qui intervient pour résoudre les problèmes individuels et collectifs, ce qui les valorisent davantage chez les autres qui suivent alors leur voie. Ainsi qu'on a mis le point sur la qualité des relations entre les walis et les autorités et celles avec les hommes religieux en mettant en évidence nombreux modèles qui nous ont permis de faire des approches pour mieux comprendre la nature de ces liens.

**Summarize thesis**

This study came to show the way in which sufism was carried out in rural Areas of The Middle Maghreb during the Ziyani-Hafsi periods, where the seventh century of migration/13 A.D. is considered the turning point in the course of this phenomenon, and behind this transformation was several factors, most notably the role of Wali AbiMadinShoaib and his efforts in simplifying Sufi thought and his theories and making it accessible to the public.From the people, in addition to the efforts of the students of science from the rural population who were moving to the cities even if they completed their education returned home and spread what they took from their elders in their rural circles, then comes the prominent role played by the rural corner, which spread across rural areas where its functions branched and expanded its resources and attracted new forms of social and religious life.

The advocates of the state and the good were credited with introducing the Crescent Arabs into the religious system after the attempts of sultans and jurists failed to deter these warriors, and several Arab experiments emerged, such as the "Jnada" in Kairouan and the "Sunniya" in Zab., and thanks to these "Almorabitine" who took it upon themselves to revive the Sunnaanh and change the exile, many of the Arabs engaged in the religious system, and they refrained from their harpoon activity, contributed to securing the way, and the relief of the hired, and they were forced to settle.

In the course of this study, we saw that with the spread of this phenomenon in rural areas formed a strong relationship between the saints and the society in the rural environment, thanks to these people were arabized and religious culture spread among them, and filled the spiritual void that they were suffering from, and increased the general wrap around the charismatic saints enjoyed by these people, they became the holy concrete and the preferred mediator in individual and collective crises, this increased the respect of the people for them and their veneration and walk on them in their footsteps, as we stood on the quality of the relationship between the authority and the saints, as we stood on the quality of the relationship between the authority and the saints. The relationship between them and the jurists through many models that have allowed us to develop approaches to know the nature of these relationships.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

**People's Democratic Républic of Algéria**
**Ministry of Higher Education and Scientific Research**

**Emir Abd Elkader University of**
**Islamic Sciences – Constantine**
**Faculty of Arts and Islamic Civilization**
**Department of History**
**Serial Number**.....
**Registration Number** .....

# Sufi spread in rural areas of the Middle Maghreb during the Ziyani-Hafsi periods

**A Thesis submitted for the LMD Doctorate in Human Sciences-History**

**Specialty: The History and Civilization of the Middle Maghreb in the Medieval ages**

**Présented by:**
**Benkerri Kaouther**

**Supervision Dr :**
**Benmhiya Ibrahim**

**Members of the Discussion Committée**

| First and Family name | Rank | Original University | Character |
|---|---|---|---|
| Azrodi Nacira | Lectrurer | Emir Abd Elkader University -constantine | Chairman |
| Benmhiya Ibrahim | Professor | Emir Abd Elkader University – Constantine | Supervisor and rapporteur |
| Bounabi Taher | Professor | Mouhamed Boudhyef University -Msila | Discussion Member |
| Attabi Sanaa | Lectrurer | 08Mai1945University-Guelma | Discussion Member |
| Bekkey Abdelmalek | Lectrurer | Mouhamed Alamine Debaghine--Setif | Discussion Member |
| Gueryen Abdeljalil | Lectrurer | Emir Abd Elkader University Constantine | Discussion Member |

**University year : 1441-1442 H / 2020-2021 AD**